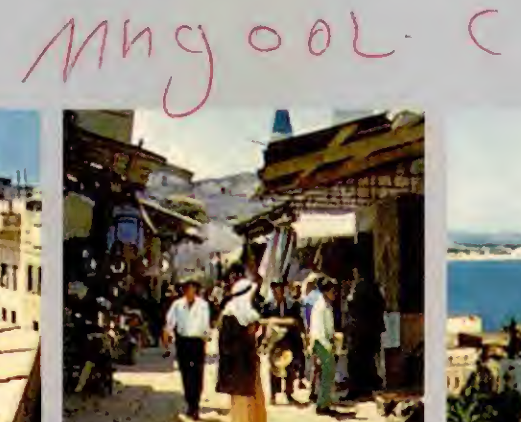


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٠ - صفر ١٤٢٤ هـ - أبريل ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 320 -APR. 2003







عكا: قاهرة الغزاة

- جيش من الفخار لحماية الإمبراطور
- القلاع التاريخية في محافظة الطائف
- المعلوماتية والعلاقات الدولية في عصر العولمة
- الخزف والقيشاني الإسلامي: فن رفيع ووظائف متعددة
- صفحات من تاريخ الكتابة وأدواتها
- خوارق النفس على المحك العلمي
- هنريك إبسن: رائد المدرسة الواقعية في المسرح الحديث



الناشر: دار الفيصل الثقافية

المحتويات

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢٠٠، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٣٥، ١ هاتف ٢١٢٨٢٤٨- فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١- ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦- ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧







عكا. قاهرة الغزاة

مدينة عكا بفلسطين من أقدم مدن العالم، وقد أقامها العرب الكنعانيون الذين عمروا بلاد الشام من أول وجود البشرية على ظهر الأرض، ولم يهاجر هؤلاء إلى فلسطين من مكان آخر من بلاد العرب، إنما نشؤوا على هذه الأرض، ولا يعرف التاريخ لهم سابقًا.

فماذا عن تاريخ هذه المدينة وجغرافيتها وطبيعتها ومعالمها الحضارية وصمود أهلها أمام الغزاة على مر التاريخ؟

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

الاهتمام بالبيئة

أشكركم جزيل الشكر، فقد وصلت المجلة في الأسبوع الثاني من الشهر، ويبدو أنكم اتصلتم بالوكيل وطلبتم منه عدم تأخير المجلة في مخازنه. أنا أشك في أن التأخير ناتج من الوكيل، إنه ربما يؤخر الأعداد الجديدة لتصريف العدد السابق، ولا ينزل العدد الجديد إلى السوق إلاّ بعد نفاد العدد السابق، وهذا أسلوب تجاري، ولكن بعض القراء يعزف عن شراء المجلة بعد صدورها بشهر. إنه يفضل انتظار العدد التالي، ولكن .. إذا تم تصريف العدد ابتداءً من أول يوم في الشهر في كل مكان تصل إليه المجلة، فإن كل النسخ سوف تنفد، أو على الأقل سيتم تصريف أكبر كمية.

قبل أن أختم رسالتي أود أن أؤكد طلبًا أرجو ألاّ تبخلوا في تلبيته لكل قراء المجلة، وهو: الاهتمام بالموضوعات البيئية التي نرجو ألاّ يخلو منها أي عدد.

منصور سليمان عبدالله

تعز - اليمن

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام بمتابعة المجلة، ونشير إلى أن التأخير في الشهرين الأخيرين كان لأسباب خارجة عن الإرادة، وسوف تصل الأعداد القادمة إلى الأسواق في مواعيدها المعلومة.

وبالنسبة إلى طلبكم الخاص بالاهتمام بالموضوعات البيئة، فأنت ما دمت من المتابعين للمجلة، تعلم أن التنويع سياسة تحريرية ثابتة للمجلة، وأن موضوع البيئة من أكثر الموضوعات التي تهتم بها المجلة لأهميتها، وسوف تطالع في الأعداد القادمة مقالات مهمة في هذا الموضوع الحيوي.

استمتاع وفائدة

لقد حالفني الحظ بالاطّلاع على مجلة «الفيصل» للمرة الأولى بعد أن قام أحد أقاربي بإهدائي مجموعة من الأعداد القديمة، فانغمست أنهل منها من علوم الفكر والأدب والشعر والثقافة والاجتماع، فكنت في غاية الاستمتاع والاستفادة وأغنتني عن القنوات الفضائية، والبرامج الإذاعية، وأصبحت الصديقة التي أسهر معها حتى وقت متأخر من الليل دون كلل أو ملل، بيد أني لم أقم طوال تلك الفترة باقتناء أعداد جديدة حرصاً على استكمال الأعداد التي بين يدي، وكنت أقرؤها مرتبة من القديمة إلى الحديثة، وأتحسر لافتقاد عدة أعداد تصل إلى أعداد سنة وسنتين، ولكنني لا أستطع الحصول عليها فهي مفقودة. المهم أن المنعرج الحاسم حصل عندما انتهيت من قراءة كل الأعداد التي بحوزتي، وكان يجب عليّ الآن أن أطلع على جديد المجلة، وكانت لحظة صعبة، وكأني سأقابل شخصاً لا أعرفه أو غاب عني مدة طويلة، ولا أدري هل تغير أم بقي على حاله؟ ذلك أن كل الأعداد التي قرأتها تعود إلى ما قبل ١٤٢١هـ، وكانت دهشتي كبيرة عندما لا حظت التطور الواضح الذي طرأ على المجلة وخاصة من الناحية الفنية والتقديم والإخراج. وقد تأثرت لحذف عدة أبواب، كـ«طريق الهدى»، و«دائرة المعارف»، و«صداع العقول»؛ ومقالات د. حسن ظاظا التي كان لها عظيم النفع والفائدة، فقد أمتعتنا بملعوماتها الزاخرة، وتحليلاتها التي تعبر عن رجل محنّك في هذا الاختصاص، فجزاه الله خيراً.

كما لن أنسى مخطوطات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، مثل تلك المخطوطات حقيقة هي كنوز لا تقدر بثمن.

صحيح أن الإعلانات تسهم في تمويل المجلة، ولكن نرجو ألاّ يكون على حساب إطلاعنا على مثل تلك المخطوطات النادرة.

أنس الماجري

القيروان ـ تونس

التحرير:

نشكر لك ارتباطك بالمجلة، وتعمقك في قراءتها، وبالإشارة إلى الأبواب التي ذكرتها، فإن المجلة حريصة على التجديد من حين إلى آخر، وإتاحة المجال لكثير من الكُتّاب للمشاركة من دون التقيد بأبواب ثابتة قد تقلل فرصة هذه المشاركة. أما الدكتور حسن ظاظا فقد توفاه الله منذ سنوات، وستظل كتاباته القيمة في المجلة وكتبه العلمية في ميدان تخصصه مما تتداوله الأجيال لما فيها من متعة وفائدة.

الجميع متساوون

أشكر لكم ردكم على رسالة سابقة لي، ويسعدني أن أكتب معقباً على بعض ما جاء في ردكم، فأنا لا أزال أرى الـ ٤٥ يوماً ليست كافية للمشاركة في مسابقة المجلة، وخصوصاً لمن هم في خارج المملكة العربية السعودية، ويشعر غيري من القراء بالقلق خشية ألاّ تصل رسائلنا وألاّ تاتيكم في الموعد المناسب، وأقترح أن تكون المدة ٦٠ يوماً كبقية المجلات العربية، كما أقترح أن يكون عدد الفائزين بالمسابقة عشرة، وأن يتم تقسيم الجوائز بينهم بالتساوي، لأن الجهد المبذول من كل منهم يتساوى، ومن ثم لا داعي للتمييز بينهم في قيمة الجائزة، ويمكن أن يكون نصيب كل واحد ٣٠٠ ريال.

وأقترح إيجاد جوائز لمن يصلون إلى الإجابات الصحيحة، أو لمن يواظبون على إرسال كوبونات بالإجابات الصحيحة؛ لأن هناك من يشاركون منذ سنوات بعيدة من غير أن يفوزوا بأي جائزة، ولكم التفكير في الطرائق التي تستطيعون تطبيق هذه الأفكار إذا راقت لكم.

عبدالعزيز محمد السيد عمر

المعهد الابتدائي ـ الأزهري

ميت عاصم ـ الدقهلية ـ مصر

التحرير:

نشكر لك اهتمامك، وسيتم أخذاقتراحاتكم في الحسبان عند أي تطوير للمسابقة، ولكن يبدو من الصعب منح جوائز للمشاركة أو لمن يصلون إلى الإجابات الصحيحة؛ لأن عدد هؤلاء كبير إلى حد لا تتصوره، كما أن القرعة ستظل الفيصل والحكم في تحديد الفائزين.

ردود سريعة

الإخوة القراء:

نفيد الإخوة القراء أن عنوان مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في تونس هو:

ص.ب ٥٠ زغوان ١١١٥ الجمهورية التونسية.

الهاتف من خارج تونس: ٠٠٢١٦/ ٧٢٢٦٨٠١١٠

الفاكس: ٠٠٢١٦/ ٧٢٦٧٦٧١٠

البريد الإلكتروني: Temimi.fond@gnet.tn

الموقع على الإنترنت باللغة العربية:

www.temimi.org

الموقع باللغة الفرنسية:

www. refer.orgl/fondation temimi

الأخت أسماء علي صالح ـ صنعاء ـ اليمن:

كما سبقت الإشارة في غير هذا المكان، فإن هناك ظروفاً خارجة عن الإرادة كانت سبباً في تأخر صدور العددين الأخيرين، وسوف نتدارك الأمر في الأعداد القادمة، وسيتم مراعاة ذلك بالنسبة إلى المشاركين في المسابقة.

الأخ حماد محمد عبدالله ـ الحسكة ـ سورية:

نشكر لك إشادتك بالمملكة العربية السعودية ودورها، وبمجلة الفيصل وما تقدّمه من زاد ثقافي، ونأمل أن تكون عند حسن ظن أمثالك من القراء، ويسرنا تلقي ملاحظاتكم ومشاركاتكم.

الأخت زمزم أبو الوفاء إسماعيل ـ الأقصر ـ مصر:

نفيدك أن المشارك في المسابقة يمكن أن يفوز بإحدى الجوائز أكثر من مرة، كما لا يوجد أي تقيد بالسن، فمرحباً بالمتسابقين من كل الأعمار، ويسعدنا أن تمتد علاقتك مع المجلة إلى أكثر من عشرين عاماً مضت.

الأخ هادي على هادي بن مغيث ـ حضرموت ـ اليمن:

نفيدك أن رسائلك الكريمة تصل إلى المجلة، ونشكر لك اهتمامك بمتابعتها والمشاركة في المسابقة، ونشير إلى أن تحديد الفائزين بالمسابقة يخضع للقرعة من دون أي تدخل، فنأمل أن يحالفك الحظ قريباً.

جيش من الفخار لحماية الإمبراطور

مظفر شعبان
حلب - سورية

في آذار / مارس عام ١٩٧٤م كان أحد الفلاحين الصينيين يحفر بئراً، وفجأة اصطدم فأسه برأس صلب، ولم يكد يزيح عنه التراب حتى وجد أمامه جندياً من الفخار بكامل هيئته ولباسه وعيناه مفتوحتان. ذهل الفلاح، ونادى رفاقه وهو يصيح: هذا هو الشيطان، هذا هو الشيطان !! ولم يكن أحد في الصين كلها، ولا حتى في العالم بأسره، يدرك أن هذا «الشيطان» سيقود إلى اكتشاف إحدى عجائب الدنيا، وإلى أهم اكتشاف أثري صيني في هذا الزمان.

وكما كان الكشف عن قبر توت عنخ آمون وكنوزه في مصر إحدى عجائب العالم، فقد كان اكتشاف قبر الإمبراطور شين هوانج تي، أول أباطرة أسرة شين في شرق شيان في عام ١٩٧٤م، الأثر المثير نفسه.. فمن بطن هذا القبر خرج إلى الحياة فيلق إمبراطوري كامل يضم ثمانية آلاف محارب من المشاة والفرسان مرتبين في طوابير منتظمة، ومتدرعين بالسلاح والخوذ والدروع، وهم في وضعية استعداد للقتال. وعن هذا الاكتشاف سيكون حديثنا.

إمبراطورية «أبناء السماء»

تعدّ الصين من أقدم دول العالم.. فقد شهدت هذه الإمبراطورية - على الرغم من الاضطرابات المختلفة التي عانتها - حضارة غنية بالأعمال الفنية الكبيرة والاكتشافات العلمية والتقنية، وكان حكامها يطلقون على أنفسهم «أبناء السماء».

ففي مغارة «التنين» قرب بكين، اكتشفت آثار إنسان قصير القامة كان يعيش منذ عشرات آلاف السنين (٣٠٠٠٠٠) ق.م، وكان يجيد استعمال النار.

وقد بينت الاكتشافات الأثرية المتلاحقة أن المزارعين الصينيين الذين كانوا منتشرين على طول النهر الأصفر قبل أكثر من عشرة آلاف سنة، عرفوا تربية دود القز وإنتاج الحرير، وتشير طريقتهم في تكفين موتاهم إلى أنهم كانوا يعيشون حياة اجتماعية متطورة. وقد تبين أن الإنسان الصيني تمكن قبل ستة آلاف سنة من استئناس الحيوانات الأليفة من صنع الفخار.

وبحلول منتصف الألف الثاني قبل الميلاد كانت الدولة الصينية الواقعة في إينيانغ، شمال النهر الأصفر، في المنطقة المعروفة اليوم بمقاطعة هونان، قد نجحت بدخول عصر البرونز والمعادن الملونة الأخرى. ومع أن هذه البداية المبكرة تضع الصين بين أولى حضارات العالم، إلا أن الصينيين يفتخرون بإنجازات حضارية كثيرة، سبقت حضارة بابل وحضارات ما بين النهرين: فقد صنعوا الحرير، وكتبوا الأحرف الصينية على قطع العظام، ونجحوا في القضاء على داء الجدري، وتمكنوا من تسخير طاقة الهواء والطاقة المائية في الأنهار، كما صنعوا الورق، واكتشفوا الطباعة والبوصلة والبارود.

ومع أن الصحارى والجبال كانت تفصل الصين عن



مشهد من صالة العرض الخاصة بتماثيل الجنود و الخيول

المناطق والحضارات الواقعة في القسم الغربي من آسيا، إلا أن آسيا الوسطى كانت تشكل معبراً سار الرحالون على طوله للوصول إلى شمال الصين ومعهم القمح، والمواشي، والأحصنة، و البرونز، والعجلة، والعربة، والحديد.

لو دامت لغيرك

تاريخ الصين السياسي حافل بالسلالات التي تعاقبت على عرش إمبراطوريتها، وكانت نهاية كل سلالة تأتي على يد أحد العملاء الأقوياء، الذي كان ينتهز فرصة ضعف الإمبراطورية ليضع يده على زمام الحكم، وكان اسم كل سلالة يطلق على جميع البلاد.

أول سلالة عرفت وثائقياً يعود تاريخها إلى الفترة ما بين ١٧٠٠ و ١٥٠٠ قبل الميلاد، وهي سلالة شانغ، خلفتها في نحو ١٠٢٧ قبل الميلاد سلالة شو التي تركت بصمات واضحة على معظم السهل الصيني الشمالي.. وفي نحو ٢٥٦ قبل الميلاد اضطر حكام أسرة شو إلى التنازل عن السلطة للحكام المحليين الذين أنشؤوا حكومات خاصة بهم في مناطقهم.

في ذلك العهد، كان التتر والمغول المتاخمون لهم يشنون هجمات عدائية على المدن الحدودية.. لذا بنى الصينيون في بادئ الأمر حصوناً لصد تلك الغزوات، ولكن العدو كان يلتف حولها.

إذ ذاك فكروا أن يصلوا تلك الحصون بعضها ببعض بحائط غير منقطع. بالطبع لم يكن ذلك السور كافياً ليجعل العدو يعدل عن غزواته، إلا أنه كان يخيفه، ويسهل للمدافعين تنظيم صفوفهم، ويتيح لهم الوقت الكافي للمبادرة إلى المناطق المهددة.

وفي عام ٢٢١ قبل الميلاد تمكن حاكم من سلالة شين من تنصيب نفسه ديكتاتوراً مطلقاً لشمال الصين كله، أطلق على نفسه اسم «شين هوانغ تي» أي الإمبراطور الأول، وابتدأ بذلك حكم سلالة شين، ومع أن حكم هذه السلالة لم يدم أكثر من ١٤ سنة (من ٢٢١ ـ ٢٠٧ قبل الميلاد)، إلا أنه كان حكماً مركزياً قوياً.. وخلال هذه الفترة القصيرة تمكنت القوات الصينية من الاندفاع جنوباً، كما بنت أقنية ضخمة للري، واستكملت إنشاء سور الصين العظيم لحماية حدود الإمبراطورية الشمالية من هجمات البرابرة.

في أعقاب سلالة شين أتت إلى السلطة سلالة هان التي بادت بعد الميلاد بمئتي سنة، وأهم ما يميز حكم هذه السلالة أنها مدت سلطة البلاد جنوباً وشمالاً، وفي عهدها سيطر الصينيون أول مرة على أراضي آسيا الوسطى.

وقد بلغت حضارة سلالة هان ذروتها عندما تمكن الحرفيون الصينيون من اكتشاف الورق والبورسلان، وقد كتب الأدباء القصص والمعجمات، وصنع العلماء أدوات رصد الزلازل، ودرسوا البقع الشمسية.

بعدها تعاقبت على حكم الصين عدة سلالات كان آخرها سلالة شينغ (مانشو) التي استمرت في الحكم حتى عام ١٩١١م حيث سقط النظام الإمبراطوري الذي ساد البلاد أكثر من ٥٠٠٠ سنة، فأعلنت الجمهورية، وعندئذٍ ترسخت المقاومة الوطنية عبر مختلف الحركات والأحزاب المسلحة.

الإمبراطور الأول: شين هوانغ تي (٢٥٩ ـ ٢١٠ قبل الميلاد)

إن عملية توحيد الصين على يد حاكم شين في عام ٢١٠ كان لها وقع هائل لا يزال صداه مدوياً في جمهورية الصين الشعبية. والإمبراطور الأول شين هوانغ تي ألغى الإقطاع، وأسس أول إمبراطورية حقيقية.

وفي عام ٢١٤ قبل الميلاد أوعز الإمبراطور الأول ببدء الأعمال في مشروع سور الصين العظيم؛ وذلك بوصل الأجزاء الكثيرة التي كانت موجودة، والتي أنشأها الملوك



أوضاع مختلفة للجنود



تختلف الملامح بين تماثيل الجنود من الواحد إلى الآخر فالأول مبتسم والآخر صارم هادئ

الإقطاعيون في الولايات المختلفة سابقاً لمواجهة هجمات البرابرة.

ولإنجاز هذا العمل الضخم جنّد آلاف العمال الذين عملوا عشرات السنين لصنع سور منيع طوله ٢٤٠٠ كيلو متر من الأسوار المدعمة التي ارتفاعها سبعة أمتار، وعرضها ثلاثة أمتار ونصف المتر، يعلوها طريق للعربات الحربية محصنة

على مسافات معينة بمراكز حراسة وأبراج للمراقبة، علماً أنه موجود حالياً وفي حال جيدة، وهو يمتد اليوم من مقاطعة كناسو الجنوبية حتى ساحل بكين الشرقي.

من إنجازاته الأخرى أنه كان وراء إعداد صياغة موحدة للقانون، كما وحّد النقود المستعملة والمقاييس والأوزان ولغة الكتابة، ومع أن إمبراطوريته انتهت في غضون أربع سنوات من موته في عام ٢١٠ قبل الميلاد، إلا أنه وضع أساس النظام الإمبراطوري الصيني الذي استمر على مدى السنوات الألفين التالية، ومن اسم سلالته «شين» اشتق اسم الدولة على مر التاريخ: China.

ومع أن الإمبراطور الأول وهو في الثامنة والثلاثين من العمر، كان يحكم معظم أركان العالم المتمدن آنذاك، إلا أن أنظاره كانت تتطلع إلى أبعد من ذلك، إلى إمبراطورية عامة. وقد كتب المؤرخ الصيني القديم العظيم سيما كيان أن الإمبراطور شين الأول حاول أحياناً أن يبسط سلطته على العالم غير الإنساني كذلك. ففي إحدى المرات عندما بددت العاصفة جهوده لزيارة الجبل المقدس كيشانغ، فإنه أراد الانتقام من الجبل فأمر ٣٠٠٠ من أتباعه باقتطاع جميع أشجار الجبل، ثم أمر بأن يدهن الجبل العاري باللون الأحمر، وهو اللون الذي يصبغ به المجرمون !! وغضب الإمبراطور من الطبيعة يعكس شذوذًا في شخصيته. ومع أنه لم يكن يخشى شيئاً في حياته فقد تولد لديه شعور بالخوف الشديد من الموت، مما جعله يؤمن بالقوى الخفية للسحر والتنجيم، ولهذا السبب عمد إلى إرسال فرقة للبحث عن جزيرة الخالدين بغية الحصول على إكسير الخلود، ولتشبعه بأفكار الخلود العظيمة فإنه ابتدأ أيضاً ببرنامج واسع للبناء اشتمل على مجموعة قصور لسكنه ومقبرة خاصة له.

وقبل وفاته بسنتين أمر الإمبراطور بإنشاء قصر إمبراطوري ضخم، مما أدى إلى انشغال مئات الألوف من العمال ببنائه. ولم يكن المقر الإمبراطوري قد استكمل أعمال البناء عندما مات الإمبراطور.

ولم يبق الآن سوى الصالة الرئيسة من ذلك القصر الواسع. ولكن من الترتيب العام لأجزاء مقبرة الإمبراطور يمكننا أن نفهم نظرته إلى نظام عالمي خالد. وكما أشار سيما كيان، فإن الحجرة التي تضم رفات الإمبراطور كانت تمثل بدقة تفاصيل الكون الذي توقع أن يحكمه.

«لقد حفر العمال ثلاثة جداول تحت أرضية وأغلقوها بإحكام بالبرونز كي يصنعوا غرفة الدفن. وقد أمر الفنانون بتركيب أقواس متداخلة تطلق سهامها بشكل ميكانيكي على أي دخيل. وباستعمال الزئبق فقد تم تمثيل الممرات المائية





مشهدان آخران من صالة العرض الخاصة بتماثيل الجنود والخيول



للإمبراطورية: يانغري و الأنهار الصفراء وحتى المحيط العظيم ذاته، وجعلت تمر وتدور ميكانيكياً. وقد رسمت الشمس والكواكب السماوية في الأعلى بينما الأرض في الأسفل، كما زودت المصابيح بالوقود (بزيت الحوت) بحيث تستطيع أن تضيء إلى الأبد. وأخيراً فقد زرعت الأشجار والعشب على الأتربة المحيطة مما يجعلها تبدو مثل الجبل».

وبهذا الشكل احتلت مقبرة الإمبراطور مضلعاً طول كل ضلع من أضلاعه سبعة كيلومترات وبمساحة إجمالية قدرها ٥٦ كيلومتراً مربعاً.

في عهد الإمبراطور الأول شي هوانغ تي كانت الدولة تضم ٢٠ مليون نسمة، جنّد ٣ ملايين منهم في الخدمة العسكرية وسخّر ٧٠٠ ألف في تشييد قصوره، و٧٥٠ ألف آخرين في بناء ضريحه، وازدحمت المساحات التي تقوم عليها قصوره ومقبرته بجثث الآلاف من هؤلاء البنائين.

يذكر التاريخ شين هوانغ تي كإمبراطور مستبد وعملي أحرق جميع الكتب الموجودة باستثناء المؤلفات التي تعالج موضوعات الزراعة والطب والصيدلة. وبعد وفاة الإمبراطور الأول انهار الكيان السياسي بسرعة في ظل حكم الإمبراطور الثاني الضعيف الذي قتل عام ٢٠٧ فانتهى بذلك عهد أسرة شين.

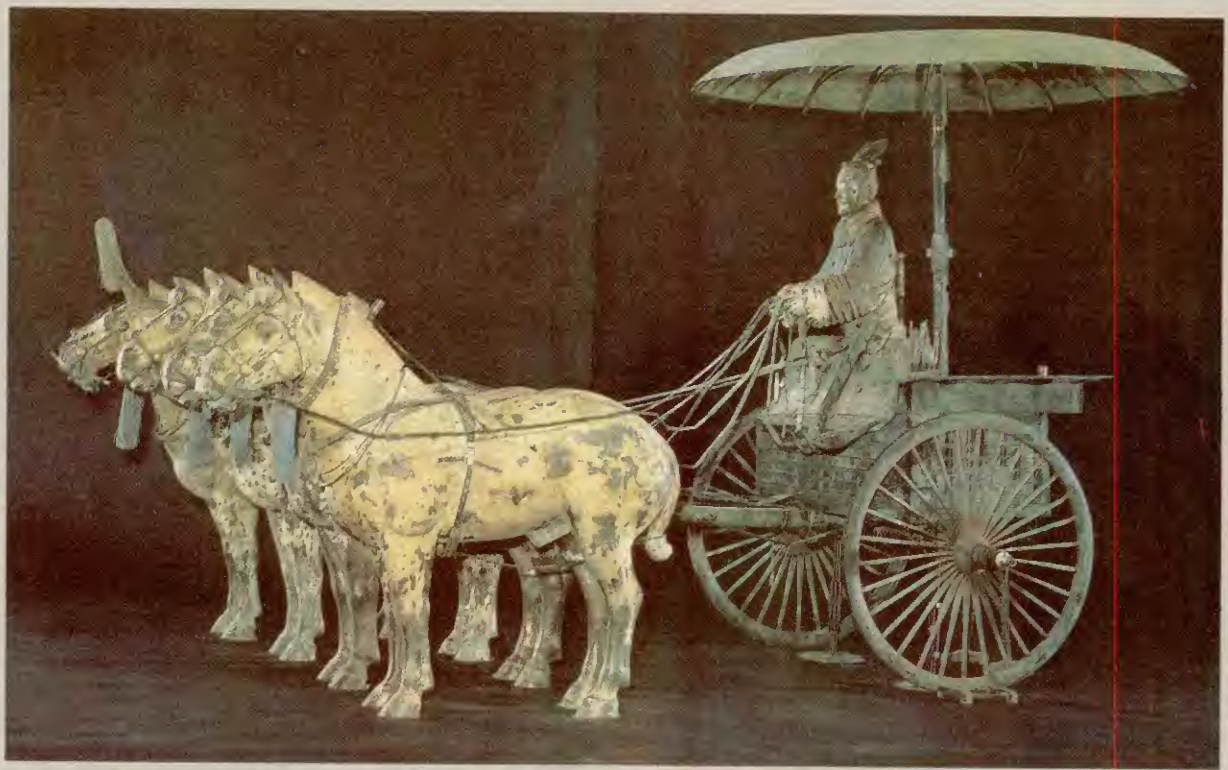
كان الهاجس الأكبر لأباطرة الصين - شأنهم شأن فراعنة مصر - هو البعث، لذا فقد بنى أباطرة الصين لأنفسهم قبوراً ضخمة كانت غرف الدفن فيها تبدو كأنها قصور تحت الأرض، وكانوا يدفنون معهم كنوزهم وكل ما يحتاجون إليه من أدوات وأطعمة ووسائل التسلية وتماثيل رجالهم والمقربين إليهم.. وكانت قبور الأباطرة تحفر تحت الأرض، وتمتد على مساحة واسعة تصل إلى عدة مئات من الأمتار المربعة.

في الثلث الأول من القرن الحالي تجمعت عدة دلائل تشير إلى أن المنطقة المحيطة بضريح الإمبراطور قد تكون تخبئ في أحشائها عدداً هائلاً من تماثيل فخارية لرجال الإمبراطور. ومع أنه عثر على تماثيل لخمسة من الخدم وهم راكعون، إلا أن الفكرة استبعدت تماماً، إلى أن أدت المصادفة دورها في عام ١٩٧٤م.

جيش من باطن الأرض

تتحدث الأساطير الإغريقية القديمة أن جاسون وهو قائد المغامرين خاض مع أتباعه معارك طاحنة ضد بيلياس في سبيل استرداد عرش أبيه آيسون.. وفي إحدى المواجهات كان جنود بيلياس يبرزون للقتال من ثنايا أسنان التنين المزروعة في الأرض.. لقد كانت الأرض تنشق عنهم من حيث لا يدري أحد.

والطريف أن الأسطورة الإغريقية انقلبت إلى حقيقة،



في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ اكتشفت عربتان برونزيتان ملونتان في غرب المقبرة، و لكل منهما أربعة خيول برونزية، إلى جانب تماثيل ضباط برونزية، و كل هذه التماثيل بحجم نصف الإنسان والعربة والخيل الحقيقي

وإنما على الأرض الصينية. ففي عام ١٩٧٤م ظهر بالمصادفة بالقرب من العاصمة القديمة شيبان، جيش كامل مصنوع من الفخار بقي مدفوناً على مدى أكثر من ألفي سنة.

لقد أراد إمبراطور الصين الأول شين هوانغ تي الحصول على الحماية في الدار الآخرة، ولهذا السبب أمر بصنع جيش كامل من الفخار بكامل أسلحته البرونزية وفرقة من الخيالة والمشاة والضباط والجنود ودروعها، وبالحجم الكامل مع الأحصنة والعربات الحقيقية.

وقد دفن الجيش بكامله آنذاك في صالات أنشئت تحت الأرض شرق المقبرة الواسعة التي أعدت كي تحتضن رفات موحد الصين الأول. بعدها وفي عام ١٩٧٤م، وبينما كان الفلاحون يحفرون الآبار ضمن أسوار المقبرة اكتشفوا جزءاً من صالة تحت الأرض، وكان قلبها المتهدم مملوءاً بمجموعة من تماثيل المحاربين والأحصنة الفخارية.

وقد بينت الحفريات اللاحقة لمنطقة الصالة هذه، التي أطلق عليها الحفرة رقم ١، أنها تمتد ٦٩٠ قدماً من الشرق و ٢٠٠ قدم من الشمال إلى الجنوب في سلسلة من ١١ خندقاً متوازياً و تتسع لـ ٦٠٠٠ شكل فخاري. وفي مطلع الثمانينيات تمت تغطية الصالة كلياً بهيكل معدني مناسب، وهكذا تحولت الصالة إلى متحف نظامي للجيش الفخاري حيث كان مدفوناً منذ أكثر من ألفي سنة.

يبلغ اتساع الصالة ـ المتحف نحو ٢٠ ألف متر مربع تضم ما يقارب ٨ آلاف تمثال من الفخار تمثل المحاربين و ٦٠٠ من الخيول الصلصالية و١٢٥ عربة حربية مصنوعة من الخشب.

وحسب ترتيب الفرق والأشخاص نفهم أن التشكيل العسكري مرتب في وضعية الاستعداد والتأهب للمعركة. ففي النهاية الشرقية للصالة هناك طليعة من حملة السهام من دون دروع، وهؤلاء تستعمل أسلحتهم للرماية من مسافات بعيدة في أي اشتباك. ووراء المجموعة الطليعية هذه هناك مجموعتان إضافيتان من رماة الأسهم: المجموعة الأولى ووجهها نحو الخارج مستعدة لتقاوم هجمات الأعداء المفاجئة على ميمنة الجيش أو ميسرته. والمجموعة الثانية داخلية، وجهها نحو الأمام لمساندة القوات الحليفة عند الهجوم. وبين



مقبرة الإمبراطور الأول وهي تبدو على شكل هرم ضخم من الأعلى بصفتها المثوى الأخير لإمبراطور الصين الأول

مجموعات الرماة يقف قلب الجيش: ٧٨ طابوراً من المشاة اللابسي الدروع تتخللها ٣٨ عربة حربية يجرها مائة وأربعون من الحصن. وكل عربة يجرها فريق من ٤ أحصنة فخارية بالحجم الكامل، يقودها سائق العربة مع محارب رام. وتتم حماية مؤخرة التشكيل بواسطة ثلاثة صفوف من المشاة ذوي الدروع. وفي تقدير الاختصاصيين يحتاج الأمر من ٣ ـ ٥ سنوات لاستكمال التنقيب وترميم الحفرة رقم /١/، وفي مايو/ أيار عام ١٩٧٦م تم اكتشاف مجمع ثان تحت الأرض (الحفرة رقم ٢) إلى شمال النهاية الشرقية من الحفرة رقم/١/ نحو ٦٥ قدماً ويقدر عدد الأشخاص فيها بأكثر من ١٤٠٠ مقاتل وحصان. وهناك حفرة أصغر (الحفرة رقم ٣) واقعة إلى شمال النهاية الغربية من الحفرة رقم /١/ مباشرة وهي تحتوي على ٦٨ شخصاً فقط، وعلى ما يبدو فإنها تمثل وحدة القيادة للفيلق. وقد وجدت حفرة رابعة فارغة، مما يوحي أن العمل في إنشاء الجيش الفخاري قد أوقف قبل انتهائه.

وعلى الرغم من العدد المذهل من الأشخاص في هذا الجيش الفخاري فإن المقاتلين والأحصنة لم تصنع بواسطة الصب، وإنما صنع كل منها من قطع من الغضار الخشن ذي اللون الرمادي بجذع أجوف مدعم بساقين عموديتين صلبتين.

ومن أجل إكساب الشكل الخارجي منظره الأملس فقد استعملت طبقة من الغضار الناعم. ولأن ذراعي كل محارب ورأسه وكذلك ذنب الخيول وشعورها كانت مختلفة عن القطع الأخرى المجاورة لها، فقد استنتج العلماء أن كلاً من هذه القطع صنع بشكل منفصل ثم أضيف إلى قطع الغضار الأخرى. أما الآذان والشعر وعناصر الدرع فقد طبقت عندما كان الغضار طرياً، و يقدر العلماء أن الأشكال كلها قد سلطت عليها حرارة عالية بعد تجميعها بشكل نهائي ثم طليت بألوان براقة تم تجهيزها مسبقًا. ولحسن الحظ فقد وجدت على القطع الفخارية كميات كافية من الدهان مما يسمح لعلماء الآثار بترميمها وإعادة كثير منها إلى لونها الزاهي السابق.

ويستدل من طريقة وقوف الجيش أن العناصر مصطفة وفق تشكيل مناسب من أجل الاستعراض الإمبراطوري. ومعظمهم واقف في وضعية التأهب والاستعداد، وبعضهم


جانب من سور الصين العظيم

الآخر جاث على ركبته أو يمشي الهوينا أو يقود العربة أو ممسك بزمام الحصان أو يتأهب للقتال بالسلاح الأبيض. ويلاحظ أن كل الجنود المشاة ذوو قامات متساوية بطول ١,٨ متر مثل طول الإنسان. ومما لا شك فيه أن منظر الجيش الفخاري العرمرم فريد وليس له مثيل في تاريخ الإنسانية، إلا أن المثير حقاً هو الانطباعات الإنسانية المتبادلة المرتسمة على وجوه المقاتلين، فالنحت دقيق إلى درجة مذهلة وهو يصور انطباعات الحياة بكل تباينها.. فالعيون محدقة توحي بالثقة والذكاء، والآذان ذات شكل غضروفي دقيق،وتصفيفات الشعر تظهر نماذج واضحة من أجل الضفائر وعقد الرأس. وعلى الرغم من هذه الواقعية المتميزة، فإن معظم الوجوه تتشابه في شكلها المشترك الذي يتميز بجبين عال منبسط وحاجب مقوس فوق أعين غائرة ووجنات ظاهرة وأنوف مملوءة. وعلى ما يبدو فإن الفنانين الصينيين القدماء عمدوا بغية تغيير وجوه الرجال إلى تعديل تصفيفة الشعر ووضعية السوالف، ولم ينسوا مع ذلك تغيير الانطباعات المرسومة على الأوجه وذلك حسب أهمية كل فرد ومكانته في الجيش، فقائد الحرس مثلاً ذو تصفيفة شعر متميزة، كما أن الانطباعات الموجودة على وجهه توحي بأنه من أصحاب الأمر والنهي.

والأشخاص الفخاريون من سلالة شين هم أقدم تماثيل بالمقياس الكبير المعروف في الصين، ومن ثم يتوقع أن يقدم هذا الاكتشاف مادة كافية من أجل فصول جديدة لدراسة فنون النحت الصينية، وبالمثل فهذه المادة تمثل فصلاً غنياً في تاريخ الصين يوضح بالصورة والبيان التنظيم العسكري القديم ويلقي نظرة على العتاد العسكري الذي كان سائداً آنذاك وعلى التكتيكات وتشكيلات القتال بالإضافة إلى لباس الحرب العسكري.

أما الأسلحة والدروع والسهام والسيوف والأقواس والمجانيق فتبدو في هيئة راقية إلى حد بعيد، ويدل على ذلك ما يقرب من عشرة آلاف من تلك الأسلحة التي يحملها عساكر الفيلق، وهي تضم آلات القتال الطويلة والقصيرة وآلات الرمي البعيد. وما تزال بعض سيوف الضباط مصقولة كأنها حديثة السبك مع أنها مطمورة منذ ألفي سنة..

أما بالنسبة إلى الإمبراطور الأول، فإن جيشه المصنوع من الطين الفخاري يخرجه من زوايا النسيان أخيراً إلى الخلود الذي كان يتمناه ويسعى إليه.

المراجع

1 - Terra - Cotta warriors and horses at the tomb of Qin shi Huanang , the first emperor of china . Cultural relics publishing house . china 1987.

2-Smithsonian. The emperors - cotta army . R . D,May 1980 p.94.

3-A short history of archeology . Discover , Dec 1981 p.98

٤ـ استطلاع سليمان مظهر من شيان إلى سيشوان، مولود واحد يكفي. العربي، العدد ٣٥٩، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٨.

٥ـ موسوعة بهجة المعرفة.

٦ـ موسوعة قصة الحضارة.

7 - The Encyclopedia of World knowledge vol 13p. 1914.

8 ـ موسوعة الموسوعة. العدد رقم ٣ ص ٤٨٦.

9 - Harver General knowledge encyclopedia.

القلاع التاريخية في محافظة الطائف

حمّاد بن حامد السالمي
الطائف ـ السعودية

الطائف.. مدينة تاريخية حضرية قديمة مشهورة في جزيرة العرب، تقع في السفوح الشرقية لسراة الطائف ـ سراتها الممتدة من الجنوب إلى الشمال، بينها وبين تهامة ـ وتعتلي قمة جبل غزوان؛ الذي هو جبلها المعروف؛ على بعد ٨٠ كم من مكة المكرمة شرقًا. وقد كان لهذه المدينة على مر الأزمنة تاريخ حافل بالحوادث التاريخية في العصرين الجاهلي والإسلامي؛ وذلك بسبب موقعها الإستراتيجي المهم، وبسبب خيراتها الزراعية الوافرة، وكذلك بسبب قربها من مكة، وتأثيرها في حوادثها الدينية والحربية، وما لقبيلة ثقيف من ثقل وأهمية عبر العصور التي سبقت أو تلت الرسالة المحمدية.



باب الحزم في سور الطائف الذي هدم سنة ١٣٦٨هـ وخلفه بيت إسماعيل

أما الطائف في يومنا هذا فهي مدينة شهيرة من مدن المملكة العربية السعودية، بل هي مصيفها الأول، وحاضرة محافظة الطائف في منطقة مكة المكرمة، وتعد من أكبر محافظات المملكة وأوسعها، فيتبعها نحو ٣٢ مركزًا إداريًا، ويبلغ عدد سكانها (١.٣٠٠.٠٠٠) نسمة، يعملون في ميادين الزراعة والرعي والتجارة والسياحة، إلى جانب الوظائف الإدارية والعسكرية.



الواجهة الغربية لقلعة الطائف (القشلة)

وتبلغ مساحتها الجغرافية؛ (٨٧٥٠٠ كم٢)، أي ما يساوي تسعة أضعاف مساحة دولة قطر الشقيقة.

ومدينة بهذا التاريخ العريق والحجم الكبير كانت محط الأنظار منذ القدم، ولهذا عرفت الأسوار والحوائط والحصون، وعرفت كذلك القلاع العسكرية والحربية. وما نحن بصدده في هذا المبحث لا يشكل إلا النزر اليسير مما ذكر عرضًا عند المؤرخين والجغرافيين، أو بقي منه هنا أو هناك على أرض الطائف الشاسعة. وسوف أتحدث هنا عما اصطلح على تسميته بـ (قلعة)، مع يقيني التام أن مئات الحصون العظيمة في قرى الطائف، سواء المتبقي منها أو المندثر، إنما كانت هي القلاع التي تبنى في القمم العالية، وفي وسط القرى السكنية لحماية أهل القرية فهم يتحصنون فيها مع أهلهم وأرزاقهم وذخيرتهم، ويقتنصون أعداءهم من تلك الفوهات الصغيرة في جدرانها. ولهذه الحصون التي رصدتها بـ (الكاميرا) وبالبحث والدراسة مؤخراً، حديث آخر في مبحث آخر، إن شاء الله(١).

القَلْعَة والقِلاَع.. وصلتها بالطائف

القَلْعة في اللغة : الحصن الممتنع في الجبل، والجمع : قلاع وقلوع(٢). وهي : طراز من الحصون شاع استخدامه في العصور الوسطى، وكان يقوم بوظيفتي : المسكن والحصن، ودعت إليه ظروف الحياة في تلك العصور التي كثر خلالها القتال، وكان يراعى في اختيار مواقعها شروط من أهمها : العلو؛ وذلك للتحكم في الأراضي المحيطة بها؛ فقد كان الرومنديون أول من أقامها في القرنين العاشر والحادي عشر. وأول قلعة صارت نموذجًا يحتذى؛ هي التي شيدها (وليم)؛ عم الملك (وليم الفاتح) في (آرك)؛ في نورمنديا. وعرف

أطلال قلعة كُنداث في كلاخ



بوابة في قلعة كُنداث في كلاخ

طراز القلاع في الشرق العربي في أيام الأيوبيين في سورية ومصر، ومنها : قلعة الجبل عام ١١٧٦م، وقلعة حلب عام ١١٧٢م.

وقد اهتم المسلمون بتشييد القلاع، وخاصة في القرن الثاني عشر. مع اتساع الدولة الإسلامية وانفتاحها على أوروبا والجهات الشرقية والشمالية من القارة الآسيوية(٣).

والطائف كانت منذ العصر الجاهلي تتمتع بأهمية سياسية وعسكرية، فقد ظلت هدفًا للقبائل التي تغزوها طمعًا في خيراتها الزراعية التي تجنى من واديها الشهير (وج)، حيث تقوم زراعة الكروم على أيدي

أبناء قبيلة ثقيف، وهذا ما حدا بهذه القبيلة إلى أن تفكر في وسيلة ناجعة تصد بها هذه الهجمات الخطيرة، فكان (الطائف) أو (الطوف) هو الحائط الذي بنوه وشيّدوه حول مدينتهم، وتسبب في ظهور اسم جديد لمدينتهم؛ فقد تحولت من (وج) إلى (الطائف).

وعندما دخلت قبيلة ثقيف في الإسلام وأضحت الطائف جزءاً من الدولة الإسلامية سنة ٩ هجرية تحولت إلى ثغر مهم يزود جنوب الجزيرة العربية، وحضرموت وعمان، وكذلك البحرين وكثيراً من البلدان بالقادة والأمراء والجيوش، وفي العصور التي تلت وبخاصة أيام الدولة العثمانية والتركية وحكم الأشراف المتقطع لها، برزت الطائف عسكرياً بشكل لافت، فشيدت بها ثكنة (القشلة) وتبع ذلك قلاع في قرى وأودية حولها(٤).

ومن أهم هذه القلاع التاريخية وأشهرها:

قَلْعَة بِسِل:

النسبة إلى موضع. وهو وادي بِسل الشهير الذي ينحدر من مرتفعات في بني سعد جنوباً، ويتجه شرقاً ثم شمالاً على بعد نحو (٦٠كم) من جنوب الطائف، ماراً بديار الجعدة والحمية، ثم النفعة في كلاخ. والاسم مأخوذ على ما يبدو من: (البِسلّة)، وهي بقل زراعي حولي من القرنيات الفراشية كانت تزرع في ذلك الوادي بكثرة؛ أو لأن هذا الوادي كان كثير (البُسلاء)، جمع (باسل)، وهو الأسد(٥).

وهذه القلعة ورد ذكرها عند بعض الجغرافيين والمؤرخين بهذا الاسم، بينما هي القلعة التي تعتلي جبل (كُنداث) في طرف وادي كلاخ الذي ينتهي إليه وادي بسل. فهذه إذن (قلعة كُنْداث). انظرها لا حقاً في موضعها(٦).

قَلْعة حفر كُشب:

النسبة إلى موضع هو الحفر. والحفر موضع فيه اليوم سكان ومركزان إداريان من جنوب كشب. وكشب حرة على بعد ٢٦٠ كم من شمال الطائف، يفرق إليها طريق من طريق الطائف الرياض قبل الوصول إلى المويه، وهذا المفرق هو مفرق أم الدوم ومران ودغيبجة، وبقية الجهات في هذه النواحي بطرف حرة كشب. وفي حرة كشب هذه، مقلع في جبلها يسمى مقلع طمية، وإلى الغرب من هذا المقلع بنحو ١٠كم يقوم بنيان حجري، يعتقد أنه كان قلعة حربية على الطريق بين مكة والشرق؛ لأن درب الحاج العراقي يمرّ قريباً من هنا(٧).

قَلْعَة شَائِق:

النسبة إلى ما يشوق الإنسان بجماله وحسنه.

تعرف أيضاً باسم قلعة العرفاء، وقلعة الشريف، وقلعة جبل العرف، وتقع هذه القلعة بالطرف الشمالي الغربي من جبل العرف، الذي يقابل المطار العسكري بالحوية، على بعد نحو ٤٠ كم من شرق الطائف. وقد بنيت على الأرجح في القرن الثاني عشر الهجري، على مساحة مستطيلة الشكل، ويتميز تصميمها بوجود برجين: أحدهما في الركن الشمالي الغربي، والآخر في الركن الجنوبي الشرقي، وقد بنيا بالأحجار المرصوصة رصاً محكماً، بينما بني القسم العلوي باللبن، كما زينت الحافة العلوية للبرجين بأحجار المرو على شكل مثلثات متتابعة(٨).

البرج الجنوبي في قلعة العزيزية



أطلال وبقايا من قلعة شانق

قَلْعَة الشَّرِيف:

النسبة إلى علم، وهو أحد حكام الأشراف في عهدهم. يذكر الشريف مطلقاً هكذا.

وهي قلعة حربية قديمة من العهد السابق. بهذا الاسم حددها قسم الآثار بالطائف، وذكر أنها كانت تقع إلى الشمال الغربي من مدينة الطائف على بعد ٨ كم(٩).

قلت: لعلها تلك التي كانت حول حصن (الهجوم)، أو حصن (المليساء) في وادي القيم (لُقيم)، حيث دارت معارك عنيفة بين شريف مكة وقبيلة الحمدة وأحلافهم من ثقيف في القرنين السابع والحادي عشر.

قَلْعَة الطَّائِف:

النسبة إلى الطائف المدينة.

هي القشلة، أو ما كان يعرف بـ (قشلاق الطائف)، وخورشيد باشا هو الذي بناها. يقول الحضراوي: ثم إنه عمّر قلعة الطائف، وجعل فيها مسجداً، وجعل فيها سائر دوائر الحكومة، وما يتعلق بها، والخزينة. فكانت لطيفة منه، وكان ذلك سنة ١٢٨٨هـ(١٠).

والقشلاق: لفظة تركية تعني الثكنة منسوبة إلى الطائف. وهي نفسها القشلة التي كانت بطرف باب الريع من شمال غرب الطائف القديم. قلعة وثكنة عسكرية بناها الأتراك. ثم هدمت وتحولت إلى مجمع للوزارات بعد سنة ١٣٩٤هـ.

وهي قشلاق الطائف والهجلة، وكانت قائمة خارج السور بين باب الريع والعزيزية. والهجلة بناها الأتراك لجيشهم، وقد نفى السلطان عبد الحميد إليها أحد عشر رجلاً من الاتحاديين، منهم: مدحت باشا، الصدر الأعظم، ومحمود باشا الدامار، وخير الله أفندي شيخ الإسلام، وكان قد أفتى بخلع عبد الحميد، وقد اغتيل مدحت ومحمود هناك سنة ١٢٩٧هـ، وذلك في عهد إمارة الشريف عبد المطلب.

وقد ظلت هذه القلعة (القشلة)؛ قائمة وعامرة، فاتخذها الأشراف بعد الثورة، ثم السعوديون من بعدهم حتى تاريخ هدمها سنة ١٣٩٤هـ(١١). وسجن بهذه القلعة أيضاً عثمان بن عبد الرحمن المضايفي العدواني، أمير الطائف والحجاز ١٢١٩ـ ١٢٢٩هـ(١٢).



مواقع أشهر القلاع حول الطائف (المصدر: المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف - رسم الكاتب)

قَلْعَة العَزِيزِيَّة:

النسبة إلى علم، وهو الملك عبد العزيز آل سعود .

قلعة حربية كانت قائمة بطرف جبل العقيق من جنوبه الشرقي، مما يلي حي العزيزية، وهي اليوم ضمن أملاك القوات المسلحة، وفيها قيادة الطائف العسكرية(١٣).

تقع هذه القلعة على أحد الجبال الواقعة شمال حي العزيزية بالطائف، وقد بنيت على الأرجح في القرن الثاني عشر الهجري، ولم يتبق منها إلا جزء من ضلعها الغربي بطول ١١م، والبرج الواقع في الركن الجنوبي الغربي، الذي صمم على هيئة دائرية؛ قطره ٧ أمتار، وارتفاعه ١٠ أمتار، وبه فتحات معقودة من منتصفه، استخدمت على الأرجح للمدافع، إضافة إلى المزاغل، وبخاصة في الضلع المتبقي من القلعة، وقد بني هذا الضلع، وكذلك البرج، بالأحجار المرصوصة بإحكام شديد، وحشي ما بينها بأحجار الدبش والمونة(١٤).

قلت : وهذه هي التي يشار إليها في بعض المصادر بـ (القشلة الشمالية). فهي قلعة رديفة لـ (القشلاق) الذي كان، وما يربط بينهما من سرداب أو نفق أرضي دليل على صحة ذلك.

قَلْعَة كُنْدَاث:

النسبة إلى موضع، وهو اسم جبل.

تقع في شرق وادي كلاخ، على قمة جبل كُنداث، وقد وردت في مصادر تلك الفترة باسم (قلعة بسل) كما أسلفنا سابقًا. وهو غير صحيح، بناها العثمانيون في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، وهي مكونة من أبراج مراقبة، وتحصينات ومرامٍ للمدفعية، ومخازن، ومهاجع للجند، وإسطبلات للخيول، وبركة ماء في أعلى قمة الجبل، والقلعة في حالة سيئة، فقد تهدمت معظم مبانيها(١٥).

قَلْعَة المَثْنَاة:

النسبة إلى موضع، وكان ضاحية زراعية في أعلى الطائف. ومثناة الوادي منعطفه أو وسطه.

وهي قلعة حربية كانت تقوم على تَبَّة مرتفعة بطرف المثناة الغربي من جهة حي البهجة، اتخذها الشريف عبد المطلب بن غالب مأرزاً له. وفي سنة ١٢٩٩هـ جاء تلغراف بتولية (عثمان نوري باشا)، وكان بالطائف، فجهز حملة عسكرية عليه في هذه القلعة في المثناة،

وقبض عليه. وتولى الشريف عبد الإله نجل الشريف محمد بن عبد المعين بن عون. ويصف الشاعر أحمد حمدي أفندي، ناظر التكية السلطانية أيام عون الرفيق هذه الموقعة بالمثناة فيقول:

مدافع ركبت بليل
من حولهم للورى كثير
وحبذا بأس ألم فوراً
أسرى به الباسل الوقور
عثمان قطر الحجاز حقّاً
ومن هو الآمر المشير
تمنطقوا بالسيوف بيضاً
لها ضراب بها شهير
وأنشبوا للحرب جهراً
بنادقٌ حشوها السعير(١٦)

قلت: وفي هذا الشعر اضطراب واضح، مما يدل على أنه ترجمة لأصل كان باللغة التركية.

وكان من ضمن هذه القلعة حصن يسمى حصن (أبو الأخيلة)، على اسم الجبل الذي تعتليه القلعة، ويطلق عليه كذلك حصن جويعد، ولهذا الحصن قصة طويلة في المواجهات بين الشريف ابن عجلان وقبيلة الحمدة من ثقيف.

قَلْعَة المَحَاني:

النسبة إلى موضع في منحنى الوادي، أي: منعطفه.

والمحاني: مركز إداري في شمال الطائف، على بعد نحو ١٩٥كم، من أسفل وادي العقيق - عقيق عشيرة - وقسم الآثار بالطائف رصد به قلعة حربية، لا بد أن لها صلة بدرب الحاج العراقي، درب الكوفة(١٧).

وقد شاهدت بقايا من هذه القلعة، وهي لا تزيد على جدران متهدمة تم بناؤها بواسطة حجر الحرات الأسود والطين.

قلعة المضايفي:

النسبة إلى علم.

قال إبراهيم الزيد: وهي تنسب إلى الأمير عثمان المضايفي العدواني؛ أمير الطائف والحجاز، وهي قلعة عالية أقامها في باب الريع، في غرب المدينة القديمة على تل مرتفع، وقد هدمت في سنة ١٣٨٩هـ، وكانت قلعة كبيرة محصنة قوية البنيان من الحجر. وكانت مقراً للبوليس الحربي في الطائف في هذه الدولة. وقد بنيت في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود (١٨).

قلت: وإذن.. هي خلاف القشلة - وخلاف قلعة العزيزية المتقدم ذكرها.

المراجع

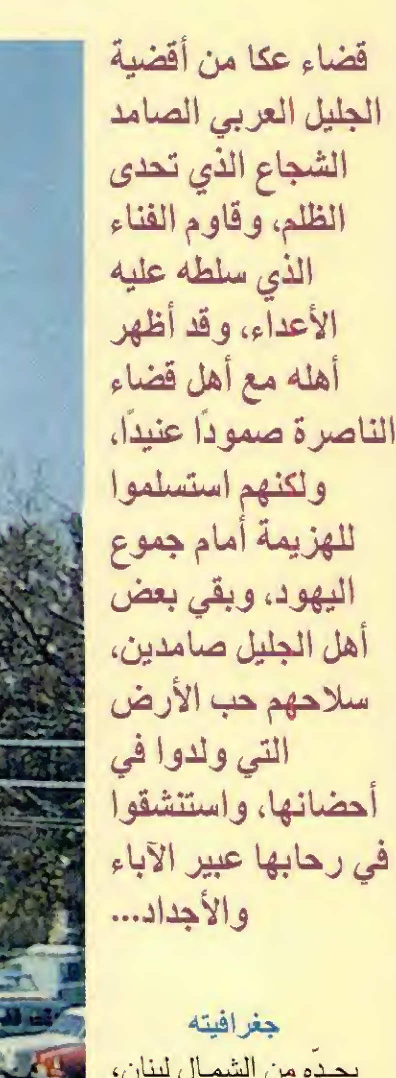
١. المعجم الأثري لمحافظة الطائف، د. ناصر بن علي الحارثي، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، الطائف ١٤٢٣هـ (مادة حصن).
٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، (قلع)، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، الدار العربية، بيروت ١٩٨٠م، (قلع).
٣. الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين، بيروت، والموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، (قلعة)
٤. انظر كتابنا: «المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف»، مواد: (الطائف - محافظة الطائف - وج).
٥. الطائف.. مدينة في مرحلة انتقال وتحول، د. عبد المجيد داغستاني، وزارة الإعلام، ١٤٠١هـ، والقاموس المحيط، مادة (بسل).
٦. المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف، حمّاد بن حامد السالمي، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، الطائف١٤٢٣هـ (قلعة).
٧. الطائف بين الموروثات والمستجدات، صالح الجودي، الطائف١٤١٣هـ، ص١٣٩، والمعجم الجغرافي (قلعة).
٨. المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف، مادة (قلعة)، والمعجم الأثري ص١٠٣.
٩. الطائف بين الموروثات والمستجدات ص١٣٩.
١٠. أعلام الحجاز، محمد علي مغربي، دار العلم، جدة ١٤٠٥هـ ٣/٩٥.
١١. معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادي، دار مكة، مكة ١٣٩٨هـ، ٧/١٣٢، وتاريخ مكة، أحمد السباعي، نادي مكة الثقافي، مكة ١٤١٤هـ، ص٥٤٥.
١٢. عثمان المضايفي؛ أمير الطائف والحجاز في عهد الدولة السعودية الأولى، د. إبراهيم بن محمد الزيد، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، الطائف ١٤٢٣هـ، ص٤٢.
١٣. الطائف بين الموروثات والمستجدات ص١٣٧.
١٤. المعجم الأثري ص١٠٦.
١٥. المعجم الجغرافي لمحافظة الطائف، مادة (قلعة)، والمعجم الأثري ص ١٠٦، وتاريخ أمراء البلد الحرام ص٣٦١.
١٦. الشوق الطائف حول قطر الطائف، حمّاد بن حامد السالمي، إصدار لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، الطائف ١٤٢٠هـ، ق٢، ج١ ص٤٣١، وتاريخ أمراء البلد الحرام، عبدالفتاح بن حسين راوة، مكتبة المعارف، الطائف ١٤٠٧هـ، ص٣٦١.
١٧. الطائف بين الموروثات والمستجدات ص١٣٩.
١٨. عثمان المضايفي ص٤٤.

مصادر الصور: كتاب «الطائف في مرحلة انتقال وتحول» والكاتب.

عكا قاهرة الغزاة

محمود إبراهيم الصمادي

دمشق - سورية



قضاء عكا من أقضية الجليل العربي الصامد الشجاع الذي تحدى الظلم، وقاوم الفناء الذي سلطه عليه الأعداء، وقد أظهر أهله مع أهل قضاء الناصرة صموداً عنيداً، ولكنهم استسلموا للهزيمة أمام جموع اليهود، وبقي بعض أهل الجليل صامدين، سلاحهم حب الأرض التي ولدوا في أحضانها، واستنشقوا في رحابها عبير الآباء والأجداد...

جغرافيته

يحدّه من الشمال لبنان، ومن الغرب البحر المتوسط، ومن الشرق قضاء صفد، وقضاء طبرية، ومن الجنوب قضاء الناصرة.



مسجد الجزار






ملامح من مدينة عكا

وفي آخر التقسيمات الإدارية عام ١٩٤٥م كان القضاء يضم مدينة عكا و٥٢ قرية وثماني عشائر. وقرى قضاء عكا هي: «أبو سنان، وعمقا، وعرابة، والبصّة، وبيت جنّ، وعين الأسد، والبعنة، والبُقيعة، والدامون، ودير الأسد، ودير حنا، وفسوطة، ودير القاسي، والمنصورة، والغابسية، والشيخ داود، والشيخ دنون، وإقرت، وجتّ، وجُديدة، وجولس، وكابول، وكفر عنان، وكفر سُمَيْع، وكفر ياسيف، وكسرى، وكويكات، ومجد والكروم، والمكر، والمنشية، والمزرعة، ومعار، ومعليا، ونحف، والنهر، والرامة، والرويس، وسجور، وسَخْنين، وشعب، وسحماتا، والسومرية، وتمرة، وتربيخا، وترشيحا، والكابري، وأم الفرج، ويانوح، والزيب، والمنوات، ويركا».

والعشائر هي: العرامشة، والفليكات، والحُجيرات، والمريسات، والسمنية، والسواعد، والصويطات.

مناطقه الطبيعية

يشتمل هذا القضاء على منطقتين طبيعيتين: الساحل والسهل في غربه، والجبال في شرقه.

الساحل: يمتد ساحل قضاء عكا من رأس الناقورة إلى مدينة عكا، لمسافة طولها (٢١كم).

السهل: يُعرف بسهل عكا، ويمتد من شمال حيفا، وينبسط بين البحر والتلال حتى حدود لبنان. وطوله نحو (٤٠كم)، وعرضه يراوح بين (٧ و ١٦كم)، وتبلغ مساحته (٣١٦ كم٢). وهو سهل خصب تكثر فيه زراعة الحبوب والحمضيات والفواكه والنخيل وأنواع الخضراوات.

وتروي سهل عكا عدة أودية صغيرة تجعله خصبًا، وهذه الأودية من الشمال إلى الجنوب هي:

- وادي كركرة، مضافًا إلى خربة كركرة، يسميه اليهود «ناهال يصت» نسبة إلى المستعمرة التي أقيمت عام ١٩٤٩م مكان قرية البصة العربية.
- وادي القرْن: ويتألف من واديين: وادي جنّ، ووادي البُقيعة.
- وادي الصعاليك: ويسميه اليهود (ناهال شآل).

ـ الكابري: عيون تقع في الشمال الشرقي من عكا، سحبت مياهها إلى عكا في عهد أحمد الجزار الذي امتد حكمه من ١٧٧٥ ـ ١٨٠٤م.
ـ وادي المفشوخ، أو وادي جعتون.
ـ وادي مجنونة، والمجنونة: بمعنى النخلة المفرطة في الطول.
ـ وادي غمية.
ـ نهر النعامين.
ـ نهر المقطع.

جباله

تقع شرق قضاء عكا، وتشكل القسم الغربي من جبال الجليل.

ومن قمم هذه الجبال:
ـ جبل حيدر: ويقع في الشمال الشرقي من قرية الرامة.
ـ جبل عروس.
ـ تل الرويسي في ظاهر قرية دير القاسي الشمالي




خان العمدان

الشرقي.
ـ تلاعب الراهب في الشمال الغربي من قرية المنصورة على الحدود اللبنانية.
ـ جبال البُقيعة: في شمال قرية البقيعة.
ـ جبال نحف: إلى الشمال من قرية نحف.
ـ جبال كمّانا في جنوب الرامة، في منطقة الشاغور.
جبل جلون: في الشمال من شعب.

وتعد قرية بيت «جن» المرتفعة ١٩٥٥م أعلى قرية في قضاء عكا.

وهناك سهول تتخلل هذه الجبال منها: سهل البطوف، وسهل عرابة، وسهل الرامة، وسهل البقيعة، وسهل مجد الكروم، وسهل سخنين.


عكا تعانق البحر

من تاريخ عكا

من أقدم النصوص التاريخية التي ورد فيها اسم عكا «نصوص اللعنات» التي ترجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وهي نصوص مصرية قديمة منقوشة على جرار فخارية تذكر أسماء البلاد والحكام من أعداء الفراعنة. وكانت هذه الجرار تحطم في طقس سحري خاص إذ كانوا يعتقدون أن ذلك يلحق الأذى بصاحب الاسم المذكور عليها. وجاء في هذه النصوص: «توري آمو، حاكم عكا وجميع بطانته».

وإذا كان اسم مملكة عكا مخيفاً للفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، فإن ذلك يعني أن مملكة عكا كانت ذات شأن عظيم قبل هذا التاريخ بزمن طويل.

ووجود هذا الاسم العربي الكنعاني في هذا التاريخ، يدل على أن عكا كانت موجودة باسمها قبل أن يُخلق بنو إسرائيل، وقبل التاريخ الذي اختلقوه لأنفسهم.

ووجد اسم عكا فيما بعد في نصوص «تل العمارنة» التي تمثل حقبة القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ سابق أيضاً لوجود موسى عليه السلام وقومه، مما يدل على أنه لا علاقة بين أسماء المدن والقرى الفلسطينية من جهة، وبني إسرائيل من جهة أخرى، فأسماء المدن والقرى الفلسطينية أسماء عربية كنعانية، سرقها اليهود وادعوها لأنفسهم وأدخلوها فيما يسمى «اللغة العبرية».

فمدينة عكا من أقدم مدن العالم، أقامها العرب



سور عكا القديم من الجهة الجنوبية الشرقية، ويظهر ناقوس إحدى الكنائس

الكنعانيون «الفينيقيون» الذين عمروا بلاد الشام من أول وجود البشرية على ظهر الأرض. لم يهاجروا إلى فلسطين من مكان آخر من بلاد العرب، وإنما نشؤوا على هذه الأرض، ولا يعرف التاريخ لهم سابقًا.

دعاها بناتها العرب الكنعانيون «عكو» وهي كلمة عربية كنعانية معناها «رمل حار» و«العك» شدة الحرّ. وعككته عكّا: إذا حبسته عن حاجته، و«عك» قبيلة عربية قحطانية.

وعند دخول قوم موسى ـ عليه السلام ـ بعد وفاته إلى فلسطين لم تطأ أقدامهم أرض عكا، والساحل بعامة، حيث بقي الساحل الشمالي تابعًا للعرب الكنعانيين الفينيقيين، كما كان القسم الجنوبي تحت سيطرة الفلسطينيين.

ومر عليها فيما بعد الآشوريون، والفرس، واليونان، والرومان، فبقيت محافظة على طابعها الثقافي الكنعاني. ويروي المؤرخ الروماني «بلني» المتوفى عام ١١٣م أن أهل عكا العرب الجرجاشيين الكنعانيين هم الذين اكتشفوا صناعة الزجاج عندما نزل ملاحو سفينة لهم محملة بنترات البوتاسيوم (القلي) على شواطئ عكا ذات الرمال الناعمة، وجعلوا من كتل البوتاسيوم أثافيّ يضعون القدر عليها لطهو طعامهم، وأضرموا النار فاختلطت نترات البوتاسيوم بالرمال فكان الزجاج. كذلك التقطوا من على شواطئها أجود أنواع الموركس الذي استخرجوا منه صباغ الأرجوان.

عادت عكا إلى أحضان أهلها العرب على يد شُرَحبيل بن حَسَنَة سنة ١٦هـ/ ٦٣٦م. ولما أصبح


منظر عام لعكا

معاوية بن أبي سفيان واليًا على الشام سنة ٢٠هـ وجد أن الجيوش البرية لا تكفي وحدها لحماية المناطق الساحلية، فعزم على إنشاء أسطول بحري، وتم له ذلك عندما ظفر في عكا بأحواض لبناء السفن من العهد البيزنطي، فعمد إلى تشغيلها، وبذلك أصبحت عكا الأولى في صناعة السفن بعد دار الصناعة في الإسكندرية. وجر معاوية من ميناء عكا الحملة البحرية الأولى على جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ/ ٦٤٩م، ثم على جزيرة رودس سنة ٣٤هـ/٦٥٤م، فكانت عكا أول ميناء عربي قام منه المسلمون بأولى غزواتهم في البحر المتوسط. وازدهرت تجارتها كثيراً في العصر الأموي، فكان لها شهرة فائقة بالزيتون واستخراج الزيت منه، وبزراعة قصب السكر واستخراج السكر منه.

وكانت في التقسيمات الإدارية ميناء لجند الأردن، وعاصمة طبرية.

واستولى عليها الصليبيون بعد استيلائهم على القدس سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م، وأصبحت الميناء الرئيس لملكة القدس اللاتينية. واسترجعها صلاح الدين سنة ٥٨٣هـ، ولكنهم عادوا إلى حصارها مدة عامين واستعادوها، ومكثوا فيها قرناً كاملاً، أي إلى سنة ٦٨٧هـ/١٢٩٠م حين دمرهم سلطان المماليك الأشرف خليل بن قلاوون، وأجلاهم عنها فكانت آخر معاقلهم في بلاد الشرق.

وبعد تحرير الأشرف خليل لها عام ١٢٩١م، شرع يدمرها خوفاً من أن تعود ثانية رأس حربة للإفرنج، يغيرون منها على البلاد السورية، ولم يبق على شيء من حصونها وقلاعها، وأشعل الحريق في أسواقها،

فضعفت مكانتها، ويشهد بذلك كل من زارها من العرب والإفرنج في القرنين التاليين ـ الرابع عشر والخامس عشر ـ كابن بطوطة والقلقشندي، وأبي الفداء. ثم أخذت عكا تستعيد شيئاً من سابق أهميتها التجارية رويداً رويداً، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. وعندما دخلت البلاد الشامية في حوزة الأتراك، سمح السلطان سليمان القانوني لملك فرنسا أن يؤسس مركزاً تجارياً للفرنسيين في عكا عرف باسم «خان التجار» فكان هذا المركز أحد المراكز السبعة التي سمح السلطان للفرنسيين بإقامتها في السواحل الشامية، والتي كانت بداية لما سُمي فيما بعد «بالامتيازات الأجنبية».

وفي عهد الأمير فخر الدين المعني الثاني (١٥٩٥ ـ ١٦٣٤م) الذي تمكن من أن يبسط حكمه على قسم من فلسطين، أخذت عكا تتقدم في تجارتها وعمرانها، وبنى له فيها قصراً ينزله إذا جاء إلى عكا، وجامعاً، ومخفراً للجمرك، وأصبح ميناؤها مركزاً لتصدير القطن بعد أن استولى ظاهر العمر عليها في نحو ١٧٥٠م، واتخذها عاصمة له، وفي عهده نمت نمواً كبيراً، فابتدأ في عمارة سورها، وتجديد حصونها، وشجع إقامة المباني فبنى له قصراً، وأقام جامعاً في حي الجرنية، وعمل على نمو الزراعة والتجارة والصناعة، وكان ميناء عكا يصدر القمح والحرير والقطن، وغيرها من خيرات فلسطين الشمالية.

وبعد مقتل ظاهر العمر سنة ١١٩٦هـ/١٧٨٢م عُيِّن أحمد باشا الجزار والياً على ولاية صيدا عام ١٧٧٥م، وفي عام ١٧٧٩م أمر بنقل مركز الولاية من صيدا إلى عكا التي قضى فيها مدة أسيراً عند أميرها الشيخ ظاهر، فتقدمت عكا في أيامه عمرانياً وتجارياً، وأهم منشآته الباقية جامع الجزار الفخم في عكا، وفيه مدرسة لتعليم علوم الشرع، ومكتبة حملت اسم «المكتبة الأحمدية»، وغدت عكا في أيامه أعظم مدن الساحل.

وبلغت عكا أوج مجدها سنة ١٢١٤هـ/١٧٩٩م عندما أوقفت زحف نابليون الذي وصل إليها بعد أن تم له الاستيلاء على مصر وسواحل فلسطين فحاصرها من



٢١ آذار/مارس إلى ٢٠ أيار/مايو، ثم اضطر إلى الانسحاب بعد ذلك بفضل صمود الجزار... وبصمود عكا تلاشت أحلام نابليون بالاستيلاء على الشرق.

وتولاها بعد ذلك سليمان باشا العادل سنة ١٢٢٠هـ ـ ١٢٣٤هـ / ١٨٠٥ ـ ١٨١٨م، وكان من مماليك الجزار،



منظر عام آخر لعكا

فجدد ما خربته الحملة الفرنسية، ومن منشآته بستان الست فاطمة، الذي دُعي فيما بعد باسم البهجة.. وتولى بعده عبدالله باشا الخازندار، وفي عهده جاء إبراهيم باشا الذي استولى على بلاد الشام.

سقطت عكا بيد اليهود في ١٨مايو / أيار ١٩٤٨م، أي بعد دخول الجيوش العربية لفلسطين بثلاثة أيام.

وقد جاء في إحصاءات الأعداء أنه كان في عكا في ٨ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٨م ٤٠٢٠ نسمة من بينهم ٨٧٤ يهودياً، والباقون ٣١٤٦ من سكان عكا العرب. مع أن عدد سكانها العرب عام ١٩٤٥م بلغ ١٢.٣٦٠


قلعة عكا التي كانت سجناً في زمن الانتداب البريطاني

نسمة، فيهم خمسون يهودياً.

وفي ٣١ نوفمبر / تشرين الثاني عام ١٩٤٩م كان في عكا ٩٠٠٠ نسمة منهم ٥٢٠٠ يهودي، وفي عام ١٩٦٥م كان في عكا ٤٠٠٠ عربي، وفي عام ١٩٧٣م وصل عدد العرب إلى ٤٥٠٠ عربي.

معالمها

السور: يلف السور مدينة عكا من البحر والبر كالسوار حول المعصم، يبلغ محيطه ٢٨٥٠م، وهو من أضخم الأسوار في العالم، سواء بارتفاعه أو عرضه، وفي بعض الأماكن منه كان الأطفال يمارسون لعبة كرة القدم على سطحه خاصة من الجهة الجنوبية الشرقية، قرب مدرسة (الفرقة)، حيث يتم الصعود إلى سطحه من خلال ممرين عريضين مبلطين، يعلوهما عند ظهر السور برجان صغيران يطلان على المدينة، وفي خارج السور يوجد خندق عريض وعميق جداً، وبعد الخندق يوجد سور آخر خارجي، ويمتد هذان السوران المتوازيان من شرق المدينة إلى غربها، والخندق بينهما، وكانت مياه البحر تفتح عليه لمنع الغزاة من الاقتراب، بحيث تصبح المدينة كأنها جزيرة.

وكان السور على مر الأجيال درعاً للمقاتلين الذين كانوا يدافعون عن عكا لصد الغزاة والطامعين.

وهو مزود بمرابض خاصة للمدفعية، وبمستودعات للذخيرة والمؤن. وللسور بوابة كبيرة تقع في الجهة الشرقية، كانت تقفل بعد المساء، ويعاد فتحها في صباح اليوم التالي، وبوابتان صغيرتان واحدة في وسط المدينة، والأخرى في غربها، كانتا مغلقتين دائماً.

بُني السور الأول في العهد اليوناني في أثناء حكم الإسكندر المقدوني في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد، وتميزت الأسوار التي بنيت في عكا بأنها جاءت على النمط الروماني، وذلك بفخامة أحجارها، كما أن



مراكب الصيد في عكا

بوابة عكا الشرقية مبنية على النمط الروماني أيضًا، حيث كانت الأبواب تعلوها الأقواس. ولما جاء الصليبيون أدخلوا الحجارة المدقوقة دقًا موروبًا في بناء الأسوار. وقام ظاهر العمر الزيداني بتجديد السور القديم في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. وقد جرى تحصينه في عهد أحمد باشا الجزار الذي تلا ظاهر العمر، وذلك بعد أن حاول نابليون اختراقه فأخفق في تحقيق ذلك.

وسور عكا عدة أسوار بنيت في عهود متتالية تشكل سورًا واحدًا لحماية المدينة، ويشمل عدة أبراج مهمة في مختلف جهاته:

- برج الكومندار: ويقع في الجهة الشمالية الشرقية، وهو أهم حصن أثري، وكان صموده يقرر مصير المدينة في مختلف المعارك.

- برج المدورة: ويقع في الزاوية الشمالية من السور.

- برج السلطان: ويقع قرب خان الشواردة، ويشرف على خارج الباب الرئيس للسور.

٤- برج السجنق: ويقع في الجهة الجنوبية الغربية من السور.

٥- برج الحديد: ويقع في شارع الفاخورة بين برج المدورة وبرج السجنق.

قلعتها

تقع قلعة عكا في منتصف الجزء الشمالي من السور، مقابل الجهة الشمالية لجامع الجزار، وتتألف من برج الخزنة والثكنة العثمانية والجنجانة.

كانت هذه القلعة تسيطر على السهل الشمالي كله سيطرة تامة، وقد تحول جزء من هذه القلعة، وهو الجزء الذي يقع في الطرف الشمالي الغربي للمدينة، إلى سجن كان يستعمله البريطانيون خلال انتدابهم على فلسطين، ويقع تحت الزاوية الجنوبية الغربية من السجن سرداب

يعود تاريخه إلى أيام الفرنجة يعرف باسم «سرداب القديس يوحنا».

مساجدها وجوامعها

مسجد أحمد باشا الجزار:

وهو أكبر جامع في عكا، ومن أهم معالمها، وأروع مظاهر الفن الإسلامي في العهد العثماني. بناه أحمد باشا الجزار والي عكا عام ١٧١٨م على طريقة المساجد الفخمة في إستانبول، وبالتحديد على نسق المسجد الأزرق على مساحة واسعة من الأرض، وفي مكان مرتفع، ووقف عليه الأوقاف الكثيرة.

يتميز هذا الجامع، بالإضافة إلى فخامته، بمئذنته المرتفعة الشامخة ذات القطر الصغير، التي تبدو من بعيد رائعة الجمال وهي منتصبة، ويمكن رؤيتها من على بعد ٢٠كم. وللمسجد بابان كبيران أحدهما الباب الرئيس، ويقع شمال المسجد، وهو مزخرف مربع الشكل، والآخر يقع إلى الجهة الشرقية من المسجد، ويتصل هذان البابان بالشارع بأدراج عريضة ومتعددة؛ وذلك لارتفاع المسجد عن الطريق العام ولاتساع مدخله. وقد بنيت حول المسجد وفي صحنه المستطيل الذي تحيط به من ثلاث جهات أروقة مقببة ذات غرف كثيرة يستعملها موظف الجامع. وقد خصصت إحداها لتكون مركزاً لمفتي عكا ولاجتماعاته، كما أن غرفاً أخرى قد خصصت لتكون مكتبة تحوي نفائس الكتب الإسلامية، وقد بني أيضاً حول المسجد مدرسة شرعية عرفت باسم المدرسة الأحمدية، وكانت مركزاً إسلامياً علمياً، وكان الأهالي يرسلون أولادهم إليها كي ينهلوا من معين العلوم الشرعية، ومن أوقاف هذا المسجد المبارك كان يصرف على طلاب العلم الذين ينتسبون إلى هذا المعهد رواتب شهرية، وظلت المدرسة عامرة بطلابها وروادها حتى وقعت الكارثة عام ١٩٤٨م.

- **جامع المجادلة:** بنى هذا الجامع صالح آغا الكردي عام ١٧٥٠م، وبنى بجانبه بيتاً كبيراً، وبعد صالح آغا



جنوب مدينة عكا



عكا ومنظر عام من جهة البحر

جاء إبراهيم آغا الكردي فرمم الجامع المذكور، وبنى له مئذنة عام ١٨١٠م، وبعد إبراهيم آغا جاء علي آغا فرمم المئذنة والجامع وأوقف له بساتين وأملاكًا عام ١٩١٠م، ثم بنى بيتًا قرب الجامع، وكان هذا البيت من أكبر البيوت في عكا. وقد آل وقف هذا الجامع إلى سعيد باشا كامل ابن الصدر الأعظم وصهر السلطان عبدالحميد، الذي عاشت زوجته مع ابنتها سعادات خانم في عكا بين عام ١٩٣٠و١٩٤٨م، وكانت سعادات خانم تشرف على واردات الوقف وصرفياته.

يستخدم قسم من الجامع حاليًا مطبخًا ومطعمًا يقدم وجبات مجانية للفقراء.

- **جامع الرمل:** يقع في أول السوق الشعبي قريبًا من سوق الخياطين، وقهوة الدلالين، يعود تاريخ بنائه على الأرجح إلى القرن الثالث عشر الميلادي، وبجانبه ضريح ظاهر العمر، ولهذا الجامع أوقاف كثيرة كان المتولي عليها آل (الأمين) وآل (نور).

- **جامع البحر:** وله اسمان آخران: جامع سنان، وجامع الجرينة، ويقع بالقرب من ميناء عكا، وقد جدَّد بناءه سليمان باشا العادل عام ١٨١٦هـ.

- **جامع المعلق:** ويقع بالقرب من ساحة الكراكون، ويمتاز بعلوه عن سطح الأرض، وله حديقة، وكانت به مدرسة إسلامية لتعليم العلوم الشرعية.

- **جامع الزيتون:** ويقع جنوب الزاوية الشاذلية، وكانت له أوقاف كثيرة، ويوزع ريعها على العائلات الفقيرة.

- **جامع الزاوية الشاذلية:** ويقع ضمن مبنى الزاوية الشاذلية.

- **جامع السور:** ويقع على ظهر السور الشرقي بين سينما البرج وبنك الأمة العربية.

الطالع الأول، الطالع الثاني، الطالع الأعوج، شارع فبركة الكبريت، منطقة جنينة البلدية، منطقة شارع بيروت، منطقة الرشادية، الفجر، شارع صفد.

الحمامات العمومية

في عكا القديمة حمامان عموميان: الأول: هو الحمام الشعبي، ويقع بالقرب من خان الشونة، بناه ظاهر العمر الزيداني عام ١٧٥١م، والثاني: هو حمام الباشا الذي بناه والي عكا أحمد باشا الجزار على النسق الشرقي، وعلى نمط حمام الشعب في القاهرة.

المعالم التي يقصدها السيّاح

- برج الساعة: بني هذا البرج المرتفع، وفي أعلاه ساعة تُشاهد من مسافة بعيدة، أقيم في عام ١٩٠٠م، وذلك بمناسبة مرور ٢٥ سنة على اعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة العثمانية.

- البهجة: بستان فسيح واسع الأرجاء، أنشأه والي عكا سليمان باشا العادل في عام ١٨١٦م، وزينه بزراعة الأزهار، وغرس الأشجار المختلفة، وفرشه بالأعشاب الخضراء، وبنى فيه أربعة قصور، وبنى له بركة ماء واسعة سحب لها المياه من نبع الكابري حتى غدا هذا البستان بهجة للناظرين.



مئذنة جامع الرمل

- جامع اللبابيدي: وهو الوحيد خارج السور، وقد بناه الحاج أحمد اللبابيدي عام ١٩٣٠م.

الأحياء والحارات التي داخل السور

حارة المبلطة، الرمل، الدبسي، الشيخ عبدالله، النمرود، دراع الوادي، الخرابة، المعاليق، المجادلة، القلعة، البصة، الشيخ غانم، الشراشحة، الفاخورة، سبيل القديس، ساحة الكراكون، الخمامير، ساحة عبود، ساحة اللومان، شارع الجزار، شارع صلاح الدين.

والأحياء خارج السور: الشط الغربي، عز الدين،

- خان العمدان: بناه أحمد باشا الجزار عام ١٧٨٣م قرب الميناء، ويحتوي على باحة داخلية محاطة بالأعمدة، وفي وسط الخان توجد بركة من الرخام.

- خان الإفرنج: من أقدم الأبنية التجارية في عكا، ويقع شمال شرق خان العمدان، وقد بني في عهد السلطان سليم القانوني في القرن السادس عشر الميلادي، ونسب إلى التجار الفرنجة الذين كانوا يستعملونه مستودعات لبضائعهم، كما كانوا يستعملون الطوابق العليا المؤلفة من عدد من الغرف لسكنهم الشخصي.


مركز البهائية في عكا

- خان الشاواردا: يقع قرب المدخل الشرقي لسور عكا، بنايته كبيرة ذات أروقة وباحة واسعة في وسطها سبيل ماء للسقاية، وفي زاويته الجنوبية يقع برج السلطان، وهو البرج الوحيد الذي بقي قائمًا من أبراج عكا التي كانت قائمة منذ القدم.

- خان الشونة: يقع مقابل الحمام الشعبي، وبالقرب من ساحة الخمامير، وعلى بعد أمتار من خان العمدان، بناؤه متوسط الحجم.

- تل الفخار: يقع على بعد ٢كم إلى الشرق من عكا، موقعه إستراتيجي، وكان المحور الذي تقوم عليه التحركات العسكرية ضد عكا أيام حروب الفرنج في العصور الوسطى، وكذلك أيام حصار نابليون لها، ومن ذلك الحين عرف بتل نابليون، واستعملته القوات الصهيونية لقصف عكا عام ١٩٤٨م.

أسواقها

- السوق الأبيض: وهو سوق طويل عال ومسقوف، يتألف من صفين من الحوانيت المعقودة، ويفصلها ممر عريض، ولليمين من مدخله سبيل ماء يعود تاريخه إلى عهد والي عكا سليمان باشا العادل عام ١٨٠٤ - ١٨١٨م.

- السوق الشعبي: سوق كبير وطويل، يبدأ من ساحة اللومان شمالاً حتى ساحة الجرينة جنوبًا، ويضم على جانبيه محلات تجارية وخياطين وبائعي حلويات وخضراوات وقصابين وصالونات حلاقة وبائعي مجلات وصحف، ومحلات لبيع الأسماك والأقمشة وغيرها.

- سوق العتم: يقع بين باب جامع الجزار الشرقي وقهوة الدلالين. طوله لا يتجاوز الخمسين مترًا، وهو معتم كاسمه، وعلى أحد جانبيه مستودع كان يستعمله التجار لبضائعهم.

الحياة الثقافية والأدبية

كانت الحياة الثقافية والأدبية والاجتماعية والرياضية في عكا على قدر كبير من النشاط والتنوع خلال فترة الانتداب البريطاني، خصوصًا في أواخر الثلاثينيات حتى عام ١٩٤٨م، فقد ازداد عدد المؤسسات التعليمية والتربوية والرياضية والأدبية بشكل ملحوظ. ومن هذه المؤسسات ما يأتي:

- نادي أسامة بن زيد: أسس أولاً تحت اسم جمعية الشبان المسلمين في مطلع الثلاثينيات، وقد تدخلت

سلطات الانتداب البريطاني لتغيير اسمه، وكان هدف النادي تشجيع الأنشطة الثقافية والرياضية، وتنبيه الناس على خطر الصهيونية.

ـ **نادي رابطة المثقفين العرب**: أسس عام ١٩٤٥م، وقد اتخذ مقراً في الشارع الرئيس قرب محطة السيارات، وأنشأت إدارة هذا النادي مكتبة متواضعة للمطالعة، وكان هذا النادي يقيم دورات تدريبية لمختلف الأنشطة الأدبية والرياضية.

ـ **نادي عمر بن الخطاب**: كان هذا النادي يشجع شباب عكا على ممارسة الألعاب الرياضية، وبعد صدور قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م، وبعد المواجهة العسكرية مع الصهاينة تحول هذا النادي إلى مركز لتدريب الشباب على حمل السلاح، وقد شارك شباب النادي في الدفاع عن مدينة عكا، واستشهد الكثير من أعضائه وهم يدافعون عن بلدتهم الغالية.

ـ **جماعة الإحسان**: هي جمعية شعارها (لا تسول في عكا ولا مكان لمنقطع) أي إنه ممنوع إهمال ابن عكا الفقير، بل يجب تأمين حاجته الضرورية، وكانت هذه الجمعية تضم أصحاب الوجاهة في عكا، والأغنياء من أهل النجدة والكرم.

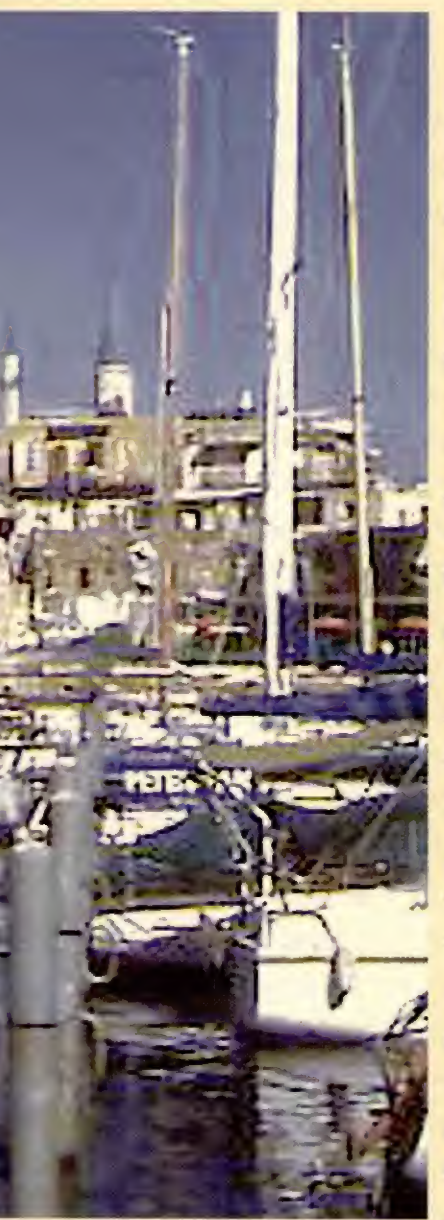
علماً بأن الجمعيات والنوادي الرياضية والأدبية كانت تغطي جميع أنشطة أهل عكا الأدبية والرياضية التي كانت تعد بالعشرات. وكانت عكا من أنشط مدن القطر العربي الفلسطيني في هذه المجالات، وكان الإحساس الوطني يميز أهلها الذين شعروا مبكراً بالخطر الصهيوني الذي كان يتطلع إلى ابتلاع فلسطين كلها، وما من مناسبة وطنية عربية أو إسلامية إلا كانت عكا سباقة إلى إحيائها، وكان رجال عكا من السباقين إلى الجهاد في سبيل عروبة فلسطين وإسلامها، وإذا أردنا ذكر أولئك المجاهدين فلن ننسى الأستاذ أحمد الشقيري والأديب غسان كنفاني، والمجاهد أحمد شكري الذي أوقف تقدم العصابات الصهيونية عدة ساعات حتى سقط مضرجاً بدمائه الزكية في ساحة المعركة.

وإذا أردنا أن نذكر جميع مزايا مدينة عكا فسوف نحتاج إلى مئات الصفحات .

عكا والاحتلال الصهيوني

استطاع مناضلو عكا والقرى التي حولها الصمود والاحتفاظ ببلادهم من يوم إعلان قرار التقسيم ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٤٧م، إلى يوم ١٤ مايو / أيار عام ١٩٤٨م، وكان اليهود وعصاباتهم المسلحة قد طوقوا المدينة بمستعمرات متعددة سيطرت على جميع مداخلها الخارجية، وبعد مناوشات عنيفة جرت عدة محاولات يهودية لتحطيم مقاومة عكا والاستيلاء عليها، ولكن أبطال عكا صدوا تلك المحاولات بثبات ورباطة جأش.

وأخيراً، وفي يوم ٩مايو/ أيار ١٩٤٨م، هوجمت المدينة بألوف من أتباع العصابات الصهيونية، يتسلحون بأحدث المعدات الحربية، وقد تدربوا على أحدث فنون القتال، ومع هذا فقد ثبت مجاهدو عكا عشرة أيام، وقاوموا الغزاة المجرمين وظهرت بطولات عجيبة أذهلت الأعداء الذين فوجئوا برجال المدينة العزل يسدون الطرقات بأجسامهم، ويستميتون في الدفاع عن مدينتهم، وتحولت عكا إلى ستالينغراد عربية، ودار القتال من بيت إلى بيت حتى نفدت الذخيرة، دون أن تصل نجدات الإخوة العرب، وسقط قائد المجاهدين أحمد





مبان قديمة على البحر

شكري رمز صمود عكا، وهكذا انهارت المقاومة، ومن بقي من المجاهدين حياً اضطر إلى الانسحاب شمالاً مع شاطئ البحر، بينما انتشرت جثث الألوف من المدافعين في طرقات المدينة وأزقتها وأسوارها.

وهكذا دخل اليهود الصهاينة عكا، وفرضوا نظام منع التجول، وذلك يوم ١٨ مايو / أيار عام ١٩٤٨م، وقاموا بطرد السكان من الأحياء الحديثة، وإجبارهم على الذهاب نحو لبنان، ومن لم يذهب شمالاً نحو لبنان حشروه في البلدة فامتلأت الجوامع والتكايا والأزقة بهم، وافترش الناس الأرض، ونام البعض في العراء، وقام الصهاينة بقتل المئات من الشباب الذين صادفوهم في الطرقات.

عكا بعد الاحتلال

كان عدد من الأطباء العرب قد تطوعوا لإقامة مستشفى ميداني في مدينة عكا، وكان المسؤول عنه

الدكتور بشارة دهان، المناضل اللبناني، وعندما احتل الصهاينة المدينة هرع الجنود إلى المستشفى للإجهاز على الجرحى، فوقف الدكتور بشارة دهان على باب المستشفى، وخاطب المهاجمين قائلاً: إنا هنا في مهمة إنسانية، ووفائي للقسم الطبي الذي أديته يفرض عليّ المحافظة على المرضى والجرحى ما دمت حيًا، ولن أسمح لكم بدخول المستشفى إلا على جثتي، وأطلب منكم استدعاء قائدكم، والمسؤول الطبي لمباحثتهما في الأمر، وقد تم له ما أراد. وبعد بضعة أيام صدر أمر عسكري بإبعاده من عكا، وطرده إلى لبنان.

نهب الأوقاف الإسلامية

قبل عام ١٩٤٨م، كان نحو ٨٠ ـ ٩٠٪ من مدينة عكا ضمن أملاك الأوقاف الإسلامية، وكانت هناك خمسة أوقاف ذات أملاك كبيرة، أبرزها وقف الجزار الذي كان يعادل ثلث عكا، وبعد النكبة المشؤومة انتقلت غالبية هذه الأملاك إلى القيّم على أملاك الغائبين، ثم إلى سلطة التطوير الإسرائيلية، وشركة تطوير عكا القديمة، ولكي يتم للأعداء الاستيلاء على هذه الثروة العظيمة، وإلباسها ثوبًا قانونيًا قاموا بتشكيل لجان سموها لجان الأوقاف الإسلامية، وأرغموا أعضاءها على تأجير تلك الأوقاف بإيجار رمزي لمدة ٩٩ عامًا، وهكذا استولى الغاصبون على السوق الأبيض وسوق العتم، وعلى الخانين التاريخيين، والعمدان والإفرنج، وكذلك استولوا على جميع حوانيت شارع صلاح الدين، وهو من أكبر شوارع عكا، ويضم مئات من الحوانيت، بالإضافة إلى المحلات التجارية الموجودة حول جامع الجزار. وهذا غيض من فيض مما فعله الصهاينة بهذه المدينة المنكوبة.

وهكذا أضحت عكا بعد الاحتلال الغاصب مدينة ثانوية، الحياة بها باهتة رتيبة، أين منها ما كانت عليه في السابق، إذ كانت زهرة فلسطين.. فأين النوادي الأدبية، والفرق الكشفية؟ أين المناسبات الإسلامية والأعياد الإسلامية؟

إذا سرت في أزقتها وشوارعها فإنك تعجب من كثرة



خان العمدان وبرج الساعة

الأعداء الغاصبين .. إذا نظرت إلى الجامع الأحمدي فسوف تفتقد طلاب العلم وقراء القرآن الكريم .. وإذا رغبت في زيارة المكتبة الأحمدية فسوف ترى العنكبوت قد نسج خيوطه على رفوفها بعد نهب نفائس المخطوطات، حتى بل إن سجلات الأوقاف الإسلامية، التي كانت تضم الوقفيات ومنافعها، وكيفية التصرف بذلك الوقف الثري، عدا عليها لصوص الصهاينة، فحطموا خزائن دائرة الأوقاف الإسلامية، وسرقوا مئات المجلدات ووثائق الأوقاف الإسلامية، وشروط الواقفين لتلك الأوقاف العظيمة. ٧٠٪ من سكان عكا، كما أسلفنا، شُرِّدوا، وطُردوا من منازلهم،

من الطراز المعماري في عكا

واغتصبت أملاكهم، ومن بقي مقيماً في الأحياء القديمة فقد تعرض لمضايقة شديدة، وكان معرضاً في كل وقت للقتل والاعتقال، ومع شدة تلك الأهوال التي تفوق طاقة البشر بقي المئات من الأسر الكريمة صابراً ومحتسباً وجه الله، ومحافظًا على تراث الآباء والأجداد.

الأسر العكاوية التي مازالت متشبثة وصابرة ومقيمة فيها

أبوبكر، أبو حمام ، أبو عنبة، الأرناؤوطي، أسود، بشتاوي، بطاح، بولس، جارحي، جمل، حبيشي، حتحوت، حداد، حلواني، خطيب، خلايلة، زكور، زيبق، زيدان، سعدي، شاهين، سليمان، شعبان، طنطوري، عرابي، عبدالعال، عبدالله، علي، منصور، موسى، مغربي، مخول، كردي، قدورة، قرعاوي، فارس، عيسى، عابدي، عجينة.

شخصيات عكاوية

برزت في عكا، كما ذكرنا سالفًا، شخصيات ذات أثر أدبي وجهادي منهم : المجاهد أحمد شكري، والأستاذ أحمد الشقيري، ووالده الشيخ أسعد الشقيري مفتي الجيش الرابع العثماني، والشاعر محمود درويش من قرية البروة، والصحافي المشهور جهاد الخازن من قرية «البعنة».

كما أن الشاعر الراحل عمر أبو ريشة من مواليد عكا من أم فلسطينية وأب سوري من حلب، ومن الشخصيات البارزة أيضًا:

ـ أحمد زكي باشا (١٨٦٧ـ١٩٣٤م)، شيخ العروبة، نزح أهله من عكا إلى الإسكندرية، وفيها ولد، وتخرج في مدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة.

ـ محمود رشاد (١٨٥٤ـ ١٩٢٥م)، الشقيق الأكبر لشيخ العروبة، ترقى إلى أن أصبح رئيسًا لمحكمة مصر، له مؤلفات ومقالات كثيرة في الصحف والمجلات.

ـ سميرة عزام (١٩٢٨ـ ١٩٦٧م)، أديبة وقاصة ومدرّسة.

ـ غسان كنفاني (١٩٣٦ـ ١٩٧٢م)، أديب وصحافي اغتيل في الحازمية من ضواحي بيروت بعبوة ناسفة في ٨ تموز عام ١٩٧٢م،

المراجع

١ـ بلادنا فلسطين: مصطفى مراد الدباغ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٤م.
٢ـ عكا تراث وذكريات: منى بوري، يوسف شبل، بيروت.
٣ـ النكبة: عارف العارف، صيدا ١٩٥٤م.
٤ـ كي لاننسى: وليد الخالدي، بيروت.
٥ـ شؤون عربية: إبراهيم عبدالكريم، ١٩٩٧م.
٦ـ جريدة الاتحاد: حيفا ٢٣ يوليو / تموز ١٩٩٨م.

مصدر الصور: الكاتب والإنترنت.

المعلوماتية والعلاقات الدولية في عصر العولمة

محمد البخاري
طشقند - أوزبكستان

يا أيُّها النَّاسُ، إنَّا خلقناكُمْ من ذَكرٍ وأُنثى، وجعَلْناكُمْ شُعوبًا وقَبائلَ لتعارفوا. إنَّ أكرمَكُمْ عند اللهِ أتْقاكُمْ إنّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ الحجرات: ١٣.

العلاقات الدولية في عصر المعلوماتية

تخضع العلاقات الدولية اليوم أكثر من أي وقت مضى لحقائق العولمة الاقتصادية والسياسية المرتبطة إلى حد كبير بولوج المجتمع الدولي اليوم العصر المعلوماتي الجديد عليه. ولا أحد ينكر أن العولمة الاقتصادية أدت دورًا مهمًا في تطوير الإنتاج السلعي والمعلوماتي على حد سواء، خاصة بعد الانفجار الكبير الذي أدخلته التكنولوجيا الحديثة المرتبطة باستخدام أنظمة الحاسب الآلي المتقدمة وبرامجه المتخصصة بكثرة، وما رافقها من تطور متصاعد لوسائل الاتصال المرئية والمسموعة، والاتصال عن بعد عبر أمواج الأثير.

وشبكات الحاسب الآلي العالمية المرتبطة بشبكة «الإنترنت» العالمية، وغيرها من شبكات الاتصال المتطورة، كانت سمة حقيقية من سمات عقد الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي. وتميزت تلك الحقبة التاريخية من العلاقات الدولية بارتباطها الوثيق بعولمة الاقتصاد والسياسة والثقافة، وحدوث تغييرات جذرية أدت بالضرورة إلى وضع أسس جديدة لنظام اقتصادي وسياسي عالمي جديد يتفق مع بداية مرحلة جديدة من تاريخ البشرية اصطلح على تسميتها بعصر «العولمة».

والعنصر الأهم في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ البشرية مثلته المعلومات الاقتصادية الجديدة التي اتسمت بالتكامل المعلوماتي الدولي عبر شبكاته الدائمة التطور، التي تشمل أيضًا معلومات تتضمن جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ومن المعروف أن ذلك التكامل كان حصيلة للمخطط الذي وضعته وزارة الدفاع في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من العقد السادس للقرن العشرين Advanced Research Projects Agency (ARPA)، وكان هدفه آنذاك منع أو إعاقة السيطرة أو الاستيلاء على النظام الأمريكي للاتصالات وتبادل المعلومات أو تخريبه في حال حدوث حرب نووية(١). ونتيجة للجهود الكبيرة التي بذلتها الوزارة الآنفة الذكر، استطاع المشتغلون في المخطط المذكور إقامة شبكة مؤلفة من عدة



تجدد دائم في تقنية المعلومات

آلاف من الشبكات الصغيرة للاتصال عبر شبكات الحاسب الآلي التابعة للشبكة الأصلية، لتتمتع تلك الشبكة الكثيفة من وضع أساس ملموس لارتباط متعدد الجوانب لانهائي، بين تلك الشبكات التابعة والشبكة الأصل، بعضها مع بعض دون خضوعها لإدارة أي مركز كان(٢). أما في الوقت الحاضر فقد أصبحت تلك الشبكات تتمتع بصفة العالمية لخروجها عن إطارها المحلي داخل الولايات المتحدة وأماكن وجودها والأماكن التي توجد فيها المصالح الأمريكية في أنحاء مختلفة من العالم، لتشمل العالم اتساعاً بعد أن أقيمت حول تلك الشبكة الأم صناعة معلوماتية ضخمة، شملت كل الكرة الأرضية، ولا نبالغ إن قلنا: حتى الفضاء الكوني بعد أن سيطر عليه انفجار إدخال تكنولوجيا الاتصال عن بعد، والحاسبات الآلية وشبكات «الإنترنت» التي طغت على كل مناحي النشاط الإنساني على الأرض وفي الفضاء الكوني في آن معًا.

المعلوماتية من عناصر عولمة الاقتصاد

ولكن التأثير الأكبر مثلته عناصر عولمة الاقتصاد الجديدة والمعلومات الاقتصادية في الدول المتقدمة، إذ نجد أنه مع كل عام يمضي، تستحدث وتوضع في الخدمة الفعلية تقنيات متقدمة جديدة ومتجددة لأنظمة التعامل مع المعلومات وإرسالها واستقبالها والتعامل معها، بما

فيها النظم المرئية والمسموعة عبر الهواء، وغيرها من تقنيات عصر المعلوماتية. حتى كادت تكنولوجيا الاتصال عن بعد وشبكة «الإنترنت» العالمية تحتل اليوم الحصة الأكبر والأهم من سوق التجارة التي تشمل أوسع قائمة من المنتجات تشمل المواد الغذائية وبضائع الاستهلاك اليومي وغيرها، وحتى منتجات التعدين والنفط والغاز ومشتقاتها.

حتى أصبح عنصر رأس المال أحد أهم ملامح السوق المعلوماتية الاقتصادية في العالم، إذ نجد أن شركة «مايكروسوفت» وحدها مثلاً تمكنت في أواسط عام ٢٠٠٠م، من امتلاك رأس مال يقدر بنحو ٤٠٠ مليار دولار أمريكي، وهو ما يساوي في بعض التقديرات مجموع رؤوس أموال كل شركات صناعة الطيران والفضاء والسيارات والتعدين في الولايات المتحدة الأمريكية مجتمعة.

وبغض النظر عن الانخفاض الحاد المفاجئ الذي سجله مؤشر NASDAQ، الذي يسجل حالات تطور الاقتصاد الجديد، فإن انخفاض الاهتمام بهذا الجزء المكون للاقتصاد العالمي، لا يتحدث عن التحول الجذري في الملامح العامة للاقتصاد العالمي الذي يعد اقتصاد سوق المعلومات جزءاً أساسياً منه. وببساطة أستطيع القول: إن السوق المعلوماتية قد تم رفعها بشكل مصطنع في مرحلة معينة لمصلحة بعضهم لا أكثر، ولا أقل. مما يجعلنا نعتقد بأن ذلك كان من عوامل اقتراب الأزمة الاقتصادية العالمية، التي تعرضت لها حتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها.

تكنولوجيا المعلوماتية من أهم عناصر التطور الاقتصادي

تجدر الإشارة هنا إلى أن الارتفاع المتصاعد بحدة لقطاع تكنولوجيا الاتصال عن بعد الحديثة في عالم الاقتصاد اليوم، هو علمياً من أهم عناصر التطور الاقتصادي للكثير من الدول الصناعية المتقدمة. خصوصاً أن تكنولوجيا المعلومات الحديثة قد خدمت فعلاً الارتفاع الحاد والمفاجئ للإنتاج السلعي والمعلوماتي على حد سواء، إن لم نقتصر على كل صنوف الاتجاهات الرئيسة للصناعة وقطاع الخدمات بكاملها. ونرى في بعض المؤشرات تقويمات تشتمل على حسابات التجارة الإلكترونية وحسابات إدارة الكلفة الإنتاجية في الدول المتقدمة التي تشير بعض المصادر إلى انخفاضها لنحو ١٠-١٢٪، إضافة إلى مؤشرات عدد من الشركات العالمية العابرة للقارات التي تشير إلى ارتفاع الإنتاجية فيها إلى نحو ٣٠-٤٠٪ وأكثر(٣).

لا بد من الدعوة إلى الشروع، وفق الإمكانات المتوافرة والمتاحة، وبأقرب وقت ممكن، في وضع مشروع قومي وإقراره والبدء في تطبيقه من أجل تنسيق الجهود المبذولة في بعض الدول العربية لتطوير تكنولوجيا المعلوماتية

وفي الوقت نفسه نرى أن الدول المتخلفة في مجال المعلوماتية كالدول النامية، ومن ضمنها الدول العربية(٤)، وغيرها من دول العالم التي لا تهتم بشكل جدي بقضايا تطوير تكنولوجيا المعلومات، أصبحت تدريجياً تزداد تخلفاً في كل الحالات عن الدول «الرائدة» في مجال صناعة تكنولوجيا المعلوماتية الجديدة واستخدامها. مما يجعلنا نتنبأ بالمصير الذي يؤدي إليه هذا الواقع المرير في المستقبل القريب، إذ ليس من الصعب أن نتصور بروز استعمار من نوع جديد، يهيمن على العلاقات الدولية الجديدة، ويمكننا تسميته تجاوزاً بـ «استعمار تكنولوجيا المعلومات»، وأن هذا النوع الجديد من الاستعمار بالكامل يمكن أن يشكل على المدى المنظور بديلاً ملائماً للتدخل العسكري والاقتصادي والسياسي المكلف للدول الكبرى في شؤون عالم الغد، والذي يمكن أن تشمل قائمته حتى بعض الدول الكبرى المتخلفة نسبياً في مجالات تكنولوجيا المعلومات، كالاتحاد الروسي مثلاً.

والبرهان على هذا يمكن أن يظهر من خلال نظرة متفحصة في نتائج التطور الاقتصادي العالمي خلال العقود الماضية، والذي رافقه تضييق مقصود على قضايا



الشبكة العنكبوتية تخترق الحواجز

تلوث البيئة التقليدية، وقضايا الطاقة والصناعة السلعية القائمة فعلاً اليوم من خلال استثمارات أجنبية في دول العالم الثالث؛ لأن تلك الدول النامية سعيدة طبعًا بالاستثمارات الأجنبية التي تصب في اقتصادها المتعثر، ولا تنظر بجدية للآثار السلبية لتلك الاستثمارات الأجنبية، التي تشكل - مرة أخرى - أداة للتدخل في اقتصاد تلك الدول وسياستها، والأدهى أن الدول الكبرى المتقدمة تستخدمها بنجاح لزيادة تبعية تلك الدول المغلوبة على أمرها اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا بها، مما يدفعنا هنا إلى التساؤل عن مصير الأبدال التي طرحتها بعض تلك الدول لحل مشكلات التطور الصناعي والتكنولوجي في الدول المتخلفة، وأي مستقبل مشرق ياترى! ينتظر اقتصاد المعلومات الجديد كل الجدة على الدول النامية؟ ولا بد أن تلك الدول سيعزز دورها في العلاقات الاقتصادية الدولية شاءت أم أبت كدول موردة للخامات والبضائع والمنتجات الصناعية والزراعية المنتجة فيها باستثمارات وطنية وأجنبية، وتدفع قيمتها الدول «المتطورة» من أصل قيمة المنتجات التكنولوجية المتطورة المنتجة لديها والمصدرة للاستخدام في الدول المتخلفة، وكما هو ملاحظ اليوم من أجل المتعة المكلفة لمستهلكي المعلومات وتكنولوجيتها الحديثة الدائمة التطوير؛ وهو ما يجعلنا نجزم في الوقت الراهن بأن هذا الوضع الذي أفرزته العولمة المعلوماتية وتمثله تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن بعد، وشبكة «الإنترنت» الآخذة في الانتشار والتوسع كخيوط العنكبوت، قد أصبح أكثر وطأة من البداية التكنولوجية العسكرية التي بدأت في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن الماضي، وأصبحت جوهراً ليس للتطور الاقتصادي فحسب، بل أصبحت عاملاً مهماً ومؤثرًا في العلاقات الدولية المعاصرة، وأصبحت عاملاً من عوامل التأثير السياسي المتبادل الأكثر فاعلية على مستوى العالم كله.

شبكة الإنترنت مُوَجِّه عمليات تفاعل العلاقات الدولية

لا أحد يستطيع أن ينكر أن شبكة «الإنترنت» العالمية أصبحت في عالم العلاقات الدولية اليوم الموجه المؤثر الأقوى في كل عمليات التفاعل السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي للعولمة؛ لأن عبارة «الإنترنت» أصبحت تتكرر في الأمثلة الكثيرة التي يأتي بها الكثير من الباحثين لدى تعرضهم لموضوع العولمة بكل فروعها واتجاهاتها بخاصة وأنه خلال العقود الأخيرة فقط أصبحت العولمة مشكلة متشابكة للسياسة العالمية بعد انتهاء عصر المواجهة الصريحة بين الدول المختلفة من حيث الأنظمة العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، بعد أن أزيلت العوائق السياسية من أمام الأسواق العالمية الضخمة التي كانت في السابق مغلقة أمام واردات الطرف الآخر الأقوى، ورافق تلك العملية تشابك العلاقات الاقتصادية والسياسية الدولية مما خلق تأثيراً متصاعداً تختلف فيه المعايير، وتتفاوت من خلال تلك العلاقات وقوتها.

ولكننا هنا لا يجب أن ننكر حقيقة مهمة وهي أن للعولمة نواحي إيجابية متعددة تقف في طليعتها حقيقة التقدم السريع للعلوم والتكنولوجيا، وخصوصاً تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن بعد والإدارة الحديثة، وحقائق تطور الإنتاج الفكري والمادي على حد سواء. وهذه العملية المتكاملة لابد لها من حيث المبدأ أن تخدم تقدم البشرية، وأن ترفع مستوى حياة الإنسان في المجتمع الدولي قاطبة، ولابد من أن تشجع على ارتفاع مستوى الإنسان الفكري والسياسي والاقتصادي والتكنولوجي.

ولكن هنا لابد أن نشير أيضاً إلى أن العولمة لا تحمل في طياتها نواحي إيجابية فقط، بل تحمل أيضاً مصادر تهديد فعلية للأمن القومي، ولاستقلال بعض الدول وسيادتها. خاصة بعد ظهور أصوات تنادي بإنهاء «الفوضى السياسية لمصالح السياسة الخارجية القومية» واستبدال عولمة السياسة الخارجية لمختلف دول العالم بها لتصبح سياسة داخلية للعالم بأسره (٥). وهنا يمكننا بشيء من التأمل أن نتصور ما سيحدث للمصالح القومية الحيوية الاقتصادية والثقافية والسياسية لبعض الدول الضعيفة في عالم الغد.

أهم شركاء المستقبل للدول النامية في مجال التكنولوجيا الجديدة الدول المتقدمة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعاني اليوم عجزاً كبيراً في المبرمجين المدربين، وتملك أضخم سوق معلوماتية دولية

المعلوماتية والموازنات الدولية وسياسة الهضم الاقتصادي والسياسي

من المعروف أنه كانت هناك - وستبقى على ما نعتقد - موازنات في العلاقات الدولية المعقدة، ولكن تلك الموازنات من الصعب أن تصمد أمام الهضم السياسي والاقتصادي، الذي هيأ له التفوق العلمي والتكنولوجي مكانة الصدارة في ظروف العولمة، وأن لذلك الهضم ملامح تنزع دائماً نحو التوفيق الذي يرافق دائماً توسيع الهوة والخلاف بين المنتج والمستهلك، إذا إن الفرق بين دخل ٢٠٪ من الأغنياء، و٢٠٪ من الفقراء من سكان العالم في عام ١٩٦٠م، كان ١:٣٠، أما في عام ١٩٩٤م، فقد أصبح ١:٧٨(٦). ولكننا هنا يجب ألاّ ننسى الوجه الآخر لهذا الوضع غير المتساوي، الذي أصبح في عصر العولمة الاقتصادية عالمياً، فحصة الدول المتطورة تبلغ من الموارد الاستثمارية اليوم ٧٠ ـ ٨٠٪ في العالم بأسره، وهي مركزة بشكل رئيس في الدول ذات الدخل المنخفض. ولهذا لابد أن نأخذ في الحسبان مدى تأثير العولمة الاقتصادية في تعميق حالة عدم المساواة بين دول العالم والتهديدات الواقعية التي يفرزها النظام الاقتصادي العالمي الجديد. وفي هذا طبعاً دور غير إيجابي لشبكة «الإنترنت» العالمية يمكن أن تؤديه مع ازدياد الهوة بين الدول المتقدمة والمتخلفة، لتصبح بذلك أداة تسمح لبعض الدول وبعض الاتحادات

الاقتصادية العالمية العابرة للقارات بالوصول إلى غايتها الاقتصادية والسياسية والثقافية، من خلال فرص المتابعة الفورية للأوضاع السائدة في الدول المتخلفة، والتأثير فيها دون استخدام وسائل السيطرة العسكرية المكلفة والخطيرة.

وهنا يبدو أنني أريد أن أطلق العنان للتشاؤم من النتائج المرتقبة للعولمة الآخذة في الاتساع، وخاصة نتائج انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن بعد المتطورة، لا بل على العكس فإن ما أريده هو أن أدعو الدول المتخلفة إلى العمل الجاد في إطار سياسات التعاون الإقليمي والدولي، من أجل حل المسائل الحيوية المعيقة لجهود ردم الهوة المتعاظمة والفاصلة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، وإزالة العوائق عن طريق ولوج الدول المتخلفة عالم إنتاج تكنولوجيا المعلومات وتطويرها بشكل شبه جماعي، وبالاستفادة من الطاقات الوطنية وخلقها وتشجيعها، وعدم الاكتفاء باستيراد تلك التكنولوجيا المتطورة واستهلاكها فقط؛ حفاظًا على المصالح الحيوية لتلك الدول؛ وحماية لأمنها القومي الذي لابد أن يصبح جماعيًا وإنسانيًا في التعامل مع الدول الرائدة في هذا المجال الحيوي والمهم والمصيري للبشرية جمعاء.

ومن العدل أن نشير إلى ما قاله أحد الاقتصاديين الكبار في مجال «اقتصاد المعلومات» من أن«إمكانية أو عدم إمكانية إدارة التكنولوجيا، وخاصة التكنولوجيا الإستراتيجية تحدد إلى حد كبير مصير أي مجتمع»(٧)، وليس سرًا أن أي مجتمع من المجتمعات المتقدمة أو المتخلفة يستطيع أن يستخدم قدرات الدولة لخنق سبل تطوير التكنولوجيا الحديثة، أو لازدهارها على السواء، لأنه مع التدخل الحكومي تبدأ عملية تسريع التقدم التكنولوجي وتنشيطه وتوجيهه وترشيده والذي يمكنه خلال بضع سنوات من تغيير ملامح الاقتصاد الوطني، الذي ترتفع معه إمكانات المناعة العسكرية والأمنية والرفاهية الاجتماعية للمجتمع المحلي الذي هو جزء من المجتمع الإنساني.


من يملك المعلومة يملك القوة

المعلوماتية تخدم عملية تشييد الصرح الاقتصادي الجديد

يتمتع اقتصاد السوق الحالي المنفتح عالميًا بمستوى تكنولوجي معلوماتي رفيع أكثر

من أي وقت مضى، ويرافق التغييرات التكنولوجية السريعة التقدم، وهو السوق الذي تعود فيه رجال الأعمال أن يستخدموا كل ما هو جديد في عالم منجزات تكنولوجيا الاتصال عن بعد، والمعلومات بشكل دائم وواسع، وفي كل دول العالم ضمن الإستراتيجية العامة التي وضعتها الحكومات في الدول التي تساند الأبحاث العلمية، الهادفة إلى استخدام كل السبل الممكنة لاستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وتطويرها وتطبيقها. وبهذا الشكل تخدم تكنولوجيا المعلومات في ظروف العولمة الاقتصادية إقامة صرح الاقتصاد الجديد الذي يعتمد على المساواة الفعلية القائمة على التنافس المستند إلى أسس التقدم العلمي والتكنولوجي، ويحتاج إلى تغييرات جذرية وهيكلية في البنية الاقتصادية، تعتمد إلى حد كبير على الفوارق الجوهرية التي تتحكم بعمليات التطور الجارية في كل دولة من دول العالم، خصوصًا أنه لوحظ خلال العقود الثلاثة الأخيرة ارتفاع حجم تدفق رؤوس الأموال العالمية القادمة من الدول الرائدة في مجال اقتصاد السوق واتساع مجال استخدامها، بشكل تغيرت معه ملامح العلاقات الاقتصادية الدولية جذريًا، بعد أن تجاوزت حصة تلك الدول في الاقتصاد القومي للدول الأخرى عشرات المرات عما كانت عليه قبل عقدين من الزمن. إضافة إلى حقيقة تمكين التكنولوجيا الجديدة رجال الأعمال من تحويل رؤوس الأموال من دول إلى أخرى خلال ثوان ودون عوائق تذكر. ولهذا نستطيع القول: إن رأس المال في ظروف العولمة الاقتصادية أصبح عمليًا مرتبطًا بالمصالح الاقتصادية للعالم كله. وإن تدفق رؤوس الأموال أصبح عالميًا وأكثر استقلالاً عن أي اقتصاد منفصل آخر(٨).

إضافة إلى حقيقة أخرى مثيرة للجدل تقول: إن سوق العمل التي ينظر إليها تقليديًا بوصفها سوقًا متشعبة، أصبحت واقعيًا سوقًا عالمية، لأن:

ـ الشركات الكبرى أصبح بإمكانها اليوم أن توزع مواقع إنتاجها في مختلف الأماكن في العالم وفق متطلبات السوق المنفتحة عالميًا، وتجنب الأخطار التجارية، وفق الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية هنا وهناك.

ـ الشركات الكبرى أصبح بإمكانها استقطاب العلماء المهرة الذين تحتاج إليهم أي دولة من دول العالم، من خلال الحوافز والأجور وشروط العمل الأفضل وظروفه التي توفرها لهم.

بذلت اليابان جهودًا حثيثة وملموسة للحاق معلوماتيًا بالولايات المتحدة الأمريكية، كما تضمنت السياسات القومية للصين، والهند، في مجال تكنولوجيا المعلوماتية إجراءات ملموسة نشهدها في كثير من السياسات القومية

ـ الكثير من الطاقات المدربة والمتخصصة في دول العالم الثالث أصبحت تبحث عن العمل الملائم اليوم عبر صفحات «الإنترنت» في السوق العالمية للعمل، خاصة وأن الطاقات الوطنية في الدول النامية تعاني مشكلات اقتصادية مستعصية أو تعاني الحروب والصراعات والنزاعات المسلحة التي تجرى على أراضي تلك الدول(٩).

ـ التطور العلمي، والمعلومات العلمية، والتكنولوجيا المتطورة أيضًا أصبحت جزءًا لا يتجزأ من العولمة الاقتصادية الحديثة التي تتطلب ظروف المنافسة الشريفة فيها حماية صارمة لحقوق الملكية الفكرية، وتوفير ضمانات أكيدة لتوزيع ثمارها بشكل عادل يحقق لها الأداء الأمثل لدورها الحقيقي الذي يجب أن تؤديه وهو ما يصعب تحقيقه في الدول التي لا تتركز فيها مراكز البحث العلمي، ولا تشكل مراكز البحث العلمي فيها عمليًا القاعدة الصلبة للتطور العلمي على المدى الطويل في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن بعد(١٠).

ـ تطور القواعد العلمية وزيادة حجم الموارد المعلوماتية والمادية من أجل إنتاج التكنولوجيا الحديثة وإمكانات توزيع تلك الموارد في ظروف العولمة الاقتصادية لتصبح من أهم مصادر القدرة على التنافس في السوق العالمية

المنفتحة، التي هي من شروط تعويض النقص الناتج من الإنتاج المنخفض في بعض الدول، وتساعد على الوصول إلى الأسواق المتكاملة الكبيرة لبعض الدول ذات الإمكانات السياسية والإدارية المتطورة، أو حتى لمناطق جغرافية بأكملها لأن المعلومات أصبحت اليوم من الموارد الإستراتيجية المهمة التي يسمح استخدامها من قبل من يملك ومن لا يملك الموارد المادية، والقوى البشرية ورؤوس الأموال الكافية، وأن تكون من حوافز المنافسة؛

تطور أنظمة الاتصال من أهم أسباب التطور الاقتصادي

لأن المعلوماتية أصبحت أداة رئيسة من أدوات التأثير في مختلف مجالات نشاط الفكر الإنساني من خلال قدرتها على تشكيل الإنسان وقناعاته ومواقفه(١١).

الثورة المعلوماتية والتعاون الدولي

من الواضح الآن أن تطور مختلف بلدان العالم يعيش في الظروف الراهنة ثورة معلوماتية واتصالية جديدة حقيقية، ويقف في طليعة تلك الثورة التعاون الدولي في إطار الاتحادات العالمية لمستخدمي تقنيات وبرامج الحاسب الآلي الدائمة التطور ومنتجيها، ويبقى العنصر الرئيس حتى الآن ودون منافس يذكر للبنية التحتية العالمية الجديدة للمعلوماتية هو شبكة «الإنترنت» العالمية. وعلى ما يبدو أن ذلك لم يكن محض مصادفة عندما اختارت الولايات المتحدة الأمريكية الرائدة في هذا المجال خيار تطوير شبكة «الإنترنت» وعولمتها؛ لأنها كانت ولم تزل تسعى - من خلالها ومن خلال غيرها من عناصر العولمة - إلى بقاء الفقرة المهمة في صلب كل النظام العالمي الجديد، وعلى امتداد المرحلة الجديدة التي تعيشها عملية التطور الإنسانية والعولمة الاقتصادية.

وشبكة «الإنترنت» العالمية اليوم على سبيل المثال هي حقيقة تمثل إحدى ظواهر السياسة الخارجية الجديدة للولايات المتحدة الأمريكية من خلال علاقتها المتجددة مع الاتحاد الروسي، والمتمثلة بتحجيم تقديم المساعدات المالية إليه، وذلك في الوقت نفسه الذي تحرص فيه على استمرار التعاون معه في المجالات النووية، والمجالات المساندة والواسعة لتعميم استخدام الحاسب الآلي، ونشر شبكة «الإنترنت» العالمية وتعميمها على أراضيه، دون تمكينه من تطوير أي تقنيات حديثة قد تشكل تهديداً لتطلعاتها وطموحاتها المعلوماتية مستقبلاً. وبغض النظر عن الأهداف المعلنة للسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية التي تتحدث عن الإسهام في نشر الديمقراطية والمعلوماتية وتأمين الوصول إلى المعلومات لكل أطراف معادلة العلاقات الدولية المعاصرة. فعلى ما يبدو أن الخلفية الحقيقية وغير الظاهرة تكمن في تلك المساعدات التي تقدمها للاتحاد الروسي ولغيره من دول العالم، وتضمن كحد أدنى المساهمة في تطوير كل المجالات التي ترتبط بالمصالح الاقتصادية، والسياسية، ومصالح الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية قبل كل شيء.

الهدف السياسي
يبقى العنصر الأهم في العلاقات الدولية

ولكن يعدّ الهدف السياسي عنصراً مهماً في العلاقات الدولية، وشبكة «الإنترنت» العالمية هي الوسيلة الفريدة للتبادل الإعلامي الدولي. ويعد الوصول إلى شبكة

«الإنترنت» العالمية واقعيًا، هو الوصول إلى العالم الحديث، المتحرر من أي حدود أو أي حواجز؛ لأن شبكة «الإنترنت» العالمية اليوم تتيح الاتصال وتبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات والدول أينما كانوا في البحر والمحيطات والغابات والصحاري والجبال وحتى الفضاء الكوني، إضافة إلى دورها المتزايد اليوم في التجارة الإلكترونية التي تسمح بعقد الصفقات التجارية عبر بورصة نيويورك لرؤوس الأموال، أو عبر بورصة طوكيو أو غيرها من البورصات المنتشرة في أنحاء شتى من العالم. وتسهيلها لعملية الحصول على آخر الأنباء التي تنشرها مختلف وسائل الإعلام الجماهيرية المقروءة والمسموعة والمرئية، وإتاحتها فرصة المشاركة في كتابة الأخبار والتحقيقات المصورة وتوزيعها في مختلف أنحاء العالم دون عائق يذكر. وهو ما يسمح لنا بإطلاق لقب «عدو المجتمعات المغلقة» على شبكة «الإنترنت» العالمية.

والانتشار الواسع لهذه الشبكة داخل دول ما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي السابق والدول الدائرة في فلكه، كان من غير الممكن لولا تلك الإصلاحات التي بدأها الرئيس السوفييتي السابق غورباتشوف خلال العقد الثامن من القرن الماضي وأدت في النهاية إلى انهياره المفاجئ في مطلع التسعينيات من القرن الماضي. والدرس المستفاد من انهيار النظام السوفييتي السابق والمنظوم الاشتراكية، أن تلك الدول لم تكن مهيأة لمتطلبات العولمة الاقتصادية الجديدة التي أخذت ملامحها بالتبلور آنذاك، ولم تكن تتلاءم مع الحدود المغلقة في المجالات المعلوماتية والسياسية والاقتصادية السائدة آنذاك (١٢). وهو ما يضع كثيراً من دول العالم أمام خيارات صعبة لا تقبل الجدل أو التأخير أو التأجيل للولوج في عصر العولمة المعلوماتية من أوسع أبوابها، ووضع قواعد إيجابية وقانونية واضحة لها قبل فوات الأوان.

كادت تكنولوجيا الاتصال عن بعد وشبكة «الإنترنت» العالمية تحتلان اليوم الحصة الأكبر والأهم من سوق التجارة التي تشمل أوسع قائمة من المنتجات كالمواد الغذائية وبضائع الاستهلاك اليومي ومنتجات التعدين والنفط والغاز ومشتقاتها

تكنولوجيا المعلوماتية في استراتيجيات سياسة المصالح القومية

ومع تزايد الفهم الواسع والمستمر لتفوق الولايات المتحدة الأمريكية في مجال التكنولوجيا المعلوماتية، وتكنولوجيا الاتصال عن بعد، وسيطرتها على أسواقها، نرى أن الاتحاد الأوربي قد بادر إلى اتخاذ خطوات حثيثة لتجاوز التأخّر في هذا المجال الحيوي. وأنه حتى نهاية عام ١٩٩٩م، تمكن من وضع استراتيجية خاصة لتطوير «السوق المعلوماتية الأوربية»، وبذلت اليابان جهوداً حثيثة وملموسة للحاق معلوماتياً بالولايات المتحدة الأمريكية، كما تضمنت السياسات القومية للصين، والهند، في مجال تكنولوجيا المعلوماتية إجراءات ملموسة نشهدها في كثير من السياسات القومية.

ولكن ما يثير الانتباه أكثر من غيره، هو النموذج الهندي في مجال السياسة القومية لتكنولوجيا المعلوماتية، إذ تبنت السياسة الحكومية الهندية خلال العقود الأخيرة خيار رعاية الدولة ومساندتها لإقامة صناعة وطنية لبرامج الحاسب الآلي المعدة للتصدير، واختارت كذلك مبدأ التعاون مع الشركات العالمية الكبرى العاملة في مجال المعلوماتية والاتصالات المرئية. ووفق التقديرات المنشورة، فإن رأس مال الشركات الهندية العاملة في هذا المجال بلغ في عام ٢٠٠٠م، أكثر من ٢٥مليار دولار أمريكي، وبلغت صادراتها من البرامج المنتجة نحو ٣ مليارات دولار أمريكي (١٣). وهي أرقام تدعو - على ما نعتقد - الدول النامية إلى التأمل والتفكير.

وإن تحدثنا عن تجربة الاتحاد الروسي في المجال المعلوماتي الدولي وتكنولوجيا المعلومات، فإننا نرى أنها لا تزال متواضعة جداً، ولا تلبي حاجات المصالح الوطنية ولا مصالح الاتحاد الروسي بوصفه دولة عظمى، ولا

متطلبات الإمكانات التقنية والعلمية الروسية، ولا مستوى التطور الثقافي لشعوب الاتحاد الروسي قاطبة. وهذا الوضع تعترف به السلطات الاتحادية الروسية نفسها، فقد ما أشار إليه رئيس الاتحاد الروسي فلاديمير بوتين في معرض مناقشته لموضوع التكنولوجيا المتقدمة في الاتحاد الروسي التي دبت الحياة فيها، ولكن بمستوى تطور اقتصادي جديد لا يتفق وأهمية التكنولوجيا المتقدمة اللازمة للاتحاد الروسي(١٤). وعلى ما يبدو أن الاتحاد الروسي لم يزل يعاني فاصلاً كبيراً بين إمكاناته بوصفه دولة تحتاج إلى تطوير تكنولوجيا المعلومات، واحتياجات المصالح الوطنية في مجال التكنولوجيا المتقدمة.

ومن قراءة بيانات وزارة الاتصالات والمعلومات في الاتحاد الروسي، نجد أن عدد مستخدمي خدمات شبكة «الإنترنت» العالمية في الاتحاد الروسي حاليًا يبلغ نحو ٣ ملايين نسمة، وهذا الرقم يمثل ٢٪ تقريبًا من عدد السكان. وتتوقع تلك البيانات أن يزداد عددهم خلال السنوات الخمس القادمة ليبلغ ٦ ملايين نسمة، وأن يبلغ عددهم حتى عام ٢٠١٠م، أكثر من ٢٦ مليون إنسان، وحسب معطيات الوزارة المعنية، فإن حجم الخدمات المعلوماتية لشبكة «الإنترنت» العالمية في المجال المعلوماتي للاتحاد الروسي، قد ارتفع في عام ٢٠٠٠م، مقارنة بعام ١٩٩٩م، إلى نحو مرتين تقريباً وبلغ ٤٦٠ مليون دولار أمريكي، وفي عام ٢٠٠٠م، بلغ حجم تكنولوجيا المعلومات وخدماتها بما فيها خدمات شبكة «الإنترنت» العالمية في مجموعة الناتج القومي نحو ٤.٧ مليارات دولار أمريكي. ولكن المحللين يرون ذلك أقل بكثير عن ٤٪ وأكثر من الناتج القومي المميز لمؤشرات الدول المتطورة الكبرى.

ومنذ وقت قريب وضع مشروع قدم للحكومة الفيدرالية في الاتحاد الروسي يتضمن برنامجاً فيدرالياً يهدف إلى تطوير استخدام التجارة الإلكترونية، ويسهم في خلق الظروف الضرورية من أجل انتشار استخدام التجارة الإلكترونية، وتطبيق إجراءات تفسح المجال أمامها من أجل أن تسهم في التطور الاقتصادي للاتحاد الروسي، وزيادة عدد فرص العمل المتاحة للطاقات الوطنية المدربة، والإسهام في عملية رفع مستوى حياة المواطنين، وخطط خلال المرحلة الأولى للبرنامج الذي يستمر من عام ٢٠٠٢م، حتى عام ٢٠٠٣م، اتخاذ إجراءات عملية، لإحداث قاعدة قانونية توفر الظروف المثالية للاستثمار في مجال البنية التحتية اللازمة في مجال التجارة الإلكترونية. وفي المرحلة التالية التي تستمر حتى عام ٢٠٠٦م، القيام بكل ما يمكن تطبيقه من إجراءات عملية لتطوير استخدام شبكات الحاسب الآلي وتوسيعه، والارتفاع بعدد المستفيدين من خدمات شبكة «الإنترنت» العالمية إلى ١٥٪ من عدد السكان، وتحقيق انتقال الجهات الحكومية إلى استخدام تكنولوجيا التجارة الإلكترونية الحديثة.

لا أحد يستطيع أن ينكر أن شبكة «الإنترنت» العالمية أصبحت في عالم العلاقات الدولية اليوم الموجه المؤثر الأقوى في كل عمليات التفاعل السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي للعولمة

العلاقات الدولية والصناعات المعلوماتية والتجارة الإلكترونية

ومن التجربتين الآنفتي الذكر نلاحظ أن الصناعات المعلوماتية والتجارة الإلكترونية آخذة في التوسع والانتشار بالتدريج في العلاقات الدولية، وأن ذلك الانتشار مرتبط إلى حد كبير بالوعي الذي تبديه الحكومات لأهمية تكنولوجيا المعلوماتية وسعيها إلى الدخول في عالم إنتاج تكنولوجيا المعلوماتية واستخدامها، وهو سعي لا يقل أهمية عن مساعي «سباق التسلح» للدفاع عن المصالح القومية العليا، إذ نرى في الوقت الحاضر أن الآلاف من الساحات التجارية الإلكترونية الضخمة العاملة في الدول المتطورة والأقل تطوراً على حد سواء في مجال تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد، تتناول في أنشطتها مجالات متعددة، منها تسويق الخامات

والمنتجات الزراعية والغذائية، والنفط والغاز، ومجالات تكنولوجيا المعلوماتية، والاتصال المسموع، والاتصالات المرئية، وبرامج الحاسب الآلي، ومجالات البناء والخدمات المعلوماتية، والتأمين والنقل، والصناعات الكيماوية، وغيرها من مجالات العلاقات الاقتصادية الدولية. ونرى أن الشركات الوطنية، بما فيها شركات التعدين والنفط والغاز، آخذة أكثر فأكثر بتطوير إمكانات مواردها المعلوماتية عبر شبكة «الإنترنت» العالمية، وإدخال تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد في مجال العمل والإدارة. وهناك الكثير من الأمثلة الوطنية للاستخدام الفاعل للتكنولوجيا الجديدة، التي يؤدي استخدامها إلى تحسين الإنتاج وترشيد عملياته، وتحسين نوعية المنتجات وتسويقها إلى حد كبير.

آفاق المعلوماتية وتكامل الدول النامية ضمن سياق العلاقات الدولية المعاصرة

برأيي أن الاتجاه الأكثر قابلية للتطور في مجال تطوير تكنولوجيا المعلوماتية والتجارة الإلكترونية في العلاقات الدولية للدول النامية، ومن بينها الدول العربية هو الشروع في (١٥):

ـ التوسع في إنتاج مكونات الحاسب الآلي وبرامجه ، وتشجيع منتجيها على التصدير، وإقامة أنواع من الشراكة والتعاون مع الشركات العالمية الرائدة في هذا المجال.

ـ تطوير إنتاج أبدال للبرامج المستوردة وأبدال لبعض مكونات نظام شبكات الاتصالات المرئية والمسموعة، والاتصالات بالألياف البصرية وغيرها.

ـ تشجيع مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة، والقطاع العام والمشترك والخاص لممارسة أعمال البحث العلمي، والاختراع في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال عن بعد، ومضاعفة الإسهامات الحكومية فيها.

ـ حفز إقامة الشركات الوطنية العربية الكبيرة القادرة على العمل والمتخصصة في مجال تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد وتطويرها، وفي الوقت ذاته تشجيع دخول رجال الأعمال العرب قطاع الأعمال الحرة في عالم تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد وبرامجها.

ـ إدخال مبادئ تقنيات تصميم المعلوماتية وإنتاجها وصيانها والاتصال عن بعد في مناهج التعليم قبل الجامعي، والجامعي وتعريبها، والتوسع في إقامة فرق تعليمية لها في مؤسسات التعليم المتوسط والعالي.

ـ تشجيع التأليف والنشر وإصدار الدوريات والبرامج الإذاعية والتلفازية المتخصصة في قضايا تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد.

وأخيراً فإن تطور العمل في مجالات تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد لا يعدّ فقط من الحلول الناجعة لبعض مشكلات الاقتصاد الوطني للدول العربية فحسب، بل يوفر للأمن العربي فرصة أكبر للتكامل والمنعة والقوة تعادل مدى ارتفاع حجم الاقتصاد القومي العربي.

ليس من الصعب أن نتصور بروز استعمار من نوع جديد، يهيمن على العلاقات الدولية الجديدة، ويمكننا تسميته تجاوزاً بـ«استعمار تكنولوجيا المعلومات»

وهنا يجب أن نأخذ في حسباننا مساعي الدول العربية للتكامل الاقتصادي ليس بينها فحسب، بل مع الاقتصاد العالمي، الذي تشكل السياسات الحكومية العربية في مجال المعلوماتية محوره، ويجب أن تأخذ تلك السياسات في حسبانها خبرة السياسات المعلوماتية للدول المتطورة في العالم والتي يمكن أن تسهم في ردم شيءٍ من الهوة التي تفصلها عنها(١٦).

وحسب رأي الكثيرين من المحللين، فإن أهم شركاء المستقبل للدول النامية في مجال التكنولوجيا الجديدة هي الدول المتقدمة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعاني اليوم عجزاً كبيراً في المبرمجين المدربين، وتملك أضخم سوق معلوماتية دولية، منتشرة عملياً في كل أنحاء العالم. إن الشركات الأمريكية العابرة للقارات تستطيع لو رغبت أن تستوعب البرامج المنتجة في بعض الدول النامية، و تستطيع توفير فرص أفضل لتسويق منتجات تلك الدول من مكونات تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد وبرامجها، وتصديرها إلى الأسواق الغربية.

والدول النامية ومن بينها الدول العربية تستطيع بالكامل أن تسد العجز الذي تعانيه الولايات المتحدة الأمريكية، وبعض الدول المتقدمة في المبرمجين، والمتخصصين خاصة، و تتمتع بعض تلك الدول بمستويات رفيعة من التعليم المتخصص لدى قسم لا بأس به من سكانها، إضافة إلى أن لبعض تلك الدول منجزات ملموسة في مجال العلوم الأساسية التي يمكن أن توظف لخدمة الاقتصاد العالمي المعاصر.

خلاصة القول

إن الكثير يتوقف لإنشاء البنى التحتية اللازمة على الحكومات وعلى الإرادة السياسية الصلبة، والقواعد القانونية الكفيلة بإقامة مؤسسات قومية عربية تسمح للدول العربية مجتمعة بتحقيق إمكانات علمية وتقنية رفيعة، تستطيع أن تشغل مكانتها الملائمة في السوق العالمية للتكنولوجيا العالمية المتقدمة. وهي خطوة أولى من المهام الكثيرة التي من دون حلها سيزداد تخلف الدول العربية عن الدول «الرائدة» في مجال تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال عن بعد، وتهدد اقتصادها بالتبعية والخضوع الدائم للمستورد من المنتجات المعلوماتية والتكنولوجية من الدول المتقدمة.

ولا أعتقد أن هناك في الدول العربية من يرغب في أن يتخلف العرب عن غيرهم من شعوب العالم ضمن عملية العولمة المعلوماتية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ولا أن يسمح بتعريض مصالح الأمن القومي العربي لأي أخطار يصعب حلها في المستقبل. ولهذا أرى أنه لا بد من الدعوة للشروع - وفق الإمكانات المتوافرة والمتاحة، وبأقرب وقت ممكن - في وضع مشروع قومي وإقراره والبدء في تطبيقه من أجل تنسيق الجهود المبذولة في بعض الدول العربية لتطوير تكنولوجيا المعلوماتية في الوطن العربي، آخذين في الحسبان حاجات السياسات الخارجية للدول العربية ومسايرتها لمراحل تطور العلاقات الدولية في العالم المعاصر.

الهوامش

١. العلاقات العامة كهدف من أهداف التبادل الإعلامي الدولي: أ. د. محمد البخاري، مقرر لطلاب الماجستير ، طشقند: جامعة طشقند للدراسات الشرقية، ٢٠٠٠م، ص ٨ ـ ١٥ (باللغة الروسية)

٢. انظر:

-Balty, Michael, Bob Barr, (The Electronic Frontier) Exploring and Mapping Cyberspace) (Futures), July 26,1994,pp.699-712.
- Hart, Jeffrey A, Robert Reed, Franco,s Bar, The Building, of Internet. Berkeley, CA,U. of California, Brie Working Paper, 1992,
- www.rand.org/publications/mr/mr650

٣. تكنولوجيا المعلومات الجديدة، عادل باغيروف، موسكو: مجلة مجدوناردونايا جزن، العدد ٨، ٢٠٠١م، ص ٩٠.(باللغة الروسية).

٤. المؤتمر الدولي العربي ٢٠٠١م، لتكنولوجيا المعلومات. عمان: أخبار الاتحاد، نشرة إخبارية دورية تصدرها العلاقات الثقافية في الأمانة العامة لاتحاد الجامعات العربية، تشرين الأول/تشرين ثاني/ كانون الأول ٢٠٠١م. ص ١١.

٥. هيرتسوك ر: كلمة أمام المؤتمر الاقتصادي العالمي في دافوس ١٩٩٩م، عن: عادل باغيروف: تكنولوجيا المعلومات الجديدة. موسكو: مجلة مجدوناردونايا جزن، العدد ٨، ٢٠٠١م، ص ٩١. (باللغة الروسية)

٦. العولمة والمصالح القومية، كوليناتسكي ن. ن، موسكو: مجدوناردونايا جزن، العدد: ١، ٢٠٠٠م، ص ٨٧ ـ٩٥.(باللغة الروسية)

٧. كاستيلزم: عصر المعلومات: الاقتصاد، المجتمع والثقافة. موسكو:٢٠٠٠. (باللغة الروسية)

٨. للمزيدانظر:

– Peter Lee, Paul King, David Shirref, Geof Dyer. (All change)./(Eurompney), June 1994,pp.89.

9- Werner Sengenberger, Dunkan Campbell (eds). International Labor Standards and Economic Interdependence. Geneva, International Institute of Labor Studies, 1994.

10-Lus Soete. The Impact of Technological Innovation on International Trade Patterns: The Evidence Reconsidered. (Research Policy), 1987.

١١. للمزيد انظر:
ـ عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة. كاستيلزم (باللغة الروسية) .

١٢. للمزيد انظر:
ـ عصر المعلومات: الاقصاد والمجتمع والثقافة. موسكو: ٢٠٠٠م. كاستيلزم (باللغة الروسية).

١٣. تكنولوجيا المعلومات الجديدة.عادل باغيروف، موسكو: مجلة مجدوناردونايا جزن، العدد ٨، ٢٠٠١م، ص ٩٤. (باللغة الروسية)

١٤. المصدر السابق.

١٥. للمزيد انظر:
ـ أحمد السعدي، ملاحظات حول واقع الاقتصاد العربي ومستقبله، عمان: المنتدى، العدد ١٩٥، كانون أول/ديسمبر٢٠٠١م، ص ٢٢ـ٢٣.
ـ إعلان ملتقى المفكرين العرب، عمان: المنتدى، العدد ١٩٦، كانون الثاني يناير ٢٠٠٢م، ص ٦ـ٧.

١٦. للمزيد انظر :
ـ تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠١م.
ـ كلمة كوكوشينا أ. عن السياسة القومية المعلوماتية الروسية في مؤتمر جامعة هارفارد، أكتوبر / تشرين أول ٢٠٠٠م، (باللغة الروسية).

مصادر الصور: الإنترنت.

الخزف والقاشاني الإسلامي:
فن رفيع ووظائف متعددة

محمود شاهين
دمشق - سورية

يُعد القاشانـي من الفنون التطبيقيّة الإسلامـية العريقة، ساد في أكثر مـرحلة، وشهد تطورات متـلاحقـه. ارتبط بالعمـارة فزيّنهـا وجمّلهـا، وحرّك كـتلها ومـساحـاتها، وفراغـاتها الداخـليّة بلوحـات بديعـة، شكّلتها بلاطات خـزفيّة مرصـوفة بعضهـا إلى جانب بعض، كما تجسّد هذا الفن في شكل حِرَف وصناعات استـعماليّة وصل بعضها إلى مصاف التـحف الفنية الرفيعة، كعناصر تشكيليّة، وكقيم تعبيريّة ودلاليّة وتقانيّة.

مصطلح القاشاني

يعود اصطلاح «قاشاني» إلى مدينة «قاشان» الإيرانيّة التي ازدهرت فيهـا هذه الحـرف الفنيّة فـي القرنين الثـالث عشـر والرابع عشر الميلاديين، وكـان في طليعة الحـرفيين الذين عملوا فـيها أبو القاسم عـبدالله بن علي بن أبي طاهر القاشـاني الذي يُعد من كبار المشتغلين في هذا الميدان، فقد قام مع أسـرته بتنفيـذ عدد من المحاريب الرائعة في كثير من الجوامع، إضافة إلى لـوحات تزيينيـة كـثـيـرة فـي بعض المنشآت المعماريّة الإسلامية. وقد وضـع رسالة مـهمـة عام ١٣٠١م تحـدث فـيـهـا عن صناعـة القاشـاني ومـقوماته وخصائصه.

مكونات القاشاني

تتألف لوحات القاشاني من مـجـمـوعـة ألواح أو بلاطات متـعددة الأشكال والقيـاسات، يرصـف بعـضـهـا إلى جـانب



لوحة مقوسة في جامع التكية السليمانية بدمشق



صحن مزجّج يعود إلى القرن السادس عشر ـ تركيا

بعض، بشكل مدروس، لتؤلف في النهاية منظراً عاماً مشكّلاً من رسوم وزخارف وتشكيلات هندسيّة أو نباتيّة مطعمة أحياناً بالهيئات المشخصة لطيور وحيوانات، قد تقتصر لوحات القاشاني على الكتابات، وأبرز الألوان التي استعملت في القاشاني الإسلامي هي الأزرق والزهري.

كغالبية الفنون التطبيقية، والحرف والصناعات اليدويّة الإسلامّية، كان للخط العربي دوره الأساسي في تشكيل البنية الزخرفيّة الرئيسة في عملية تزيين العمارة والحرف والصناعات والابداعات التطبيقية الإسلاميّة وتجميلها وتزويقها، على اختلاف خاماتها وموادها ووظائفها، ومن بينها القاشاني الذي تميز بالجمع الموفق بين الزخارف والتشكيلات المستوحاة من الكتابة العربية أو المُشكّلة منها،



صحن يعود إلى
القرن العاشر - إيران

أو المحيطة بها، وهذه الزخارف والتشكيلات ذات بريق معدني ملوّن بالأزرق والفيروزي، تستوي مع الخلفيّة أو تبرز عنها بنفور بسيط.

انتقلت صناعة القاشاني من إيران إلى آسيا الوسطى وتركيا، والقاشاني فن عربي إسلامي رفيع وعريق، يعود إلى العصر العباسي، وتطور كثيراً عبر مراحل تاريخيّة مختلفة، وتقوم اليوم عدة مشاغل وورشات ومدارس ومعاهد وجامعات عربية وإسلاميّة على تطوير صناعته وترسيخها بوصفه تقليداً فنياً جميلاً ومهماً قادراً على إغناء العمارة وتجميلها وتحريك كتلها ومساحاتها الداخليّة والخارجيّة.

تاريخ طويل

تعود بدايات ظهور القاشاني إلى العصر العباسي، فقد تركت لنا «سامراء والرقة والري»، في سوريّة



صحن مزجّج
يعود إلى القرن
السادس عشر - تركيا

والعراق أكبر كمية من الشواهد على هذا الفن الرفيع، خاصة الفخار المموه بالمينا. كما حفظت خرائب «الفسطاط» بمصر ما يُشير إلى نماذج مختلفة منه. ومنه القاشاني ذو البريق المعدني. وفي إفريقية الإسلاميّة نجده في محراب المسجد الكبير في القيروان، والاعتقاد السائد أن مصدره هو العراق، شأنه في ذلك شأن الخزف الفارسي في القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر الميلادية، فهو أيضًا امتداد للخزف في العصر العباسي، كذلك الزخرفة المعماريّة المنحوتة بالجص، وحتى خزف مصر، تعود أصوله إلى العراق، خصوصاً الخزف ذا البريق المعدني والمينا المعروف باسم «كوبرا واسيكا»، وذا الطلاء المنقوش تحت غطاء شفاف. وفي الأندلس كشفت التنقيبات في مدينة الزهراء عن كمية من القاشاني المشابه للقاشاني الإفريقي، خاصة التنوسي، سواء على صعيد التقنية التي انحصرت باللونين الأخضر والبني المنغنيزي، والتغشية

بالبرنيق، أم على صعيد العناصر التشكيليّة المستعملة فيه والمتمحورة حول الهيئات الحيوانيّة. وفي إيران استعمل الخزف بنجاح كبير في العمارة. فقد كان الكسوة الرئيسة لعدد من الأبنية والمنشآت خلال القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر الميلادية، حين سجل الخزف حضوراً رئيساً في الفنون التطبيقية والعمارة معاً، ومن أهم المراكز التي أنتجته في هذه الحقبة من تاريخ الإسلام مدن «الري»، و«قاشان»، وأسنك «أزنيك»

خصائص ومزايا

سادت الرسوم والأشكال الهندسيّة والنباتيّة المنمقة الأسلوب في الخزف والقاشاني العباسي، وقد تطعمت بالخطوط والكتابات العربيّة، ومن شواهد هذا الأسلوب المتقن زبديّة يضمها متحف دمشق الوطني، عليها كتابات تقول: إنها صنعت في « الحيرة»، ما بين النهرين، وتحمل خصائص تشكيليّة تكاملت فيها القيمة الجماليّة والدلاليّة بالقيمة الوظيفيّة؛ وهذه سمة عامة تنسحب على الفنون الإسلامية بجميع أشكالها وضروبها، خاصة منها التي اعتمدت على معطيات الخط العربي وقدراته التشكيليّة والدلاليّة المتفردة في زخرفتها وتنميقها وتزويقها، وغالبية الخزف العباسي، أنتجت في «سوسة»، و«سامراء»، وفي وقت مبكر في «الحيرة»، وهو خزف إسلامي قلباً وقالباً، ويُعتقد أن «سوسة» و«سامراء» أول مَنْ أنتجه بصيغة راقية، بغية إرضاء أذواق الخلفاء العباسيين المرفهة، ثم تحت رعاية الخلفاء الفاطميين الذين جاروهم بالذوق والرفاهية.

كما كانت «الرقة» في سوريّة من أهم المراكز التي أنتجت الخزف والقاشاني في العصور الإسلامية المبكرة، وكان لهذا المركز صلات كثيرة مع المراكز الأخرى في البلاد العربيّة والإسلاميّة ، وقد حافظت الرقة على دورها الريادي في إنتاج هذه الحرف والصناعات والفنون حتى تدميرها على يد المغول عام ١٢٥٩م.

أنتجت محترفات الرقة الأواني من النوع المزجّج والمقولب والمزخرف تحت التزجيج، وبألوان زرقاء وخضراء، وقد جمعت الأعمال المنفذة في الرقة وبلاد ما بين النهرين وإيران قواسم مشتركة كثيرة، كما راجت في هذه الفترة صناعة الجرار الكبيرة ذات الفتحات الواسعة والمقترنة أحياناً بالزخرفة المرسومة بأسلوب رقيق، وقد طُوّر أسلوب الرقة المتميز بسمة فنية شرقية في مشاغل الرصافة ودمشق بعد تدمير المركز الرئيس فيها، كما قُلدت منتجاتها في الفسطاط بمصر. ومتحف دمشق الوطني يضم عدة شواهد على ذلك.



نجمة قرميدية
تعود إلى القرن الثالث عشر -
إيران

تنوع في الشكل والوظيفة

غلبت الوحدات الزخرفيّة العربيّة «الأرابيسك» على تصاميم وتشكيلات القاشاني الإسلامي وتشكيلاته التي



صحن مزجّج يعود
إلى القرن السابع عشر -
شمال غرب إيران

دخلت عليها فيما بعد أشكال الأسماك والطيور، أما الأشكال البشرية فكانت نادرة الوجود فيها. ومن أكثر أنواع المصنوعات الخزفيّة انتشاراً في العصور السابقة، كان الطراز الذي تبرز فيه التشكيلات والزخارف على شكل نافر، أي: تُنفذ خارج اللوحة من الطين الخزفي، ثم تُثبت في المكان المحدد لها، أما النوع الثاني فكانت الأشكال والزخارف تُنحت في أرضيّة اللوحة الخزفيّة، وهي أكثر دقة ورقة من النوع الأول.

وفي العصر العباسي على التحديد، كانت الرسوم الهندسيّة والنباتية المنمقة الأسلوب مألوفة وسائدة في الخزف والقاشاني، ويحمل بعضها كتابات ونصوصاً، مما يجعل القيمة الجماليّة التزيينيّة فيها تتماهى بالقيمة الدلاليّة والوظيفيّة، وهذه سمة عامة تنسحب على جميع الفنون الشرقية بعامة، والإسلاميّة بخاصة، فقد وجدت الفنون على اختلاف أنواعها وتقاناتها، من أجل وظيفة استعمالية محددة، ثم لحقها التنميق والتزويق والتزيين،



صحن مزجّج يعود
إلى القرن السادس عشر -
تركيا

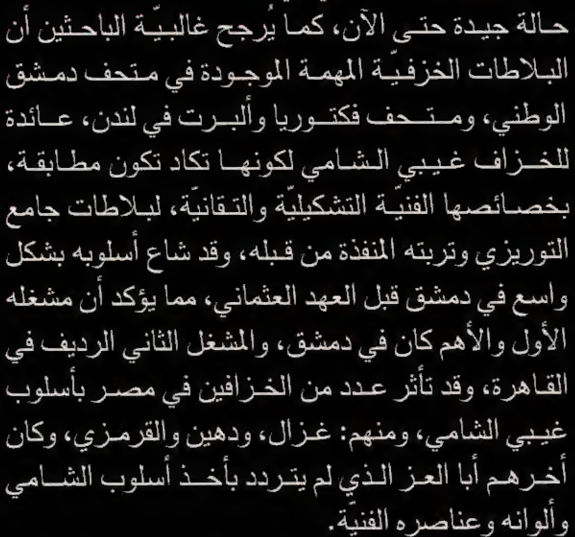
بهدف جعلها جميلة الوقع في العين، أنيسةً قريبةً من الإحساس والشعور.

معلمون كبار

إلى جانب المعلم الشهير أبي القاسم عبدالله بن علي بن أبي طاهر القاشاني الذي كان في مقدمة الذين اشتغلوا بالقاشاني فقد ظهر في دمشق المعلم غيبي الشامي الذي ذاعت شهرته خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن الخامس عشر الميلادي، وقد وقع باسم غيبي التوريزي في إحدى لوحات جامع وتربة التوريزي الموجودة في دمشق العائدة إلى عام ١٤٤٣م، لقد قام هذا الخزاف الشهير بتنفيذ جميع اللوحات القاشانيّة التي تغطي غالبيّة جدران جامع التوريزي وتربته، وهي في



صحن مزجج يعود إلى القرن التاسع



حالة جيدة حتى الآن، كما يُرجح غالبيّة الباحثين أن البلاطات الخزفيّة المهمة الموجودة في متحف دمشق الوطني، ومتحف فكتوريا وألبرت في لندن، عائدة للخزاف غيبي الشامي لكونها تكاد تكون مطابقة، بخصائصها الفنيّة التشكيليّة والتقانيّة، لبلاطات جامع التوريزي وتربته المنفذة من قبله، وقد شاع أسلوبه بشكل واسع في دمشق قبل العهد العثماني، مما يؤكد أن مشغله الأول والأهم كان في دمشق، والمشغل الثاني الرديف في القاهرة، وقد تأثر عدد من الخزافين في مصر بأسلوب غيبي الشامي، ومنهم: غزال، ودهين والقرمزي، وكان أخرهم أبا العز الذي لم يتردد بأخذ أسلوب الشامي وألوانه وعناصره الفنيّة.

كما كان حرم الجامع الأموي الكبير في دمشق قبل الحريق الذي أصابه عام ١٨٩٣م، يحوي سجادات مؤلفة من بلاطات خزفيّة رائعة بمساحة تربو على ثلاثة أمتار مربعة، لم يبق ما يُشير إليها سوى صورة ضوئية التقطها فون أوبن هايم في عام الحريق نفسه، تبين أن هذه اللوحات من القاشاني كانت تتوسط الكسوات الرخاميّة على جدار الحرم من الجهة القبليّة، وفي أعلى المنبر، وعلى طرفي المحراب. وهناك صورة ضوئية أخرى سجلتها عدسة «ماكس فان برشيم» تُشير إلى وجود ألواح خزفيّة كانت تغطي أجزاء من واجهة الحرم المطلة على الصحن، في الجامع الأموي الكبير بدمشق، ويبدو أن هذه الألواح الخزفيّة الرائعة التي كان يضمها هذا الجامع تسربت خارج سوريّة، بعضها موجود الآن في متحف فكتوريا وألبرت في لندن، وفي متحف



زبدية مزجّجة
تعود إلى القرن
الثاني عشر ـ إيران

«الميتروبوليتان» في نيويورك، وفي «المتحف الإسلامي» في القاهرة، إلى جانب بعض البلاطات الموجودة في متحف دمشق الوطني.

وفي جامع «محيي الدين ابن عربي» بدمشق وضريحه تكسو بلاطات القاشاني مساحة الإيوان البالغة نحو خمسة وعشرين متراً مربعاً، وفي حرم الجامع ثلاث سجادات من القاشاني. وفي التكية السليمانيّة الدمشقيّة وتعلو الشبابيك والأبواب ألواح خزفيّة مقوسة، ونجد مثلها في مسطبة «سعد الدين» بمنطقة الميدان، وفي الدرويشيّة وتربتها، وفي حمام القيشاني الذي أخذ اسمه من ألواح القاشاني التي تكسو بعض جدرانه وأفاريزه وواجهاته.

وبعد ...

هنا أو هناك، يبقى الذوق العربي الإسلامي الرفيع وراء هذه الإضافات الجماليّة والزخارف البديعة، والصنعة المتقنة شكلاً ومضموناً، والتي لحقت بالعمارة الإسلاميّة وبجميع الصناعات والحرف والفنون التطبيقيّة التي احتضنتها هذه العمارة. هذا الذوق الرفيع أبدعه معلمون كبار كانوا يمهرون إنتاجهم بأسمائهم وأسماء مدنهم، صادر غالبيتهم «تيمور لنك» وأرسلهم إلى «سمرقند» ليتابعوا رحلة الإبداع، في بلاد جديدة وبعيدة.

لقد نقل الإسلام هذه الفنون والصناعات إلى جميع البلدان والأمم التي دخلت فيه، فتراكمت وتطورت لتبلغ آيات من الروعة والإتقان، ولتدخل دائرة التحف الفنيّة الرفيعة والثمينة، وتقوم المتاحف العالميّة الآن بالبحث عنها واقتنائها، وبنوع من التسابق المحموم. وفي الوقت الذي مازال فيه الغرب مدهوشاً ومأخوذاً بهذه الفنون العربية الإسلاميّة الرفيعة، تعكف أشهر المشاغل والمؤسسات المعنية بصناعة الخزف والقاشاني والبورسلان في العالم، على الاستفادة من تقانات الفنون الإسلامية وقيمها وإبداعاتها، بينما لا يعيرها أهلها الاهتمام اللازم !!

والسؤال الذي يفرض وجوده هنا: أليس من الواجب على فنانينا وحرفيينا المعاصرين التوجه إلى هذا النبع الثر، والاستفادة من فنون الأجداد الذين تعبوا حتى ابتكروها وأبدعوها وصنعوها؟! ثم أليس من حقهم علينا الحفاظ على هذه الفنون وتطويرها ضمن سياقها الأصيل؟! وإلا بماذا نفسر هذا الحرص الشديد من الغربيين على الاستفادة من قيمها العظيمة، وتباهيهم بأنهم يملكون أهم كنوز هذه الفنون وأرقاها، وهم جادون في التقاط المزيد من هذه التحف العربيّة الإسلاميّة وإيداعها متاحفهم وقصورهم.



صحن مزجج يعود إلى القرن العاشر ـ مصر

المراجع

ـ مشاهدات الكاتب الميدانيّة.
ـ القاشاني الدمشقي: د. عفيف بهنسي الحوليات الأثريّة العربيّة السوريّة.
ـ الفن الإسلامي ـ تأليف «دافيد تالبوت رايس» ترجمه د. منير صلاحي الأصبحي، منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في سورية ١٩٧٨م.
ـ الفن الإسلامي ـ تأليف « جورج مارسيه» ترجمة د. عفيف بهنسي، مراجعة عدنان البني، منشورات وزارة الثقافة السورية ١٩٦٨م.

صفحات
من تاريخ الكتابة وأدواتها

عبدالله جعفر السيد
الخرطوم بحري - السودان

أحس إنسان الحضارات القديمة في كل من قارتي آسيا وإفريقية بأن لديه كثيراً من المعارف المتباينة عن حياته الاجتماعية، وعن وسطه الجغرافي والبيئي، فأخذ يزاوج ويعمم بين تلك المعارف بسلسلة منطقية من ثقافته وفكره حتى اهتدى إلى كيفية تفجير طاقاته الإبداعية التي كانت تجيش في وجدانه، فانفجر يرسم لوحات كثيرة ومختلفة من حياته المعيشة على أقبية الكهوف وجدرانها بمهارة فنية فائقة عكست بواقعية صوراً من تلك الحياة.

كان ذلك منذ نحو أربعين ألف سنة أو تزيد، أي: قبل ظهور أي نوع من أنواع الكتابات البدائية بأمد بعيد، ولما ارتقى ذلك الإنسان في سلم حضارته أحس بأن لديه فيضاً من المعارف والأغراض يستحق التدوين للرجوع إليه ولتوريث المعرفة للآخرين، فأخذ يحاول ويبتكر معتمداً على خبرته الفنية الناضجة وذاته المبدعة والمتطلعة إلى الابتكار الجاد وعلى التصوير، حتى تم له اختراع الكتابة التصويرية الدالة على الأفكار؛ وبذلك



أقلام من البوص



الجلود كانت البديل لورق البردي

أخــذت تتــولد من رحم هاتـين القــارتين أجنة المعــارف الإنسانية والعلمية، وحفظت لنا بعض المتاحف نصوصاً سومرية تعود إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

تم لفراعنة نهر النيل اختراع الكتابة الهيروغليفية، وتم لسكان وادي نهري دجلة والفرات اختراع الكتابة السومرية التي قُدِّر لها الانتشار في بلاد الرافدين وفارس والهند مع اختلاف لغاتهم، واخترع سكان نهر اليانج أفانين من النقوش الكتابية أُتيح لها الانتشار في جميع بقاع الشرق الأقصى، ولا تزال متمكنة فيه حتى الآن. ووضع الصينيون الخط منذ البداية في مصاف الفن الزخرفي، ومن ثم قاموا بتطويره، وقد نقشوا كتابتهم تلك على الحرير الذي امتاز بمرونة سطحه، وبجمال بريق الكتابة عليه، كما كتبوا على الخشب، وكان من عيوب تلك الكتابات البدائية أنها لا تستطيع نقل الأحاسيس والمشاعر الإنسانية إلى المتلقي، كما أنها تعجز عن تعريف الأسماء المطلقة، أو تدل عليها دلالة إعلامية شافية.

وبمرور الزمن تم تجاوز هذه المعضلة؛ وذلك بفضل الاختراع العظيم الذي أدّاه الشعب الفينيقي إلى العالم القديم عندما قاموا باختراع أول حروف كتابية، وبمرور الزمن فاض ذلك الاختراع حروفًا أبجدية لأكثرية الشعوب الأوربية، وغيرها. وقد حكى هيرودوت أن حروف الكتابة جاءت إلى بلاد الإغريق بواسطة قدموس الفينيقي، وعنهم عبرت للاتروسكيين الذين قاموا باستيلاد الحروف اللاتينية التي أصبحت منهلاً ورافداً لجميع الأبجديات الحية للشعوب الأوربية، ومن هذا الخط الفينيقي تولد الخط الآرامي الذي تفرع منه الخط الهندي والسرياني، وتفرع من الخط الآرامي الخط الفهلوي والأرمني، أما الخط الثمودي وأشباهه كالحبشي فكلها متفرعة من الخط العربي الجنوبي، كذلك تولدت من الخط الفينيقي الحروف السيرلكية التي تستعملها اليوم الشعوب السلافية كالروس والأوكران والصرب والبلغار. وقد عاشت اللغة والكتابة الفينيقية دهراً طويلاً، ولم تندثرا نهائيًا إلا بعد انتصار المسيحية في القرن الرابع

الميلادي، وكانت الكتابة واللغة فينيقيتين في عهد الإمبراطور الروماني جورديان «٢٤٤ ـ ٢٨٣م»، كما اتضح ذلك بعد العثور على مسكوكات نقدية من ذلك العهد.

الكتابة العربية

لا توجد بين أيدينا أي وثائق أو معلومات مؤكدة عن الكتابة أو الحضارة العربية القديمة، فما زالت الرمال تحجب الكثير من أسرار تلك الحضارة ماعدا النزر اليسير مما يذكره المؤرخون عن مملكة الأنباط، ومملكة تدمر وبعض المخلفات من النقوش الكتابية المحفورة على بعض الصخور وشواهد القبور العربية، كما في نقش أم الجمال غرب حوران، الذي يرجع تاريخه إلى عام ٢٧٠م، عندما أخذ النبط أسلاف العرب بالاختلاط مع الآراميين، وتسنّى لهم استعمال حروفهم، وتمادوا في استعمالها وتطويعها وعجمها وصهرها تدريجياً مع حروفهم حتى بدأت تتحول إلى أبجدية عربية، وقد وضحت تلك الروابط المتعددة بين الحروف النبطية والحروف العربية جلية وواضحة إلى أن تحولت إلى أبجدية عربية، وأخذ هذا التطور شكلاً واضحاً في نقش النمارة بشرق جبل الدروز؛ وهذا النقش محفور على شاهد قبر ملك عربي هو امرؤ قيس بن عمرو المتوفى عام ٣٢٨م، وعنده بدأت بواكير الخط العربي في الوضوح.

وفي القرنين الخامس والسادس الميلاديين اندثرت الكتابة النبطية مخلفة الكتابة العربية الوليدة التي يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام مثل ما نرى في نقش زبد عام ٥١٢م، الذي يعد كما يقول المستشرق بلاشير أول نقش عربي كامل في جميع كلماته وعباراته، ولم تلبث هذه النقوش والكتابات أن تكاملت تكاملاً سريعًا نستطيع أن نتبينه في نقش حوران عام ٥٦٨م. وكان الخط الذي يكتبه العرب في مبدأ ظهور الإسلام هو الخط الأنباري المسمّى بعد انتقاله إلى الحجاز بالخط الحجازي، وهو أصل خط النسخ. وكانت كل الكتابات القديمة، مثل النبطية والحميرية



النباتات من أكثر المواد توظيفاً في الكتابة

والصفوية، والثمودية، وحتى الكتابة العربية الجديدة لا تعرف النقط والإعجام دهراً طويلاً إلى أن جاء الخليفة عبدالملك بن مروان الذي أصبح في عهده إيجاد طريقة جديدة للكتابة بالنقط والإعجام ضرورة لا حيدة عنها لظهور اللحن والعجمة لدى شعوب الدول التي فتحت، ودخلت في نطاق الدولة الإسلامية، وكان هذا الخط الحجازي يكتب به النزر اليسير من العرب في تلك الحقبة التاريخية المهمة. ومن أسماء المعلمين في الجاهلية والإسلام عمرو بن زرارة، وغيلان بن سلمة من الطائف، كذلك يوسف بن الحكم الثقفي، وابنه الحجاج بن يوسف.

وكان بعض النساء يكتبن في الجاهلية والإسلام، ومنهن الشفاء بنت عبدالله العدوية من رهط سيدنا عمر بن الخطاب، وهي التي علمت السيدة حفصة بنت عمر زوج الرسول صلّى الله عليه وسلم الكتابة والقراءة، وعائشة بنت سعيد بن أبي وقاص، وكريمة بنت المقداد، وهند بنت أبي سفيان.

ولما فتح المسلمون الممالك ومصروا الأمصار نزلت جمهرة من الكتاب الكوفة، وفيها عنوا بتجويد الخط العربي، وهندسة أشكاله، حتى صار خط أهل الكوفة أجمل في شكله من الحجازي، وسمّي بالخط الكوفي، وكان يسمى قبل الإسلام بالخط الحيري نسبة إلى الحيرة، وهي مدينة جوار الكوفة بناها المسلمون، وسمي بها الخط وبه كانت تكتب المصاحف، وتحلى به جدران المساجد والقصور، ويسك على ظهور النقود، وشواهد القبور، وتسرب هذا الخط الجميل مع الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس، ومنها خرج إلى دول أوربا التي قامت بتزيين ستائر الكنائس، وملابس العبادة، والمنسوجات الحريرية، والقصور الملكية الفخمة، وزخرفت به بعض كتبها الدينية، وعملاتها، حتى توقيعات بعض ملوكه كانت بالكتابة الكوفية.

أصبح نبات البردي من أشهر النباتات التي عرفتها الإنسانية منذ فجر التاريخ على الإطلاق؛ لأن له فضلاً على حفظ تراث الثقافات الإنسانية المختلفة وتاريخها



اخترع الإنسان الحروف لتكون بديلاً للصورة

في العصر العباسي تنوع الخط الكوفي إلى أكثر من خمسين نوعًا، ومن الخط الكوفي اشتقت الكتابات الفارسية والتركية والمغربية المنتشرة في شمال إفريقية، وخصوصًا في القيروان، وتسربت تجاه السودان، حيث ظهرت الكتابة العربية في تنبكتو فيما بعد، وتعدّ الكتابة من جلائل الأعمال التي أبدعها الإنسان على مر العصور، ومن أبطئها تطوراً.

مواد الكتابة عند الشعوب القديمة

لما كانت الحاجة الماسة إلى إيجاد نوع معين من المواد الكتابية لممارسة الكتابة عليه وبه، فقد كتبت تلك الشعوب على الحجارة بأنواعها، مثل الرخام والصخور وغيرها، كما كتبت على العظام، وخاصة عظام الكتف، وسعف النخيل، والفخار الذي كان له مورد هائل من الطين في بلاد ما بين النهرين حيث كانت هناك الحضارة السومرية التي تم لسكانها اختراع استعمال ألواح الطين اللين الطري، إذ وجدوا أنه من الممكن أن ينقشوا عليه كتابتهم تلك نقشاً سهلاً وسريعاً بقلم من القصب، وفعلاً تركوا أكداساً من هذه الألواح، وكثيراً منها قرميد محروق وواضح. وبقيت تلك الكتابة سائدة في تلك البقاع، واستمر تداولها إلى زمن سيدنا المسيح عليه السلام تقريباً، أي: أنها ظلت متداولة ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وامتدت الرقعة التي وصلت إليها الكتابة المسمارية تلك إلى الأناضول، وفي عيلام تركوا أكداساً مكدسة من تلك المستندات الفخارية.

ورق البردي

اهتدى قدماء المصريين إلى اختراع ورق البردي الذي كان يكثر نباته في صعيد مصر، وهو نبات مائي يجرفه نهر النيل إلى مصر، وينمو في مستنقعاتها، وأصبح نبات البردي من أشهر النباتات التي عرفتها الإنسانية منذ فجر التاريخ على الإطلاق؛ لأن له فضلاً على حفظ تراث الثقافات الإنسانية المختلفة وتاريخها، كالتوراة، والإنجيل، والتراث الثقافي والفكري لليونان والرومان وقدماء المصريين والعرب، ومع ذلك فإنه من المتعذر تحديد التاريخ الذي بدأ فيه استعمال ورق البردي، ولكن توجد بالمتحف المصري وثيقة بردية ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وهي تعدّ من أقدم الوثائق البردية التي عثر عليها حتى الآن، ويجدر بالذكر أن كلمة ورقة Paper مشتقة من كلمة Papyrus، وتعني ورق البردي، ومن أسمائه الطومار والطرس.

يصنع ورق البردي من لب السيقان الطويلة التي كانت تقطع شرائح طويلة، ثم توضع متعارضة طبقتين أو ثلاثًا، ثم تبلل بالماء، وتشكل المادة السلولوزية الموجودة بالشرائح عنصراً صمغيًا مهمًا، وعندما تكبس يتم الالتئام والصنع، فتتألف منها لفائف قد يزيد طولها في بعض الأحيان على العشرين متراً، ثم تترك لتجف، ثم تصقل، وقد أحصى المؤرخ بليني ثمانية أنواع من ورق البردي مختلفة في جودتها من حيث الكتابة عليها، وكان أجودها الصنف المصنوع من الشرائح المقطوعة من وسط ساق النبات التي تمتاز بعرضها. ولورق البردي خاصية فهو إذا ترك فترة من الزمن يلتف تلقائيًا حول نفسه مما يجمع أوراق الكتاب المصنوع من ورق البردي على شكل لفافة، وظل الكتاب يصنع على شكل لفافة لعدة آلاف من السنين، وكانت اللفافة تطوى حول عصًا صغيرة وواجهتها المكتوبة إلى الداخل حفاظًا عليها من التلف، وكانت الكتابة ترتب على هيئة أعمدة متجاورة، وتحفظ اللفافة في جرار من الخشب أو الصلصال.

> حكى هيرودوت أن حروف الكتابة جاءت إلى بلاد الإغريق بواسطة قدموس الفينيقي، ومن الخط الفينيقي تولد الخط الآرامي الذي تفرع منه الخط الهندي والسرياني، وتفرع من الخط الآرامي الخط الفهلوي والأرمني

تدل الوثائق التاريخية على أن ورق البردي كان يصدر من مصر إلى الشام في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، كما كان يصدر إلى بلاد الإغريق، وأقدم المخطوطات الإغريقية المحفوظة حاليًا في المتاحف من المرجح أن يرجع تاريخها إلى القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد، وعندما تم للرومان فتح مصر أقبلوا على استيراده من مصر. ويقول المستشرق كرايجك: إنه من المرجح أن انتهت صناعة تجهيز ورق البردي للكتابة نحو منتصف القرن العاشر الميلادي ـ الرابع الهجري لدولة الإسلام، ويجدر القول: إن ورق البردي المؤرخ لدى العرب ينتهي سنة ٣٢٣هـ، بينما يبدأ تاريخ الوثائق العربية المكتوبة على الكاغد منذ عام ٩١٢م ــ ٣٠٠هـ، في وقت كان فيه أكثر مكاتبات الأمويين على البردي.

تجهيز المداد

كان المداد الأسود يصنع عادة من مسحوق الفحم أو الكربون مضافًا إليه مادة صمغية لزجة، كما يصنع المداد الأحمر من المغرة الحمراء المطحونة طحنًا جيدًا مضافًا إليها مادة صمغية لزجة وكان كلا المدادين يجفف على شكل أقراص مستديرة.

وقد تمكن العرب من ابتكار أنواع متعددة من الأحبار ولأغراض مختلفة، منها ماهو نباتي، مثل: بذور الفجل والكتان والمغرة وغيرها، ومنها ما هو معدني مختلف ألوانه، لكنهم اهتموا بها وبأهم ألوانها مثل اللون الفضي واللازوردي والياقوتي والفستقي، وتم لهم ابتكار طريقة تجفيف هذه الأحبار لتلائم كثرة حلّهم وترحالهم.

والمداد أصناف منه ما يلائم الرق، ومنه ما لايلائم الكاغد، لكنهم كتبوا أكثر كتبهم باللونين الأسود والأحمر، وقد ابتكروا أحباراً سرية لا يمكن رؤيتها إلا بتقريب الورقة من النار، وكانت الدواة من مستلزمات الأحبار، وقد أبدعوا، وتفننوا في صنعها وزخرفتها، ففي بداية أمرها صنعت من الفخار والخشب، ومع مرور الزمن تطورت مادة صنعها، حتى صنعت من الفضة والذهب، وطعمت، وحلّيت بالزخارف والأحجار الكريمة، ورسمت عليها رسومات حيوانية ونباتية، وهناك دوىً كثيرة محفوظة في عدد من متاحف العالم، وتعد من القطع والتحف الفنية والأثرية الراقية.

أما الأقلام فقد كانت تصنع من القصب وتجهز كما تجهز أقلام البوص اليوم، كذلك استعملت الأقلام المصنوعة من المراود، وأقلام البرونز، وريشة الطير وكانت الفرشاة تصنع من نبات السمار المر، وأحيانًا من الشعر والوبر.



استخدم المصريون القدماء ورق البردي

الرق

تقول الرواية: إن بطليموس الخامس ملك مصر منع تصدير ورق البردي من القطر المصري خوف اجتثاثه من البلاد، وقد أدى هذا المنع إلى عجز في التصدير، وفي مواجهة هذا العجز اهتدى أحد الكتبة من مواطني مدينة بيرجاموس Pergamus بآسيا الوسطى إلى مادة كتابية بديلة لورق البردي، وهي جلود صغار الخراف والغزلان والماعز، فإذا كشطت هذه الجلود، وأزيل عنها الشعر تماماً تمرر في ماء الجير، وتدعك بحجر الكدان إلى أن تصير ناعمة الملمس، وبعد ذلك تحك بالطباشير جيداً إلى أن تصير بيضاء، فإذا جفت أمكن الكتابة

عليها، ولها القدرة على امتصاص الحبر بسهولة دون أن تزلق الكتابة، كما يمكن لهذه الكتابة أن تحافظ على رونقها وبهائها دون أن تتأثر بعاديات الطبيعة، وهذا ما نطلق عليه الآن اسم البارشمان Parchment نسبة إلى مدينته. وكان هذا الاختراع ثورة في عالم الكتابة ونقل المعرفة، وتسمى هذه المادة باللغة العربية «الرق» ويعني في معجمات اللغة ما يرقق من الجلد ليكتب عليه. وكان الرق غالي الثمن، لذلك كان يدخر لكتابة الكتب الدينية، والوثائق الملكية، والكتب النفيسة والمقدسة. أما جلود الحيوانات الكبيرة فقد كانت معروفة ومستخدمة كدعامة للكتاب، سواء في حضارات الشرق أو في بلاد اليونان.

وبسبب غلاء الرق وندرته كان الصنّاع والكتّاب في بداية الأمر يغلونه لإزالة المكتوب عليه، وينظفونه بالماء لإعادة الكتابة عليه مرة أخرى، وكان يطلق على مثل هذه الرقوق المستعملة اسم Palimsest، ويعني المحو مرة ثانية، وقد فطن الأباطرة والملوك مؤخراً لضياع نصوص كثيرة مهمة وقديمة مثل جمهورية شيشرون، ورسائل فرنتو، وأشعار لوكان، وجوفينال وغيرها، فأصدروا مراسيم وأوامر للكتّاب والنسّاخين بألا يكتبوا إلا على رقوق جديدة، وكان ذلك بعد ضياع كثير من تلك الكنوز الفكرية والتراثية من المؤلفات الثمينة.

كانت الجلود تقطّع إلى شرائح متساوية، ويضم بعضها إلى بعض على هيئة الكتاب الحالي، ومما يجدر ذكره أن أقدم الكتابات الخاصة بالكنيسة المسيحية نجدها كلها على شكل كراسات أو كتب، بينما لا توجد لهم أي مخطوطات على شكل لفائف غير أقلية نادرة. وكانت النصوص تكتب عادة على هذه الرقوق على هيئة أعمدة متجاورة، ومهما يكن من شيء فقد كان للرق عند الإغريق والرومان ميزة كبرى، إذ إنه كان من المنتج محلياً، لذلك كان يسهل الحصول عليه، وإن كان غالي الثمن، إضافة إلى أن عوامل الطبيعة لا تؤثر فيه في بلادهم.

في القرن الثالث الميلادي تقدمت صناعة الرق، وأخذ يحل تدريجياً محل البردي في الدولة الرومانية حتى ندر استعماله في القرن السابع الميلادي، وظل ورق البردي مادة غالية تستورد من بلاد الإسلام، وقد استعمله العرب حتى اكتشاف سر صناعة الورق الصيني.

ألواح الخشب والعاج

عرف الإغريق والرومان الكتابة على ألواح الخشب التي كانت لوحين أو أكثر، متصلين بعضهما ببعض على هيئة كتاب، وكانت تطلى بطبقة رقيقة من الشمع الأصفر المصبوغ باللون الأسود. وكان القلم المستعمل في الكتابة أنواعاً من المراود أو المخارز، وقد عرف الإغريق القلم باسم Calamus، وتستعمل

أدرك الإنسان بالتجربة المادة الأكثر حفظاً لنصوصه المكتوبة

هذه الألواح عادة عند تعلم الكتابة، أو لكتابة المذكرات، أو لتدوين بعض الحسابات الشخصية، وكان مسح الكتابة من على تلك الألواح لا يتطلب جهداً أو مهارة، كما كانت تلك الألواح زهيدة الثمن مما وسّع نطاق انتشارها وسط جميع طبقات الشعب، وظل استعمالها متداولاً حتى القرن الثالث عشر الميلادي، وبالإضافة إلى تلك الألواح الخشبية عرفت تلكم الشعوب ألواح العاج المزخرف بإتقان، وبشكل تحف فنية، وكانت تهدى للملوك والقناصل ثم استخدم بعضها في العصور الوسطى أغلفة لبعض المخطوطات الثمينة التي كانت ملكاً للكنيسة، ويوجد بعضها حتى اليوم في بعض المتاحف والكنائس الأوربية، ولدى بعض الأسر الثرية.

مواد الكتابة عند العرب

استعمل كتّاب العرب في زمن الجاهلية الكرانيف، وهي أصول السعف الغلاظ العراض اللاصقة بجذوع النخيل، وقد ورد في كتب السيرة أن الوحي كان يكتب في عهد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام على العسب، وهي أوراق السعف، وجريد النخل، كما كان يكتب على الكرانيف، وكانوا يكتبون على الأقتاب وهي أخشاب على قدر سنام البعير، كذلك كتبوا على الرحل وعلى السهام وعظام الكتف والأضلاع، وبقي العظم مادة من مواد الكتابة حتى العصر العباسي الأول، وكان يثقب العظم عادة ليمكن جمعه في سير من الجلد حتى يسهل الرجوع إليه، وكان يحفظ في جرار، وقد كتب العرب على الجلود بأنواعها، كالقضيم وهو نوع من الجلد الأبيض، والأديم وهو الجلد الأحمر المدبوغ، واستعملوا الرقوق، وكتبوا على الحرير والقماش، وأشهرهما نسيج مصري اسمه القباطي فكانوا يطلونه بشيء من الصمغ، ثم يصقلونه، وبعدها يكتب عليه. وقد كتبت عليه أشعار المعلقات السبع قبل الإسلام، وعلقت على أستار الكعبة، كذلك كتب العرب على اللخاف، وهي حجارة بيض رقاق، وكتبوا على الإردواز، ونقشوا الكتابة على الصخور، وعلى أوراق البردي. والقرطاس وارد في الشعر العربي الجاهلي، وفي أخبار الصحابة، وكلمة قرطاس تعريب لكلمة



ارتبط الرقي الحضاري بإدراك أهمية التدوين

خارطيس التي أطلقها الإغريق على ورق البردي.

وكان القلم في الجاهلية يصنع من القصب والبوص، ويغمس في مداد الدواة، وكان من أسماء القلم اليراع والمزبر. وقد روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دعا في مرضه بدواة ومزبر، فكتب اسم الخليفة بعده، وكان العرب يمحون المكتوب بالمداد حين تدعوهم الحاجة إلى استخدام الصحيفة مرة أخرى، وكانوا يسمون هذه الصحيفة الممحوة بالطرس.

صناعة الورق

في عام ١٠٥م، تمكن الصيني تساو لون من إنتاج الورق من ألياف النباتات ولب الأشجار، ومنذ مطلع القرن الثاني الميلادي أصبحت صناعته سراً مقدساً لا يمكن البوح به، وأصبح إنتاجه وتصديره حكراً للدولة الصينية التي حافظت على أسراره تلك عدة قرون متتالية.

وعلى الرغم من أن العرب كانوا همزة الوصل

التجارية بين الصين وبقية دول العالم الأوربي براً وبحراً، فقد نقلوا وتاجروا في عدد من المنتجات الصينية مثل الحرير والشاي والورق نفسه، إلا أنهم ظلوا على جهل تام بكيفية صنعه، وفي عام ٧٥١م انتصر زياد بن صالح والي سمرقند العربي على إخشيد فرغانة الذي كان يناصره ملك الصين وتم أسر طائفة من المحاربين الصينيين كان من ضمنهم من يجيد صناعة الورق، وبذلك تسرب سر عزيز وغال من أسرار الدولة الصينية التي أحبت الورق حباً جماً حتى إنه كان محرماً أن تطأ قدم إنسان قطعة من الورق كتب عليها.

وسرعان ما أقام العرب مصنعاً للورق بسمرقند، ومع مضي الزمن تقدمت صناعته على أيدي العرب عندما استعملوا الكتان والقطن بدلاً من ألياف النباتات مما أنتج ورقاً أبيض صقيلاً وجميلاً وجد سوقاً رائجة في مختلف أنحاء العالم العربي، خاصة وقد تزامنت صناعته مع الطفرة العلمية التي شعت في سماء العالم الإسلامي، فأضاءت ما حولها من العوالم الأخرى، وكان التجار ينقلون الكاغد «الورق» إلى العاصمة بغداد، وإلى مختلف المدن الإسلامية، فتهافت عليه العلماء والنسّاخ ورجال الدولة والطلاب، وراجت كواغيد سمرقند حتى قال الثعالبي: « إن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها؛ لأنها أحسن وأنعم وأوفق» وظلت سمرقند تحتكر صناعة الورق أكثر من ثمانية وثلاثين عاماً أي حتى مجيء هارون الرشيد إلى الحكم.

وفي عام ٧٩٤م تأسست في بغداد أول صناعة للورق بواسطة الوزير البرمكي يحيى بن الفضل في عهد الخليفة هارون الرشيد ومن ثم انتشرت صناعته بسرعة فائقة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فدخلت دمشق وطبرية بفلسطين وطرابلس الشام ومصر، ومع ذلك ظلت سمرقند أكبر مركز لصناعته، ولكن كان الورق السوري المصنوع في حماة من أجود الأنواع، إذ كان يدخر لكتابة القرآن الكريم، ويستعمل في ديوان الخلافة «ديوان الإنشاء». وقد أثر دخول صناعته في ورق البردي المصري عندما أخذ يحل محله تدريجياً كمادة للكتابة لها مزاياها، ومن أهمها إمكانية إنتاج الورق من خامات مختلفة رخيصة يسهل الحصول عليها، مثل الكتان والقطن والقماش وحبال المراكب إلخ ... كما يمكن إقامة مصانع الورق داخل المدن في حين تقتضي إقامة مصنع ورق البردي في المستنقعات والأحراش.

وكان الورق العربي على أنواع سميت على أسماء الولاة، ويذكر ابن النديم سبعة أنواع منها: السليماني نسبة إلى سليمان بن راشد عامل الخراج على خراسان في عهد هارون الرشيد، والطلحي نسبة إلى طلحة بن طاهر ثاني أمراء بني طاهر، والنواحي نسبة إلى نوح حاكم خراسان، والجعفري نسبة إلى جعفر البرمكي.

وهكذا تسربت صناعة الورق إلى فرنسا من إسبانيا فكانت مراكزه الأولى في بلنسية وشاطبة وطليطلة، ثم تسربت من فرنسا إلى أنحاء الدول الأوربية. ومما يجدر ذكره أن أقدم مخطوط عربي كتب على ورق وصل إلينا هو كتاب «غريب الحديث» المنسوخ عام ٨٦٦م، بينما نجد أولى الوثائق الأوربية المكتوبة على ورق كانت عبارة عن عقد للملك روجرز الصقلي عام ١١٠٢م، وآخر كتبته زوجته باليونانية والعربية. أما أول صناعة للورق في ألمانيا بلد المطبعة فكانت عام ١٣٢٠م بمدينة ماينز الألمانية. وتقول الموسوعة البريطانية «ولما سقطت دولة العرب في إسبانيا، وانتقلت صناعة الورق إلى أيدي النصارى الأقل كفاءة منهم انحطت الصناعة وانحط الصنف».

المراجع

١ـ مجلة الكتاب، عدد مايو، ١٩٤٦م، الكتاب قبل اختراع الطباعة، د.زكي محمد حسن.
٢ـ ضحى الإسلام، لأحمد أمين،١/٣.
٣ـ البردي ، د. مهندس حسين رجب، سلسلة اقرأ.
٤ـ مجلة الفيصل، العدد١٣٧، فن الكتابة العربية، خلف طايع.
٥ـ تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان، الجزء الأول .
٦ـ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد.
٧ـ تاريخ العلم، جورج سارتون، جزء١.
٨ـ الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، أحمد أمين وآخرون.
٩ـ تاريخ الكتاب الإسلامي، د. محمود عباس حمودة.
١٠ـ تاريخ الكتاب، سلسلة ١٠٠٠ كتاب، ترجمة د. خليل صابات.
١١ـ شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت.
١٢ـ المورد، العدد الرابع، مج ١٥، ١٩٨٦م.
13 - The 26 Letters By Oscar Ogg.

مصادر الصور: الإنترنت.

خوارق النفس على المحك العلمي

عبدالرحمن محمد العيسوي
الإسكندرية - مصر



تعرف الظواهر النفسية الخارقة منذ تاريخ الإنسان، ومازالت توجد حتى في عصرنا الصناعي والتكنولوجي الراهن، وما يزال يقررها عدد كبير من الناس ويقول: إنهم مارسوا بعضاً منها، ومع اعتقاد بعضهم في وجودها، إلا أن هناك شكوكًا كبيرة في قبولها Skepticism في أواسط علماء النفس. ولكن يتساءل بعضهم عن الأسباب التي تقود إلى التناقض والتشكك في صحة هذه الظواهر الخارقة؛ ذلك لأنها متقطعة ومتفرقة ومتشتتة ومحيِّرة ومراوغة Sporadic and Elusive، ولكنها إذا وجدت فإنها تتناقض وتتحدى Defy التوقعات الطبيعية، وتتصارع مع الفروض العلمية الشائعة أو المبادئ العلمية المتعارف عليها بين العلماء، كقوانين الصوت والضوء، وقانون الحتمية، وقانون الاطراد، وتتعارض مع القوانين التي تشرح تفاعل الإنسان مع بيئته.

ولقد اهتم وليم جيمس William James (١٨٤٢ ـ ١٩١٠م) بالتخاطر، ولكنه لم يستطع تطبيقه، فأغلب ما كتب عن التخاطر حكايات وروايات سماعية؛ولذلك ينظر إليه كثير من علماء النفس على أنه نوع من الأهواء أو الأوهام الاعتقادية. ويعتقد بعض مرضى ذُهان البارانويا، أي الشعور بالاضطهاد أو جنون العظمة، أن الآخرين يقرؤون أفكارهم، بل ويتحكمون فيها، حتى وإن كانوا على بعد أميال من هؤلاء المرضى. ويعتقد المريض أن أي شخص يمكنه قراءة ما في عقله، أي قراءة الفكر أو انتقال الفكر Thought - Transference, or Mind Reading.

وكان سيجمند فرويد Sigmnd Freud (١٨٥٦ـ ١٩٣٩م)

يعتقد أن التخاطر يشكل لغزاً أمام العلم والعلماء، ولا يزال هذا الموقف قائماً.

وكان مكروجل ينظر إلى التخاطر على أنه اتصال مباشر لعقل بعقل آخر دون الاعتماد على الإدراك عن طريق الحواس «دسوقي، كمال،١٩٩٣: ١٤٧٦».

ويطلق مصطلح Psi، في إطار ما وراء علم النفس، على العمليات العقلية الداخلة التي تدخل ضمن وظائف عملية التخاطر، والتي لا يمكن تفسيرها بإرجاعها إلى القوانين العلمية. أي إدراك الفرد لما هو فوق الحس أو ما وراء الحس أو ما هو أبعد من الحس الطبيعي.

ومن الخطأ أن ندّعي أننا نعرف كل شيء في الطبيعة وعن الطبيعة، أو الادعاء بأننا نعرف كل كبيرة وصغيرة عن موضوعات العالم الخارجي وأحداثه. العلم لم يفلح في تفسير كل ظواهر الكون حتى الآن (Hayes, P.-373).

عملية التخاطر أو الخواطر أو انتقال الخواطر تتم من عقل المرسل The Sender إلى عقل المستقبل The Recciver.

وهناك بعض الدراسات التي تقرر أن ظواهر الخوارق النفسية Psi قد لا تتأثر بعملية التنويم المغناطيسي.

العوامل المؤثرة في عملية الإدراك الحسي

عملية الإدراك الحسي Perception: هي عملية عقلية عليا في الإنسان تستهدف التعرف إلى الأشياء وإعطاءها ماهيتها أو معناها ومغزاها ومدلولها والتعرف إلى وظيفتها Identifying ويحدث الإداراك عندما يتأثر أحد أعضاء الحس بموثرات خارجية أو داخلية وهنا يحدث الوعي بالشيء أو بالموضوع، Awareness أو بوجود المنبه الحسي أو التنبيه الحسي. والإدراك الحسي مركب من الإحساس والتخيل، ويشمل إدراك العلاقات القائمة بين الأشياء أو الموضوعات، كما يشمل الأحداث. ويتساءل بعض علماء النفس هل عملية الإدراك الحسي عملية فطرية أم مكتسبة؟ والواقع أنها تشمل العوامل الفطرية والمكتسبة معاً؛ فالإدراك الحسي عملية يحصل الإنسان من خلالها على المعرفة بالأشياء وبالموضوعات والأحداث عن طريق استخدام الحواس، وكذلك إدراك ما يقوم به الإنسان من عمليات عضوية. فالإدراك مجموعة من الإحساسات مضافًا إليها المعنى أو المغزى المستمد من خبرات الإنسان السابقة.

الإدراك = الإحساس+ معنى الشيء المدرك

وهنا يبدو تأثير عامل الذاكرة أو الألفة أو المعارف السابقة لموضوعات العالم الخارجي عندما يدركها الإنسان، فالأشياء التي مرت بخبرة الإنسان يتم إدراكها بصورة أسهل. وفي عملية الإدراك يميز الإنسان بين التنبيهات المختلفة؛ بمعنى أنه يدرك ما بين الأشياء من فروق فردية. وقد يكون الإدراك فورياً وفجائياً، وعلى شكل إلهام، أي قد يكون حدسياً Intuitive. ويتوقف الإدراك الحسي على عدة عوامل؛ فهو ليس عملية آلية ميكانيكية صماء، وإنما يتوقف على:

- عوامل التنبيه أو المثيرات التي يتعرض لها الإنسان وتدركها حواسه الخمس المعروفة.
- التعلم السابق للشخص المدرك.
- الحالة المزاجية للشخص المدرك Moods.
- قوة الدافعية أو مدى وجود القوى الدافعة والمحركة للإنسان Motives كي يبذل جهداً في الإحاطة بما حوله من موضوعات.
- الظروف الانفعالية Emotional التي يكون الإنسان عليها وقت الإدراك، من سعادة أو حزن أو ثورة أوتهيج أو شعور بالرضا أو بالسخط والتبرم؛ ولذلك فإن الإدراك الحسي يتأثر بحالة الشخص المدرك، وظروف المنبهات الحسية.

وعلى ذلك يختلف الإدراك الحسي من فرد إلى آخر تبعاً لاختلاف ظروفه، ومعنى الشيء المدرك بالنسبة إليه وحالته الصحية الجسمية والنفسية والعقلية والمزاجية والاقتصادية والثقافية. فالإدراك الحسي ليس عملية آلية ميكانيكية صماء يسجل فيها الإنسان كل ما يسقط على حواسه من مثيرات، وإنما هو عملية انتقائية Selective، بحيث يختار الفرد ما يهتم به ويدركه، ويترك ما دونه، فالإنسان لا يقوم مقام آلة التصوير الفوتوغرافية في عملية الإدراك، وإنما تتدخل فيها مشاعره وآماله وآلامه وأهدافه واهتماماته، وثقافته وظروفه الصحية الجسمية والنفسية والعقلية، وأوضاعه الاقتصادية. ويبدأ التنبه عندما يحدث تغير في موضوعات البيئة المحيطة بالفرد، ويتأثر الإدراك بمدى تكرار حدوث المثيرات، وما يوجد في الموقف من تضاد ومن حركة، هذا إلى جانب عوامل شخصية ذاتية ترتبط بحالة الشخص المدرك نفسه، وتؤثر في إدراكه، ومنها:

- الاهتمامات والميول الشخصية إذا يدرك ما يهتم به فقط.

ـ التوقعات بحيث يسهل عليه إدراك ما يتوقع حدوثه.

ـ عامل الإيحاء إذ يتأثر الإنسان بما يتعرض له من الإيحاءات.

ـ عادات الانتباه المكتسبة من خلال التعلم السابق.

ـ فهم الأشياء والموضوعات والأحداث والقدرة على إضفاء المعنى عليها يتوقف على سلامة أعضاء الحس التي تستقبل المحسوسات.

ولا يدرك الإنسان موضوعات العالم الخارجي بصورة جزئية تحليلية، وإنما يدركها على شكل صيغ Gestalts، تتكون كل صيغة من شكل وأرضية Figure and Ground. يتسم الشكل



خوارق لا مثيل لها

بالقوة والغزارة، والكثافة والشدة، والوضوح والجلاء والبروز، والغنى والثراء، بينما تكون الأرضية أو الخلفية خافتة باهتة بعض الشيء غير محددة تحديداً دقيقاً، وأقل وضوحاً وبروزاً، ودلالة ومعنى، كالخلفية التي تبدو وراء الصورة في أي لوحة زيتية.

ومما يؤثر في عملية الإدراك ما تكون عليه موضوعات العالم الخارجي من التشابه أو التقارب أو التضاد أو التنظيم أو الكثافة أو الإغلاق، ووجود الخطوط والمستقيمات والنماذج فيها.

ويميل الإنسان إلى إدراك الأشياء على أنها ثابتة، وليست متغيرة Perceptual Constancies، ويتأثر إدراك الإنسان بما يعرف أيضاً بظاهرة خداع الحواس Illusions.

ويؤدي خداع الحواس إلى تشويش عملية الإدراك أو تحريفها، ويتأثر الإدراك بخبرة الإنسان السابقة، فما يراه عالم الأحياء في شريحة من اللحم تحت المجهر لا يراه الرجل العادي، ويتأثر الإدراك بعملية التأمل الباطني، وبحجم الأشياء المجاورة للشيء المدرك، وظروف الظلال، ووضوح الرؤية وسلامة الحواس؛ ولذلك تؤخذ هذه المحزورات عند سماع شهادة شهود العيان أمام المحاكم وهيئات التحقيق. وفي هذا المجال أجريت تجارب على حيوانات تربّت في الظلام، وعلى مرضى استعادوا أبصارهم في الكبر. ويحدث تفاعل، أي: تأثير متبادل بين الإنسان والأشياء والموضوعات والأحداث التي يدركها، فهناك عملية تفاعل بين الإنسان وقواه وقدراته ومشاعره وميوله واتجاهاته من جهة، وظروف العالم الخارجية وموضوعاته وأحداثه ومثيراته أو منبهاته من جهة أخرى.

وفي عملية الإدراك يتم التمييز بين الفروق الكمية والكيفية في الأشياء، فالإنسان يدرك الأشياء، وما يوجد بينها من علاقات، وما يقوم بينها من فروق. وينظر إلى عملية الإدراك على أنها عملية سلوكية تتوقف على ما يستقبله الحس من تنبيهات أو مثيرات. ويتأثر هذا العمل بما لدى الإنسان من عادات ومن دوافع أو بواعث وميول واهتمامات. (دسوقي، كمال، ١٩٩٣: ١٠٤٩).

الخداع البصري والهلاوس

Illusions and Hallucinations

تتخذ الاضطرابات الخاصة بالمعلومات الناجمة عن الإدراك الحسي شكل خداع الحواس أو الهلاوس.

الخداع الحسي يحدث عندما يقع خطأ في تفسير أحد المثيرات الحسية، وبذلك يدركه الإنسان على أنه شيءٌ آخر، كما يدرك الإنسان السراب في الصحراء على أنه مياه. فقد ترى شجرة ما من على بعد كبير على أنها إنسان، وعندما تقترب منها تدرك أنها شجرة وليست إنساناً، ولكن إذا رأيت شجرة قريبة منك ولم تكن موجودة فعلاً فإن ذلك يُعد هلوسة، وهي أحد أعراض ذُهان فصام الشخصية.

فالهلاوس مدركات حسية زائفة، أي: لا وجود لها في عالم الحقيقة والواقع، ومع ذلك يحس بها مريض الذهان العقلي. أما خداع الحواس فهو خطأ في إدراك الأشياء البعيدة، أما الهلاوس فهي خطأ في الإدراك دون وجود أشياء نهائياً. ومعظم خداع

الحواس يكمن في المدركات السمعية والبصرية Visual and Auditory Illusions فقد نعتقد أننا سمعنا صوتاً ما، أو رأينا شبحاً ما، ولكن هل في الإمكان إحداث حالات الخداع الحسي، وكذلك الهلاوس السمعية والبصرية صناعياً أو آلياً أو تجريبياً في الإنسان؟

في بعض التجارب التي أجريت في وقت مبكر يرجع إلى عام ١٩٥٠م، تمت إثارة مناطق مختلفة من دماغ الإنسان عن طريق تسليط مثيرات كهربائية للدماغ في أثناء وجود المريض في حالة تامة من الوعي، ولم يكن من شأن هذه التجربة أن يشعر المريض بأي ألم؛ وذلك بقصد إنتاج حالة من الهلاوس -Inducing Hallucinations، وعند إثارة جزء خاص من قشرة الدماغ قرر أحد المرضى أنه يرى بالونات سابحة أو تطير في الهواء إلى السماء الفسيح إلى مالا نهاية Balloons Floating. ومرضى آخرون قرروا أنهم «شاهدوا» أشياء أخرى.

ويمكن إحداث الهلاوس عن طريق تناول بعض الأدوية والعقاقير، حيث تؤدي هذه العقاقير إلى زيادة الحساسية نحو المثيرات البصرية، كالألوان والأصوات، ومن هنا تبدو أكثر وضوحاً ولمعاناً. ولكن هذه الأعراض في حقيقة الأمر ليست هلاوس، ولكنها خداعات بصريه، بسبب زيادة حساسية المريض -Extreme Sensitivity. وتبدو المحسوسات كما لو كانت آتية من المجهول From Nowhere. الإثارة الكيماوية للجزء الخاص بالرؤية في لحاء الدماغ تسبب هذه الهلاوس.

التخاطر اتصال عن بُعد عن طريق التفكير، وليس عن طريق أدوات الحس، وقد يوجد هذا بين أعراض مرضى الذُّهان العقلي

الخداع الحسي والهلاوس في حالات قليلة جداً أيضاً قد تحدث من الشعور الزائد بالتعب Excessive Fatigue أو من تعرض الإنسان لكثير من الضغوط، ومن ذلك التعرض لحالات من الحرمان من النوم Sleep- Deprivation. والحرمان الطويل من النوم يؤدي إلى حدوث الخداع الحسي، وكذلك الهلاوس، كإدراك الأشياء الساكنة على أنها تتحرك، أو رؤية حيوانات زاحفة فوق ورق الحوائط(371 : Swirling (Hayes, n. , 2000.

وقد «تتحرك أو تنتقل» قطع من أثاث الغرفة في نظر المريض. فالحرمان من النوم يشوه قدرة الإنسان الإدراكية، ومن هنا كانت خطورته على سائق السيارة، وعلى المارة معاً. وتقضي بعض قوانين المرور في إنجلترا بضرورة تمتع قائد الشاحنة بقدر كاف من ساعات النوم خلال الرحلات الطويلة. ويخطئ بعضهم حين يعتقد أن الهلاوس والخداع الحسي يحدثان فقط في مجال الإحساس السمعي والبصري وحدهما، ولكن هناك الإحساس اللمسي أو السمعي، ويحدث فيهما نوع من الهلاوس. فالأصوات قد تبدو مختلفة. ويطلق على ظاهرة الخلط والتشويش في المدركات الحسية هذه ظاهرة الاشتراك في الإحساس Synaesthesia ومضمونها أن الإحساسات الخاصة بإحدى الحواس تحمل معها انطباعات حس آخر، «كالسمع الملون»، فقد يدرك الشخص صوتاً ما كما لو كان ذوقاً، أو يدرك لوناً ما كما لو كان صوتاً. فقد كان هناك مريض فقد الإبصار وهو في الحادية عشرة من عمره، يدرك اللمس والأصوات كما لو كانت ألواناً.

وقد ذهب عالم النفس فيرنون Vernon منذ وقت مبكر يرجع إلى عام (١٩٦٢) إلى القول بأن ظاهرة خلط المحسوسات هذه تحدث لدى الطفل الرضيع، وبالتدريج يتعلم كيفية التمييز بينها.

وبعضهم الآخر يرجع ظاهرة الخلط في المحسوسات هذه إلى وجود خطأ نيروني في الثلاموس -Neural Confusions in the thalamus (Hayes, N., 2000:37)

وهناك بعض العلماء الذين يقدمون ظاهرة خلط المحسوسات هذه كنوع من التفسير لظواهر الباراسيكولوجيا أو ماوراء علم النفس -Parapsychology. ومن الظواهر التي يدرسها علم الباراسيكولوجيا تلك الظواهر التي لا تبدو أنها تحدث من خلال قنوات الحس المعروفة، أو على أنها «قدرات نفسية» كإدراك الانفعالات والعواطف والوجدانات، أو إدراك الأفكار من بُعد، أو التأثير في الأشياء دون لمسها لمساً حقيقياً، أو علاج بعض المرضى، أو التنبؤ بأحداث المستقبل.

فعلم الباراسيكولوجيا يدرس الموضوعات والظواهر الآتية:

- إدراك الانفعالات لدى الآخر.
- الأفكار.
- التأثير في الأشياء أو تحريكها.
- شفاء المرضى.
- التنبوء بأحداث المستقبل.

ولذلك عدّ بعضهم دراسة الباراسيكولوجيا أو ما وراء علم النفس تشمل وسائل جديدة من الاتصالات بين الكائن الحي فيما وراء حواسه Beyond والبيئة التي يعيش فيها. ويطلق على هذه التأثيرات اصطلاح بيسى (PSI). وتشمل دراسة الموضوعات الآتية:

ـ الإدراك الحسي الزائد، أو موضوعات ما فوق الإدراك الحسي، أو ما وراء الإدراك الحسي Extra-Sensory Perception، أو ما يُطلق عليه ظاهرة التخاطر، أي: انتقال الخواطر من عقل إلى آخر Telepathy، وفي عملية التخاطر هذه يتم توصل أو نقل معلومات يرسلها المرسل إلى شخص آخر هو المستقبل، دون الاعتماد على قنوات الحس المعروفة، كالسمع أو البصر أو الشم أو التذوق أو اللمس، فهو انتقال بلاحواس، انتقال عبر ماذا؟ لا يعرف أحد حتى الآن كيف يتم هذا الانتقال أو الاتصال.

ـ وفي عملية أخرى تُعرف باسم عملية الاستشفاف Clairvoyance يحصل الفرد هنا على معلومات عن بيئته وما فيها من أشياء وموضوعات وأحداث دون استخدام قنوات الحس المعروفة.

ـ من هذه الظواهر كذلك قدرة بعض الأفراد أو ادعاؤهم القدرة على تعرف المستقبل والتكهن به Precognition، أي المعرفة المستقبلية، ومعرفة أحداث المستقبل بينما لا تستخلص هذه المعلومات من المعلومات أو المقدمات الموجودة فعلاً.

وتشمل دراسة «البيسى» PSI كذلك ما يُعرف باسم القدرة على التأثير في الأشياء أو تحريكها أو تغييرها Psychokinesis، كالتأثير الكهربائي. وتعرف هذه الظاهرة اصطلاحًا باسم Micro Pk. وهناك ظاهرة أخرى يُطلق عليها اصطلاح Macro Pk، وفي هذه الحالة يستطيع الإنسان أن يُحدث تأثيراً نفسياً حركياً يمكن ملاحظته بالعين المجردة. وهناك كذلك ظاهرة التفاعل العقلي المباشر بالأجهزة الحية Direct Mental Interaction With Living Systems (DMILS)، وفيها يدعي بعضهم قدرته على التأثير في الأهداف الحية، كالإنسان أو الحيوان أو النبات.

هل هذه الظواهر حقيقية من وجهة نظر العلم ومناهجه أم أنها مجرد أكاذيب وخداعات يدعيها بعض الناس؟

في هذا الصدد يضع العلماء فرضين حول هذه الظواهر:



ما سرّ خفة يد الساحر؟

ـ الفرض الأول Pseudopsi Hypothesis يذهب إلى القول بأن كل ما يرد من أدلة على صحة هذه الظواهر إنما هو فقط مجرد زيف أو تزوير أو أدلة غير صحيحة، أو مجرد خداع أو مجرد تلفيق Spurious، وتأتي هذه من الغش والخداع Deception، أو سوء تفسير بعض الظواهر.

ـ أما الفرض الثاني وهو PSI Hypothesis فذهب أنصاره إلى القول بأن الإنسان تحت تأثير ظروف معينة قد يمتلك قدرة على الوصول إلى وسائل أصلية وجديدة من الاتصالات Communication، ويستفيد علماء الباراسيكولوجيا من كلا الفرضين.

وتكمن المشكلة في أن معظم الأدلة بهذا الصدد أدلة أو تفسيرات دنيوية Mundane، أو تفسيرات أرضية، ولا تدخل فيها الأمور الروحانية أو الصوفية. فعلى سبيل المثال يتأثر إدراكنا الحسي بعامل التوقع Expectation، كذلك فإن الذاكرة ليست جهازاً للتسجيل الآلي. ونحن نميل إلى ملء الثغرات أو الفجوات في إدراكنا، ومعنى ذلك أننا نعجز عن إدراك بعض

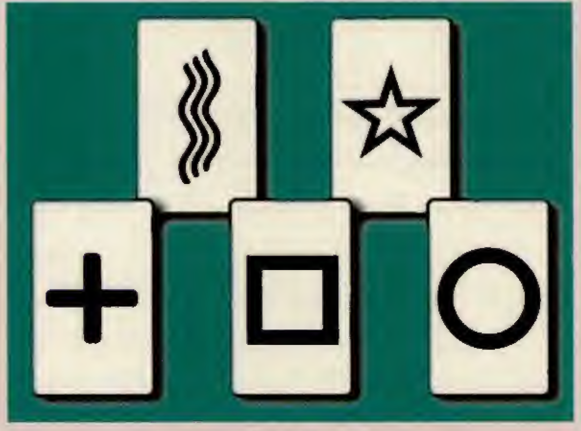
التفاصيل والجزئيات الدقيقة. فالإنسان لديه كثير من الأمور غير الحقيقية، أو التي لا تتفق مع الواقع، فهو في تفكيره لا يعتمد كلياً على الحقائق الواقعية الموضوعية المجردة، إنما هو في بعض الأحيان يكون ذاتياً، بل أحياناً يكون لا عقلانياً، وخصوصاً في أمور السياسة و الحرب. بل إن الاتفاق الاجتماعي يؤثر في تفكيرنا في الأمور الروحية أو الصوفية أو الباطنية Mystical أو الأمور الغيبية.

علماء النفس يدركون هذه العمليات، والناس يعتقدون أموراً غير صحيحة من وجهة نظر العلم والموضوعية البحت. ولذلك لعلماء النفس الحق أن يتشككوا في صحة الأشياء التي تبدو غير طبيعية أو غير سوية Paranormal. والعلم ظاهرة نامية متطورة متفتحة، والعلماء يقابلون هذه الظواهر بعقول مفتوحة، فربما يأتي، في المستقبل من يستطيع البرهنة على صحتها، وقد تتغير قوانين الإدراك، وقد تظهر أجهزة أكثر دقة في قياس سلوك الإنسان وفهمه وحواسه وعقله. ويبدو ذلك مقبولاً في ضوء ما تتسم به الخبرة الإنسانية من التعقيد وعدم البساطة. ولذلك فنحن لا نفهم حتى الآن بعض جوانب الخبرة الإنسانية. نحن لا ندعى أننا نعرف كل شيء في هذا الكون، بل حتى في داخل أنفسنا. ولذلك يتحفظ فقط علماء النفس في شأن الحكم على صحة هذه الظواهر.

ولكن اتجاه الشك في قبولها أكثر انتشاراً من اتجاه قبولها فيما يُعرف باسم أنصار مدرسة الشك The Skeptical School، ويركزون أبحاثهم في تحدي دعاة الباراسيكولوجيا، ويوجهون انتقادات شديدة لأنصار الباراسيكولوجيا. البحث المختبري كشف عن أن معظم هذه الظواهر خادعة Fraudulent، ويقولون: إن أدعياء هذه القدرات الخارقة يحققون مكاسب مالية هائلة من ورائها؛ ولذلك يرفضون الخضوع للتجارب الصارمة الفاصلة.

ومن الأدلة التي تساق ضد ظواهر الباراسيكولوجيا ما يأتي:

إن من الضروري فحص الأدلة التي يقدمها من يدعون امتلاك قدرات نفسية خارقة، فحصها بكل دقة؛ لأنهم يحققون أرباحاً هائلة من وراء الخداع أو الاحتيال أو النصب Fraudulent Psychics. والذين يحاولون إقناع الجمهور بأن لديهم قدرة خارقة أو قوة خارقة حقيقية Real Powers. وهناك من يحاول على خشبة المسرح «من السحرة» إظهار وجه الزيف في أعمال هؤلاء، حتى وجوه الزيف في بحوث الباراسيكولوجيا. بعضهم يدعي توصيل تأثيره من خلال السدود أو الحواجز، أي: على الرغم من وجود السدود والحواجز والفواصل Across Barries، بينما هي مجرد خداعات باستخدام تقنيات خاصة، كالمرايا أو نحوها. فعن طريق تدريب حاسة الشم لدى بعض «السحرة» يستطيع الساحر أن يتعرف رائحة الأشخاص، وهم في حالة تعب أو إرهاق، أو في حالة القلق، أو غير ذلك من الأحوال الانفعالية، تلك الأمور التي يدّعون أنها تحدث من خلال التخاطر أو نقل الخواطر. وقد يستخدمون أجهزة دقيقة غير مرئية تصدر إشارات كهربائية، ومن ثم الحصول على بعض المعلومات الخفية. إلى جانب استخدام «خفة اليد» والانعكاسات، ووضع مواد على مظروفات الرسائل المغلقة، مما يجعلها شفافة فترة قصيرة، وبذلك يرى الساحر الصورة المختفية داخل المظروف. وقد يرجع تسجيل هذه الظواهر الخارقة إلى أن



كروت زينار

الناس لديهم ميل طبيعي لتصديق بعض الأمور، ولذلك يصدقونها. وهناك نزعة لإدراك الأمور الصغيرة جداً بدقة The accurate Bits، ويمكن خداع الملاحظ أو المشاهد عن طريق ما يأتي:

ـ بإعطائه معلومات غير دقيقة من خلال استخدام المرايات العاكسة أو من خلال الصدى وأجهزته.

ـ يمكن تشجيع الملاحظين على الخطأ في الإدراك عن طريق استخدام وسائل التمويه Camouflage أو استخدام نوع من الخيوط السوداء أو أشياء غير مرئية والاستعانة بالمساعدين أو عن طريق زيادة المثيرات الحسية أكثر من اللازم أو استخدامات ذكية لقوانين الإدراك الحسي والخداع البصري. وعملية التمويه معروفة في المجال العسكري والحربي حيث

يمكن إخفاء الأشخاص أو الأفراد والأسلحة والمعدات والمنشآت العسكرية عن أعين العدو.

ـ عن طريق تشتيت انتباه الملاحظ، بحيث يدرك أشياء أخرى في اللحظة الحاسمة.

ـ يمكن تشجيع الملاحظ ودفعه لقبول تفسيرات خاطئة للمعلومات أو عن طريق خلط التسلسل الطبيعي للأشياء والأحداث.

ـ يمكن دفع الملاحظ كي يخطئ في تذكره للأمور عن طريق استخدام الدعامات أو السندات أو الأثاث والملابس كما يحدث في عملية الإخراج السينمائي أو المسرح.

الباراسيكولوجيا Parapsychology

عبر تاريخ الإنسان الطويل سجل الإنسان أنه قد خبر أو أدرك أموراً يستحيل حدوثها من خلال الحواس الخمس المعروفة، أو من خلال القنوات الحسية العادية أو السوية، بالنسبة إلى جميع الناس من خلال قدرات نفسية خارقة، حيث يدرك الإنسان انفعالات الناس وعواطفهم ووجداناتهم أو أفكارهم عن بُعد أو يقرر أنه يؤثر في الأشياء والموضوعات دون أن يلمسها لمسًا واقعيًا، أو يقرر أنه يعالج أناسًا، أو أنه يتنبأ بأحداث سوف تحدث في المستقبل. يدرس هذا الفرع من علم النفس وهو الباراسيكولوجيا أي ما وراء علم النفس ما هو بعد أو ما هو وراء علم النفس أو ما هو وراء وبعيد عن الخبرات التقليدية والمتوقعة والسوية. (Hayes, N., 2000:372)

وكأنما الإنسان أمام وسائل جديدة في الاتصال بين الإنسان وبيئته المادية والاجتماعية New Means of Communication، وتُعرف هذه الظواهر النفسية باسم الخوارق النفسية (PSI).

علم نفس خوارق النفس Parapsychology

من الظواهر الغامضة إدراك الحس فوق الحس أو التأثير النفسحركي، إدراك خارج عن نطاق الحواس، حيث يحاول المبحوث استقراء المادة المرسومة فوق بطاقات من دون استخدام أي عضو من أعضاء الحس المعروفة لنا، ومن ذلك أيضًا الاستشفاف Clairvoyance بحيث يستقبل الفرد الانطباع من شخص وهو على مسافة بعيدة منه. وهنا نكون أمام ظاهرة التخاطر العقلي Mental Telephathy، كما يظهر ذلك فيما يُعرف باسم الحركة النفسية Psychokinesis، إذ يحاول الشخص التأثير عقليًا في زهرة ما. فهو الدراسة العلمية للظواهر فوق الطبيعة أو ظواهر ما وراء الطبيعية أي ما وراء Metapsychics دراسة الظواهر التي لا يمكن تفسيرها في ضوء القوانين أو المبادئ العلمية الطبيعية، ويشمل ذلك:

ـ الخارج على نطاق النفس، الاستشفاف والتنبؤ بالغيب.

ـ التحرك عن بعد.

ـ تنويم الوسيط وتحضير الأرواح.

دراسة الظواهر السيكولوجية التي لا تخضع اليوم للقانون الطبيعي، أي الأمور غير القياسية، أو الأمور الشاذة والوهمية والخيالية، مع تجليات واستشفاف وتخاطر أو توارد الخواطر والاستيلاء على الوسيط. ويحاول علم نفس ما فوق الطبيعة إخضاع هذه الظواهر للقانون الطبيعي بتوسيع دائرة القانون الطبيعي. فهو يدرس ظاهرة التخاطر والنبوءات والاستشفاف التي لا تخضع لقوانين الطبيعة حتى اليوم من ذلك الإدراك الزائد والإحساس الزائد. (دسوقي، كمال، (١٩٩٣): ١٠٢٩).

ظاهرة إدراك ما فوق الحواس

Extra- Sensory Perception

بدأ الاهتمام بهذه الظاهرة راين Rhine منذ وقت يرجع إلى عام ١٩٢٧، حين أجرى تجاربه في جامعة ديوك Duke University Experiments، وفي هذه التجارب كان المجرب يتطلع إلى بطاقة، ويحاول المفحوص أن «يحس» بما يوجد في البطاقة، ومن بين كل مجموعة مكونة من ٢٥بطاقة، هناك فقط خمسة تصميمات هي المستعملة. وكان يُقال: إن إحرازات Hits الاتفاق أو التطابق بين البطاقة فعلاً وإحساس المفحوص بها، تُعد دليلاً على حدوث موقف خارج للعادة إذا كانت هذه تزيد على توقعات المصادفة.

ولذلك كان يُنظر إلى التخاطر Telepathy على أنه اتصال عن بُعد عن طريق التفكير، وليس عن طريق أدوات الحس، وقد يوجد هذا بين أعراض مرضى الذُّهان العقلي في حالة من الهُذاء أو الضلالات، فهو اتصال فعلي خارج عن الحواس، أي: ليس عن طريق الحواس. ويدور الجدل حول حقيقته بما يُعرف باسم ما وراء النفس، فهو نوع من المعرفة ليست مكتسبة بأي من طرق الحواس أو الإدراك المعلومة، معرفة بما يفكر فيه شخص آخر، أو عن العمليات العقلية التي يقوم بها شخص آخر.

ويختلف التخاطر عن الاستشفاف أو الكشف بعين البصيرة -Tel eornosis and Clairvoyance فالتخاطر انتقال المعرفة أو الاتصال بأفكار وخبرات ومشاعر بين عقل وآخر أو من عقل إلى آخر. (P.372 Hayes)

«البيسي» PSI نوع من الاتصال بين الكائن الحي وبيئته، وفي دراسة هذه الظواهر النفسية الخارقة للعادة، هناك فرضان:

الأول: أن هذه الظواهر مجرد Spurious، وتنتج من النصب والاحتيال أو الخداع Deception، أو من جراء سوء التفسير أو التأويل Misinterpretation.

الفرض الثاني: يقرر أن الإنسان تحت ظروف معينة قد يمارس أنماطاً معينة من الاتصالات الجديدة -New Communi cation.

وتتم دراسة هذين الفرضين في إطار الباراسيكولوجيا، أو ما وراء علم النفس، حتى في عملية الإدراك السوية، يتأثر ما يدركه الفرد بمبلغ توقعاته Expectations. فالتوقع يؤثر في المعرفة الإنسانية، فنحن على استعداد أكبر أن ندرك ما نتوقع أنه سوف يحدث، عندما ترى الأم التي تنتظر عودة طفلها من المدرسة «تراه» في كل طفل قادم من بعيد، أو تسمع صوت أقدامه، وهو يصعد الدرج، وقد لا تكون أصوات أقدام ابنها. كذلك فإن ما يتذكره الإنسان لا يُعدّ تسجيلاً مادياً على شريط من شرائط التسجيل Tape-recording. الإنسان في عملية الإدراك أو في عملية التذكر، يميل تلقائياً إلى ملء الفجوات، أو استكمال الثغرات من عنده Filling in Gaps، فالذاكرة غير المكتملة في جزء بسيط منها يميل الإنسان إلى رؤيتها كما لو كانت دائرة كاملة، كذلك فإن الإنسان يدرك بعض الكلمات أو العبارات كما لو كانت كاملة الهجاء، حتى وإن كانت تنقص بعض الحروف. الإنسان ليس موضوعياً بحتًا في تعامله مع ظروف الحياة، أي لا تحكمه الحقائق الواقعية والأحداث الفعلية وحدها.

الإنسان يتأثر بالظروف الاجتماعية، أو بالقبول الاجتماعي لفكرة ما، ولذلك يساير في أحكامه أحكام الجماعة. الإنسان في إدراكه يتأثر بعوامل التقاليد والمحاكاة والثقافة عامة، وما يعتقد أنه رأي الأغلبية، ولكن علماء النفس يتشككون في صحة تلك الخبرات التي يقررها بعض الأشخاص، الخارجة عن نطاق السواء Paranormal.

البحوث التي أجريت في مجال الباراسيكولوجيا

بدأت هذه البحوث منذ القرن التاسع عشر الميلادي، واستمرت خلال القرن العشرين وأجريت بواسطة أفراد أو بعض المؤسسات. وبعضها اعتمد على تطبيق منهج دراسة الحالة Case- Study وتبين أن بعض هذه الظواهر خداع أو تزييف Fraudulent، وبعضها الآخر عمل أصيل، واهتمت هذه البحوث بكشف خداع الوسيط Medium في هذه العمليات، واعتمدت هذه الدراسات على الناس العاديين، وليس على دعاة القدرات النفسية الخارقة أو «السحرة». وكان يسود الشك وعدم الثقة في الوسطاء Mediums. كذلك اعتمدت هذه الدراسات على اختيار إجراءات سهلة التطبيق، ومن بين المبادئ البحثية ضرورة خضوع المعطيات أو المعلومات إلى المحك الإحصائي، وخاصة بحث أخطاء المصادفة وقانون الاحتمالات.

من ذلك ما عُرف في التراث السيكولوجي باسم كروت زينار Zener Cards. لقد قام رايهن J.B. Rhine بسلسلة من الدراسات في نطاق جامعة ديوك Duke University، واستمرت هذه السلسلة من الدراسات طوال الثلاثينيات من القرن العشرين. وقد طلب من أحد زملائه المتخصصين في دراسة الإدراك الحسي أن يصمم له عدداً من الكروت يمكن تذكر محتوياتها من الصور الذهنية الواضحة بتصميم حزمة من الكروت عددها ٢٥ كرتاً تعرف اليوم باسم كروت زينار، على كل منها أحد الرموز الخمسة، وهي: صليب أو دائرة أو مربع أو نجمة أو خطوط متعرجة.

وبعد مزجها جيداً، كان يطلب من المفحوص تعرف الكرت القادم، وبالطبع كان من المحتمل التقاط الكرت الصحيح في ٢٠٪ من المحاولات بالمصادفة البحت، وقد أجرى هؤلاء الباحثون ٨٠٠ محاولة في عامي ١٩٣٠و١٩٣١م، ووصلوا إلى إنجازات معدلها ٢٦٪ ونحو٢٠٧ تخمينات صائبة بينما كان المتوقع بالمصادفة فقط ١٦٠.

استمر في إجراء البحوث والدراسات، وركز الاهتمام في التمييز بين التخاطر والشفافية أو الاستشفاف Telepathy and Clairvogance لأن النتيجة التي حصل عليها من الممكن أن تنتج من أي من هاتين الظاهرتين باستخدام منهج - Down Through، كان على المشارك أن يتعرف الترتيب أو التسلسل في ٢٥ رمزاً قبل أن يتم ترتيب هذه الكروت أو النظر فيها، وبذلك يمنع تأثير التخاطر.

ما مبلغ ثبات هذه النتائج؟

لقد نشر راين Rhine نتائج أبحاثه عام ١٩٣٧م، فأثارت هذه النتائج اهتمام كثير من العلماء، وقامت على ذلك برامج بحثية أخرى في عدد من الجامعات الأمريكية، وقد أدى ذلك إلى صدور مجلة الباراسيكولوجي Journal of Para-psychology لنشر الأبحاث العلمية في هذا المجال، ولكن تبين أنه يصعب إعادة الحصول على نتائج أبحاث جامعة ديوك، أو تلك التي أجريت في جامعات أخرى.

وذهب النقاد إلى القول بأن هذه النتائج نتجت من الخداع العلمي Scientific Fraud أكثر من كونها ناتجة من بحوث صحيحة. وقد تبين أن بعض الذين حصلوا على درجات عالية في هذه الاختبارات يتسمون بالخداع، وذهب بعضهم إلى القول بأن ظاهرة عدم ثبات هذه النتائج تمتد على طول كل هذه الأبحاث ابتداءً من أبحاث مسمر في التنويم المغناطيسي Mesmerism والاستشفاف Clairvoyance، وكذلك أداء الوسيط الروحي، حتى تلك الأبحاث التي اعتمدت على كروت زينار Zener- Card. كل الأعمال والموضوعات التي يتناولها هذا الفرع من فروع علم النفس خداع. فقد كانت الاتجاهات جديدة، والأدوات القياسية جديدة أيضاً، وذهب بعضهم إلى القول بأن هؤلاء الباحثين لم يكن واحد منهم يبحث عن الحقيقة.

وقد قاد ذلك إما إلى تعمد الخداع وإما إلى إهمال الأصول المنهجية في البحث العلمي. وقد قيل في حق كروت زينار: إنها كانت مرسومة بطريقة يمكن التعرف إليها حتى وهي مقلوبة Face- down؛ ولذلك قلت هذه النتائج بمرور الوقت. وكانت النتائج التي يتم الحصول عليها دائماً أقل من نتائج جامعة ديوك.

وتهتم البحوث والدراسات الحديثة في هذا الفرع من فروع علم النفس بدراسة عدد من الموضوعات التي من أهمها ما يأتي:

- موضوعات الإدراك الحسي الزائد Extra- Sensory Per-ception ومضمون هذه الموضوعات اكتساب الفرد معلومات تخص البيئة دون استعمال قنوات الحس المعروفة.



ما حقيقة قراءة الأفكار؟!

- موضوعات التخاطر أو تواتر الخواطر Telepathy، وتهتم بنقل المعلومات من شخص ما إلى شخص آخر دون استعمال قنوات الحس المعروفة.
- موضوعات خفض المثيرات الحسية أو المنبهات الحسية The ganzfeld.
- موضوعات الخفض الذاتي للمثيرات الحسية The auto-ganzfeld Studies وتعتمد على الضبط من خلال حاسوب لمنع حدوث سدود في مجرى الحس أو تحيز المجرب، ولو كان ذلك لا شعورياً.
- موضوعات الاستشفاف Clairvoyance بحيث يكون الحصول على معلومات عن موضوع ما أوعن البيئة دون استعمال أدوات الحس المعترف بها.

- موضوعات الرؤية عن بعد Remote viewing بحيث يصف المفحوص أشياء أو موضوعات تقع على مسافة بعيدة عنه، ولا يتم هذا الوصف أو الإدراك من خلال القنوات التقليدية.

- الاستشفاف الزائف والتخاطر Faking Clairvoyance and Telepathy.

- التنبؤ بالمستقبل Precognition أي المعارف التي يحصل عليها الفرد عن أحداث المستقبل دون استعمال أدوات الحس العادية.

- موضوعات القدرة على إحداث تغييرات في الأشياء عن بُعد Psychokinesis أو إحداث تغيرات أو تأثيرات من خلال حواجز أو موانع أو سدود أو حوائط، وتلك التي يفترض أنها تمنع مثل هذا التأثير.

- دراسة موضوع تأثير المجرب في المفحوصين The Experimenter Effects التأثير غير المطلوب في الدراسات النفسية التي قد يمارسها المجرب سواء أكان ذلك عن وعي أم من دون وعي.

وخلاصة القول: إن الباراسيكولوجيا أو علم نفس الخوارق النفسية يجري دراسات حول الخبرات التي يخبرها الناس والتي تشمل نقل المعلومات، أو توصيل المعلومات دون الاعتماد على القنوات الحسية، أو أدوات الحس الطبيعية في الإنسان، كالسمع والإبصار والتذوق والشم واللمس. ويشمل أيضًا ظواهر الخداع النفسية، وكذلك دراسة الظواهر النفسية الخارقة للعادة. وتشمل الدراسات التجريبية في هذا الحقل أساليب خفض المثيرات الحسية التي تسقط على حواس الإنسان، وكذلك الرؤية عن بعد، أي: رؤية الأشياء البعيدة عن متناول حواسه، وكذلك دراسة التأثير الدقيق والأشياء.ويدور جدال طويل حول كل موضوع من هذه الموضوعات إلى جانب تناول نتائج هذه الأبحاث جميعًا. وفحوى نتائج هذه الدراسات أن النتائج الإيجابية في هذاالحقل ترتبط ارتباطًا وثيقًا بكثير من العوامل والمتغيرات التي تخص كلاً من :

- المجرب أو الباحث.

- المشارك في الدراسة أو المبحوث أو المفحوص.

وخلاصة الأمر أن هذه النتائج لا تحدث في جميع الحالات، وفي جميع المناسبات، ويرى نقاد هذا الفرع من المعرفة أن هذا يمثل ضعفًا في نتائج هذه الدراسات ويتشككون فيها. ولكن هناك من يقول: إن هذه الملاحظات وتلك الانتقادات تنطبق على جميع القدرات الخاصة أو الاستثنائية في الإنسان Hayes, N., 2000: 594.

وكانت النتائج صفرية عندما أعيد إجراء هذه الأبحاث في بريطانيا. وقد تبين أن كثرة تكرار الأداء المطلوب من المفحوص أدت إلى شعور بعضهم بالضيق والملل وانخفاض معدلات الاهتمام. و دلّ البحث العلمي أن عملية الإدراك، وكذلك التذكر، تتأثر بحالات مثل الشعور بالجوع والعطش ،والحالة الانفعالية، والشعور بالتعب والإرهاق. والحقيقة أن دراسات الباراسيكولوجيا تخضع لكثير من الانتقادات المنهجية أكثر من أي فرع آخر من فروع علم النفس. إنه يدرس موضوعات تتحدى الفروض العلمية التقليدية الشائعة، وتحتاج البحوث في هذا الميدان إلى مزيد من الضبط التجريبي، والدقة والتأكد من توفر شروط الصدق والثبات في الأدوات، وفي إجراءات البحث.

وهناك مشكلة صعوبة عدم إمكانية إعادة التجربة، والحصول على النتائج نفسها Replication. وقد تمت عدة محاولات لإثبات صدق نتائج الباراسيكولوجيا وثباتها مع الأخذ في الحسبان أنها ليست نتيجة دراسة واحدة، وإنما نتيجة عدد كبير من الدراسات، وإجراء تحليل يشملها جميعاً فيما يُعرف باسم منهج التحليل الإحصائي المعروف باسم Meta-analysis، وقد كشف هذا المنهج عن بعض النتائج الإيجابية المستمدة من عدد كبير من الدراسات. كذلك هناك اتجاه آخر وهو الأخذ في الحسبان جميع البحوث التي لم تنشر File-drawer، أو تلك التي ما زالت حبيسة الأدراج، ولم يشأ أصحابها نشرها.

كان راين يعتقد أن جميع الناس لديهم قدرة على التخاطر، وهناك أناس يحصلون على درجات عالية في مثل هذا العمل، فقد راوحت درجاتهم بين ٧ و٩ درجات من جراء الإنجازات الصائبة Bits من مجموع ٢٥ كرتًا، بينما كانت الدرجة المحتملة بفعل عوامل المصادفة وحدها هي ٥ درجات. وقد درس تأثير عدد من المتغيرات، مثل العقاقير، وعلى سبيل المثال، وجد أن تناول الصوديوم الأماتيل، وهو من العقاقير المضادة للاكتئاب، يميل إلى تقليل الدرجة، بينما وجد أن مادة الكافيين، وهي مادة منشطة، تزيد من هذه الدرجات. والغريب في أمر هذه التجارب أنها وجدت أناسًا يحصلون على درجات أقل مما يحدث

بالمصادفة. ولذلك قال بعض العلماء بتأثير نفسي سلبي Nega-tive-psi Effect.

هناك أناس يحصلون على درجات أقل من معدلات المصادفة، وآخرون يحصلون على درجات أعلى من مستوى المصادفة. الذين يعتقدون صحة العوامل النفسية الخارقة يحصلون على درجات أعلى، أما الذين لا يعتقدون في ذلك فيحصلون على درجات أقل من مستوى المصادفة أو الاحتمالية.

وقد طُبِّق حديثًا منهج تحليل Meta Analysis على ٧٣ دراسة بهذا الصدد، وتبين أن هناك فروقًا دالة بين الذين يعتقدون وأولئك الذين لا يعتقدون.

التخاطر أو تواتر الخواطر والأفكار Telepathy عملية الاتصال بين الأفكار أو المشاعر أو الأحاسيس وحدوثها في اللحظة نفسها دون الاستعانة بأعضاء الإحساس المعروفة، من ذلك صيحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعتلي المنبر قائلاً: «يا سارية الجبل» حيث شعر بها سارية في أثناء سير المعركة الحربية، ويلفت نظره فعلاً إلى الجبل حيث كان يوجد الخطر. وهناك من يقر تواتر الخواطر من العلماء، وهناك من ينكره ولا يعترف به، ويعدّه ضرباً من التزييف، وهو من ظواهر ما بعد علم النفس أو ما وراء علم النفس (طه، فرج عبدالقادر وآخرون،١٩٩٣:١٨٣) فهي عملية اتصال الفرد عقليًا بالآخرين بطريقة ما خارجة عن نطاق العادي أو الأوضاع العادية، أي: دون وسائل الاتصال المادية، ودون الاعتماد على الوسائل الحسية؛ فهو اتفاق الخواطر أو اتصال بين الخواطر (الحفني، عبدالمنعم، ١٩٩٤: ٨٧٧). وينظر إليه بعضهم على أنه قدرة مفترضة أو افتراضية للاتصال العقلي المباشر Ability for Direct Mental Con-tact Between two or More Persons. فهو قدرة خارقة تقع دراستها في نطاق الباراسيكولوجيا (Reber,1995:787) Par-apsychology، أو ما وراء علم النفس؛ أي فيما وراء الظواهر السيكولوجية Beyond أو ما وراء الأمور السوية Parapsy-chology = Paranormal Phenomena، أي حالات يصعب شرحها أو تفسيرها وفقًا للقوانين والمبادئ المعروفة، كالإدراك الحسي الزائد Extrasensory Perception، بمعنى افتراض وجود حواس خارقة أو زائدة عن المألوف لدى بعض الناس، كما هو الحال في تواتر الخواطر أو المعرفة بالمستقبل Precog-nition. ولكن معظم علماء النفس يتشككون في هذه الظاهرة لصعوبة خضوع هذه التجربة الذاتية إلى المحكات العلمية، فلا يمكن مثلاً إعادة الشعور الذي شعر به شخص ما عن طريق تواتر الخواطر هذا Replicate.

والعلم من خواصه الحتمية والاطّراد، أي: تكرار حدوث الحوادث، حتى يمكن للعلماء التحقق منها بعد تحقيق مبدعها الأول أو مكتشفها الأول Reproducibility؛ لإمكان عمل الملاحظات المستقلة حول ظاهرة بعينها، ولإمكان إجراء التحقق التجريبي من الظاهرة Experimental Verification. وظواهر هذا النوع تخرق القوانين الطبيعية المعروفة، أو قوانين العلوم المعروفة Vi-olate Known Laws of Science، مثل: قوانين الضوء، أو قوانين الجاذبية. ولا توجد قوانين تفسر هذه الظاهرة حتى الآن في إطار التراث العلمي المتراكم. وهنا يصعب عمل التحليل العلمي أو الموضوعي لمثل هذه الظواهر (Reber, 1995: 539) .

لا يعتمد الإنسان في تفكيره كليًا على الحقائق الواقعية الموضوعية المجردة، إنما هو في بعض الأحيان يكون ذاتيًا، بل أحيانًا يكون لا عقلانيًا

ويتصل بظاهرة التخاطر هذه ظاهرة أخرى تُعرف باسم «تحريك الأجسام» عن بعد بواسطة القوة النفسية، أي عن طريق الوسيط الروحي من دون اتصال واضح، ونتيجة لقوى غيبية غير منظورة (الحفني، ١٩٩٤:٨٧٧)، وكذلك تتصل بظاهرة أخرى تُعرف باسم الاستشفاف Claivoyance، أي القدرة على رؤية أحداث تقع في مكان بعيد دون استخدام حواس البصر، ويمكن تسمية هذه الظاهرة أيضاً بالجلاء أو الكشف البصري (الحفني، ١٩٩٤:١٣٨).

أي: حدة الإدراك أو قدرة الإنسان على رؤية كل ما يقع وراء نطاق البصر؛ أي تخطي حدود إمكانات القدرة على الإبصار ورؤية أشياء أو أحداث لا يراها جميع الناس، وإنما يقررها بعض الأشخاص فقط. الإدراك الحسي الزائد عن الحد Extrasensory Perceptions، وهو قدرة صاحبه على الحصول على المعلومات بعيداً عن الحواس Schielded، وقد

تكون هذه المعلومات بعيدة زمانياً، كإدراك أحداث ماضية Retrocognition أو إدراك أحداث سوف تقع في المستقبل Future Events or Precognition؛ أي المعرفة المستقبلية.

الإدراك الزائد يشمل التخاطر والشفافية في التخاطر تنتقل الأفكار إلى عقل شخص آخر، أي: تنتقل من عقل شخص إلى عقل شخص آخر، وفي ظاهرة الشفافية يتم نقل أحداث خارجية أو أشياء خارجية إلى عقل الفرد.

وهناك قدرة للعقل (مفترضة) على التأثير في الأنظمة الخارجية، خارج نطاق نشاطه الحركي Psychoinesis.

الأدلة على وجودها:

يمكن تقسيم الأدلة على وجود هذه الظواهر النفسية الخارقة التي يطلق عليها اصطلاحاً اسم PSI إلى نوعين من الأدلة:

- أدلة كيفية Qualitative.
- أدلة كمية أو إحصائية .Quantitative

وهو الأدلة الكيفية: وتشمل الظواهر التي لها أسس طبيعية، وتحدث في الحياة اليومية بصورة تلقائية، من ذلك أننا نتوقع وقوع كارثة مهددة لحياة الإنسان Impending Catstrophe، وتنحصر الأدلة الكمية في المعلومات المستمدة من التجارب المعملية أو المختبرية التي تعالج معالجة إحصائية. وفي المجتمع الأمريكي قام راين L.E.Rhine بدراسة ١٥٠٠٠ حالة، ولكن لم يستهدف البرهنة على وجود مثل هذه الخوارق النفسية PSI، ولكن فقط كي يصف أفراد العينة مايدعون إدراكه أو مشاهدته أو الشعور به، أو ما يصل إليهم من أفكار. وبذلك يمكن وضع عدة فروض مفيدة حولها تخضع للدراسات المعملية.

ولكن يدرك العلماء المهتمون بدراسة هذه الظاهرة ضعف المادة الناجمة عن دراسة الحالات في كونها دليلاً على حدوث ظاهرة الخوارق النفسية. وتناولت التجارب الأولية ظاهرة انتقال الأفكار Thought Transference or Telepathy، وقد قام بأولى هذه المحاولات العلمية عالم النفس الأمريكي كوفر J.E. Coover، وانتهى من دراساته بالقول بأن النتائج التي حصل عليها أخفقت في البرهنة على صحة فروض وجود ظاهرة التخاطر. ومن بين التجارب والدراسات المبكرة في المجتمع الأمريكي تلك الدراسة التي أجريت في جامعة هارفارد Harvard University، وقام بها كل من ترولاند وإيستابروك Troland and Estabrooks، وتستمد هذه الدراسة أهميتها الخاصة؛ لأن الباحث وضع كلاً من الوسيط Agent والمبحوث The Subject في غرفتين منفصلتين بعضهما عن بعض.

وقد أدى هذا الفصل بين الطرفين إلى انخفاض الدرجات كثيراً، فهل هذا الانتقال يحدث بمعدلات تزيد من معدلاته بالمصادفة البحت أم أنه يحدث نتيجة تأثير وإيحاء من الطرف المرسل؟

ويتساءل بعض علماء النفس عن مدى تكرار مثل هذه الخوارق، وعن مدى انتشارها أو التوسع في الشعور بها. وفي بعض التجارب جلس المجرب في مبنى، بينما جلس المبحوث في مبنى آخر، وضبط كلاهما ساعته للبدء معاً في لحظة واحدة (Carsini, 1998: 622).

الخلاصة

تبدو ظاهرة التخاطر وغيرها من الخوارق النفسية، ادعاءات لا يقوم على صحتها الدليل العلمي التجريبي بأدوات القياس الراهنة، ومع ذلك فإن العلماء ينظرون إليها بعقول مفتوحة، فلربما يحدث تطور في العلم يجعل العلماء يتمكنون من رصدها علمياً.

المراجع

١. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لأحمد زكي بدوي، ١٩٨٦م، ص ٢٤، مكتبة لبنان.

٢. ذخيرة علوم النفس، لكمال الدسوقي، ١٩٨٨م، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة.

٣ ـ أصول علم النفس،لأحمد عزت راجح، ١٩٩٤م، دار المعارف، مصر.

٤. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، عبدالمنعم الحفني، ١٩٩٤م، مكتبة مدبولي بالقاهرة.

٥. موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، لفرج عبد القادر طه وآخرين، ١٩٩٤م، دار سعاد الصباح، القاهرة والكويت.

6 - Corsini, R.J. and Auerbach, A.J.,1998,Concise Encyclopedia of Psychology, John Wiley and Sons, New York.

7 - Hayes, N., 2000, Foundations of Psychology, Thomson learning, U. N. S.

8 - Reber, A. S., 1995, Penguin Dictionary of Psychology, London.

• مصادر الصور: الإنترنت.

مَرْثَاةٌ مُعَاصِرَةٌ

إلى جدي وعمي وعمتي..

مصطفى ملح
رشيد - المغرب



هَذِهِ الأحْرَاشُ مَنْ يَسْكُنُها؟
لَمْ يَبْقَ فِيها حَجَرٌ أوْ طَلَلٌ
كُلُّ البُيُوتِ انْصدعَتْ أرْكانُها
وانْطَفَأتْ شمسُ الحياةِ
مَاتَ عَبْدُاللَّهِ - عَمِّي
بَعْدَ أسبُوعَيْنِ مَاتَتْ جَدَّتِي..
قِيلَ لِي: «سَوْفَ يَعُودَانِ لَيْلَةَ العِيدِ،
وَفِي رأسِهِما تَاجٌ مِنَ الْيَاقُوتِ».
قَالَتْ عَمَّتِي: «إنَّهُما ألآن بَعيدانِ».
وَفِي العِيدِ بَكَتْ عَائِلَتِي،
أطْفَأَ جَدِّي فَرَحَ الرَّادْيُو
لِكَيْ تَرْتَفِعَ الْمَرْثَاةُ أعْلَى
فَبَدَتْ لِحْيَتُهُ البَيْضَاءُ فِي هَيْبَتِها
مِثْلَ غُصُونِ الأُكَلِبْتُوسِ
أعِدَّتْ لِحرِيقٍ غَابَوِيٍّ
مَاتَ جَدِّي بَعْدَ عَامَيْنِ
كأنَّ المَوْتَ أغْرَاهُ بِسُلْطَانٍ عَرِيضٍ
ثُمَّ أغْرَاهُ بِإسْطَبْلٍ مِنَ الأحْصِنَةِ الزُّرْقِ
فَلَمْ يُمْهِلْهُ حَتَّى يُكْمِلَ التِّسْعِينَ..
كَيْفَ انْقَرضَتْ تِسْعُونَ عَامًا؟
هُو تَارِيخُ الْعَصَافِيرِ
وَتَارِيخُ الشُّجَيْرَاتِ
وتَارِيخُ الزِّرَاعَاتِ
فكيفَ انْهَدَمَتْ أرْكانُ جِسْمٍ
عُمْرُهُ أطْوَلُ مِن عمر الجِبَالِ؟!
ثُمَّ مَاتَتْ عمتي فانفتحت دُورُ السَّمَواتِ لَها،
واستُقبِلَتْ مِنْ لَدُنِ الحُورِ الصَّغِيراتِ
وفي أعْيُنِهِنَّ التَمَعَ النُورُ وَضِيئًا
حَيْثُ رأتْ حرَّاسَ أبْوابِ النَّعِيم
يَحْمِلُونَ الشَّمْعَ والْحِنَّاءَ ..
قَالَتْ: «أيْنَ أهْلِي»؟
قِيلَ: «هُم مَوْتَى»،
فما حَاجَتُكِ الآنَ لِمَوْتَى لاَ يُطَاقُونَ،
أطاعُوا شَهْوَةَ الدُّنْيا،
فعاشُوا مَيِّتِينَ ؟!»

أحاسيس رمادية

محمد عبدالله الهويمل
الرياض ـ السعودية

(أطلقها على لسان ذلك الشاب المتكوّر في زاوية الكهف النائي)

هنّئيني إذا دنا الموتُ منّي
وافتحي بابَ بيتنا للتّهاني
علّقي أدمعي مصابيحَ عرسٍ
ثم مُدّي الأسلاكَ من شرياني
خَفْقُ قلبي وأدمعي في رهانٍ
والرّدى فاز قبل بدءِ الرّهانِ
إن تبسَّمتَ خلسةً فاقْطفي من
شفتي طاقةً* من الأقحوانِ
لورأيتِ مسيلَ دمعي .. عرفتِ
أنّ قلبي جداولُ الظّمآنِ
لو شممتِ الزفيرَ عطرًا .. عرفت
كيف تنمو الأزهارُ في الوجدانِ
فاحتقرت دُمَيْعتي وهي كانتْ
مسْبحًا للسفين والحيتانِ
إيه يا بنتَ نشوتي وحروفي
إنّما الحرف دمعةٌ من لسانِ
قد رأيتُ الحياةَ عذراءَ تشدو
أغنياتِ مائيّةَ الألحانِ
فكأنّ المستقبلَ الطّلْقَ أضحى
هدْهُدًا يستقرُّ فوقَ بناني
وطموحًا يهتزُّ بين ضلوعي
مثلْ نَسْرٍ يَهِمُّ بالطّيَرانِ
إن ذاك الطريحَ أضحى كصَيْدٍ
يَتلوّى على شفيرِ السّنانِ
كان نسرًا يروم قوتًا فأضحى
مَطْعَمًا للنسور والعِقْبانِ
كم بكى أدمعًا فسالتْ وما مدّ
تْ إلى خدّهِ الرقيقِ يدانِ
فامسحي قلبيَ الفسيحَ فقلبي
لم يكنْ يومًا مسرحًا للطعانِ
لا .. ولا قفرًا إنّما كان قلبي
ملعبًا للطيور والغزلانِ
فعَلِمْتِ لمّا نَزَعْتُ شعوري
ثم علّقْتُه على الجدرانِ
أنّ قلبي ديوانُ شِعْرٍ حزينٍ
ودموعي قصائدُ الديوانِ

* الباقة: للفجل والبصل والكرّاث
والطاقة: للأزاهير.

درٌّ وبرق

ابن خميس التلمساني*

نظرتْ إليك بمثلِ عيني جؤذرِ
وتبسَّمتْ عن مثل سِمطَيْ جوهرِ
عن ناصعٍ كالدُّرِّ أو كالبرقِ أو
كالطَّلع، أو كالأقحوان مؤشَّرِ
تجْري عليه من لماها نُطفةٌ
بل خمرة، لكنَّها لم تُعصَرِ
لو لم يكنْ خمرًا سُلافًا ريقُها
تُزري وتلعبُ بالنُّهى لم تخطُرِ
وكذاكَ ساجي جفنِها لو لم يكنْ
فيه مُهنَّدُ لحظِها لم يُحذَرِ
لو عُجْتَ طَرْفَكَ في حديقةِ خدِّها
وأمنْتَ سطوةَ صُدْغِها المتنمِّرِ
لرتَعْتَ من ذاكَ الحِمى في جَنَّةٍ
وكرَعْتَ من ذاكَ اللَّمى في كوثرِ
طرَقَتْكَ وَهْنًا والنُّجومُ كأنَّها
حَصْباءُ دُرٍّ في بساطِ أخضَرِ
والرَّكبُ بينَ مُصعِّدٍ ومُصوِّبٍ
والنَّومُ بينَ مُسكَّنٍ ومُنفَّرِ
بَيْضا، إذا اعتكَرَتْ ذوائبُ شعرِها
سَفرَتْ فأزرَتْ بالصباحِ المُسفِرِ
سَرحَتْ غلائلَها فقلتُ سبيكةٌ
من فِضَّةٍ، أو دُمْيَةٌ من مرمَرِ
منَحتْكَ ما منَعتْكَ يقظانًا فلم
تُخلف مواعِدَها ولم تتغيَّرِ
وكأنَّما خافتْ بُغاةَ وُشاتِها
فأتَتْكَ من أردافِها في عسكرِ
وبجِزْعِ ذاكَ المُنحنى أدمانةٌ
تَعْطو فتسطو بالهِزَبْرِ القَسْوَرِ
وتحيَّةٍ جاءَتكَ في طيِّ الصَّبا
أذكى وأعطَر من شميمِ العَنْبرِ
جَرَّتْ على واديكَ فضْلَ ردائِها
فعرفتَ منها عَرْفَ ذاكَ الإذْخِرِ
هاجتْ بلابلَ نازحٍ عن إلْفِهِ
مُتشوِّقٍ ذاكي الحشا مُتسعِّرِ
وإذا نسيتَ ليالِيَ العهدِ التي
سلَفتْ لنا فتذكَّريها تذكُري
رحْنا تُغنينا ونَرْشُفُ ثَغرَها
والشَّمسُ تنظرُ مثلَ عينِ الأخزرِ
والرَّوْضُ بينَ مُفضَّضٍ ومُعسْجَدٍ
والجوُّ بينَ مُمسَّكٍ ومُعصْفَرِ

---

* هو أبوعبدالله بن عمر بن محمدالحميَري، الحَجْرِي (حجر ذي عين، وهو أبو قبيلة من اليمن) التلمساني، المعروف بابن خميس: من فضلاء أهل تلمسان، وكبار شعرائها وعلمائها. رحل من تلمسان إلى مدينة سبتة، ثم ارتحل إلى الأندلس، وأقام في جوار وزير غرناطة وكاتبها أبي عبدالله بن حكيم، ونال جوائزه وهباته. قتل يوم مقتل ممدوحه ابن حكيم سنة ٧٠٨هـ.
«مختارات من الشعر الأندلسي، د. محمد رضوان الداية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر».

سباسيبا

إلى رضا فرحان

عبدالله محمد حسين

الرياض ـ السعودية

ختمت ردي على الهاتف الذي قاطعنا بكلمة (سباسيبا) فاستدار أبو محمود فجأة نحوي وقد ارتسمت على وجهه الجليل ابتسامة غامضة، وكطفل يتعلم النطق تمتم مرددًا:

ـ سباسيبا.. سباسيبا:

صوّبت نطقها، فأعادها متنهدًا، ثم سألني في خشوع وهو يزيح حبات العرق عن جبهته العريضة مقاومًا وهن السبعين والسكّر:

ـ ماذا تعني سباسيبا؟

أجبته:

ـ تعني شكرًا بالروسية.

أطرق مستغرقًا.. كان ينتج شيئًا مطمورًا في أعماق الذاكرة..

شرعت «سباسيبا» ذاكرة الشيخ فخرجت منها «عين كارم» أتت مدينة الأجداد إليه تسعى في غبش صباح شتوي، استضاء بثلج عاصفة طارئة، وتراقصت في الموقد... نار «الجفت» مشيعة الدفء، ونهضت «سباسيبا» الكلمة التي لم تستنفد طاقتها وهي تنتقل من جيل إلى آخر لتنسج مع ألسنة اللهب وخيوط الدخان حكاية لا أظن أن تعاقب الأيام يقوى على محوها من ذاكرة آل فرحان، فهي تعايشهم من ذاك الزمن الذي يعود لفترة احتدام صراع السفراء والقناصل وتنامي النفوذ الروسي، كان جدهم أبو فرحان قد ودع ريعان الشباب، لكنه ظل محتفظًا بالقامة المديدة والعضلات المفتولة والحركة الرشيقة، عزمه من حديد لا يرده برد قارس ولا زمهرير عن «السروة».. ذلك السحر الذي هجعت فيه للتو عاصفة ثلجية فاجأت الجميع، فنفض عن جسمه دفء السرير، تدثر بفروته يدفعه قلق شديد على بستانه، على زهر المشمش المبكر.. ومضى دون انتظار قهوة أم فرحان.. دفع حماره خارج المنزل متئدًا محاذرًا الزلق، قاصدًا بستانه في أطراف البلدة.. أسقف البيوت موشاة بندف الثلج.. الأزقة هاجعة تستلذ ببقايا الليل، الظلام يتكسر خلف الشجر لينحسر عن صبح نديّ.. عند مدخل الوادي استقبلته نسمات خفيفة منحدرة من الغرب تحمل في طياتها رذاذًا باردًا، وتدفع في وهن سحبًا داكنة نحو الشرق.. امتد نظره عبر الغبش المنجلي إلى السفح؛ غلالة شفافة توشح أشجار السرو والصنوبر الشامخة، وأشجار الزيتون التي أبت أن تحنى رأسها للعاصفة العاتية، فمرت مستلبة بعض الغصون اليافعة. ندف الثلج القطني مازال يمد بياضها الناصع على السفوح، أما تلك التي انزلقت إلى بطن الوادي فقد أحالها الدفء ماء راح يركض بين الصخور ليشيع بخريره أنسًا في هذا الصباح.

واصل أبو فرحان السير محاذيًا سلسلة الجبال الشاهقة المتصلة بجبال القدس ونابلس حتى تعانق جبال الخليل المكتظة بالتاريخ.. مقابر وأضرحة وأديرة. مهبط أفئدة حجاج أرض فلسطين المباركة، دخل بستانه، تفقد أشجار الزيتون التي ناءت أغصانها

تحت وطأة الثلج، طاف بعرائش العنب، أطال الوقوف بين شجر المشمش والخوخ الكارمي واللوز حتى اطمأن القلب، في طريق العودة عرّج على بساتين الجيران ليشملها برعايته، ثم قصد المنزل.. وهو يعبر كومة ثلج لمح إنساناً يوشك أن يطمره الثلج، اقترب أكثر.. فتاة مسبلة العينين، حركها.. فاقدة الوعي، بهمة راح ينفض عنها الثلج، دثر جسدها المقرور بفروته، ثم حملها على حماره مستحثاً الخطى حتى بلغ المنزل.. نادى بصوت مضطرب:

- أم فرحان.. أسرعي.

هرعت إليه.. أدخلا الفتاة.. أعدا لها مرقداً قرب دفء الجفت، أوقدا النار، ثم وقفا يتأملان الوجه الجميل.. كدمات زرقاء دكناء تعلو الوجنتين الحمراوين، وحول العين.. شفتان رقيقتان قرمزيتان.

احتشد الموقد بدفء أنعش الحياة في الجسد المقرور.. نهض الصدر وهو يستمد نفساً دافئاً، فبدا ناهداً، اختلجت الأجفان المسبلة، ثم انفتحت بتثاقل لتومض زرقة العيون، أخذت نفساً أعمق مشبعاً برائحة جفت الزيتون النفاذة، ورمقتها بنظرة حانية، واختلجت الشفتان لترسم ابتسامة واهنة، ثم همست بإعياء:

- سباسيبا.

تمطى الجسد بدفء الجفت وهمست مرة ثانية:

- سباسيبا.

ساعدا جسدها المنهك لتنهض بتثاقل.. هللت أم فرحان، وركضت إليها بقدح حليب بالزنجبيل لتطرد به ما تبقى من برد بجوفها.

صمت أبو محمود.. ظنته أنهى حكايته، التقط أنفاسه.. عاود إزاحة حبات العرق التي زخرفت جبهته، ثم عرج في حديثه عن مدينته عين كارم.. بدت له ساحتها كما رسمها أهلها في الزاوية اليمنى تنهض في شموخ بين البيوت الحجرية مئذنة الجامع من خلف بابه الموصد ارتعشت شجرة العنب التي نقشها والده بصبر مكابر على رخام المنبر، تمايلت أغصانها واختلجت العناقيد استجابة لتحرش نسمة خطرت من «باب الوادي»، سما إلى سمعه خرير العين يذيع في الصباح أحاديث المدينة وينشرها ورد النساء الطويل.. انبثقت في وجهه خضرة التينة من منزلهم تمد غصونها فوق الزقاق وإلى القلب.. متئداً اقترب من باب بيتهم الموصد.. الإطار الخشبي مازال.. لكنه الآن يحتوي باباً من حديد بدلاً من درفتي الخشب.. تذكر آخر زيارة له من والده عندما امتدت يده إلى المفتاح تتلمسه، واطمأن أنه ما بارح مكمنه حول الخصر.. وقف بالباب: كيف سيطرقه؟ هل ينتهك حرمة منزله ويدخل دون استئذان؟ أم يطرق برفق يستجدي الإذن من المحتلّ كي يسمح له بإلقاء نظرة.. همس والده:

- لو توقف القلب داخل الدار فلا تمض بي بعيداً.

حياة عظيم

خالد عبدالله الخميس

الرياض ـ السعودية

لم يكن أحد يجري بنفس سرعته، كان يسبق هذا ويتجاوز هذا ويلحق بهذا. كان لا يحس أنه يبذل للجري أي مجهود. الدرب بالنسبة له معبد، الجو رائع، وطاقته في أوج نشاطها. الكل يجري لكن سرعته تتجاوزهم. ظل يمشي على هذه الحال فترة من الزمن. وجد في طريقه فئة قليلة من الناس يستصعبون المشي فضلاً عن الجري. أبدى استغرابه واستعطافه. نظر إلى خلفه فوجد أنه يصعد جبلاً، ألمح لوحة في بداية الجبل تشير بسهم عريض كُتب عليها «جبل الحياة».

أدرك بعدها أن من يجدون صعوبة في المشي هم في الواقع يصعدون جبلاً. لكنه مع هذا لم يجد لهم مبرراً فالجبل ممهد والطريق معبد وليس أمام الفرد إلا أن يجري أو على الأقل أن يمشي.

ظل يجري تارة ويمشي تارة، يدندن تارة ويتراقص تارة أخرى.

هالة منظر حفرة كبيرة كتب عليها «مقبرة المنحوسين» سقط بها عدد من الناس، لقد كانت حفرة واضحة للعيان يسهل على أي شخص رؤيتها وتفادي الوقوع فيها. تعجب من سبب سقوطهم فلم يجد جواباً لكن لعل خبرته في الحياة مستقبلاً تعرفه السبب.

وصل بسهولة للمحطة التالية، انتهى الطريق المعبد، لكنه لازال ممهداً، كانت تلك المحطة مزودة بجميع الحاجات الأساسية للمعيشة، لم يتوقف، استمر في الجري دون كلل ولا ملل، بدأ يلاحظ وجود الحصى تتناثر على جنبات الطريق. توقف عند واحدة من تلك الحصى. التقطها، فحصها جيداً عرف أنها تمثل مواضيع لحن الحياة، أدرك أن الحياة ليست عنواناً صافياً بل يتخللها الكثير والكثير من الكدر، تعايش مع تلك الحصى والعقبات. تعلم كيف يتجاوزها، لاحظ أنه كلما سار مسافة للأمام تكاثرت الحصى وازدادت الحفر إنها رعونة المحن. لقد كان صلداً لم يجد في تجاوزها أي عناء، مرّ على تلك الحفر والعقبات وهو يتسلى بالقفز على الواحدة تلو الأخرى.

وبينما هو يقفز الحفر ويتجاوز الحصى زلت قدمه في إحدى تلك الحفر. كانت حفرة عليها قشة لم ينتبه لها، التفت عن يساره وجد شخصاً يضحك لمنظر الزلة. أدرك أن هذا الشخص هو الذي حفرها عن قصد ووضع عليها القشة ليوقع به وبالآخرين. لكنه لم يكن بهذه السهولة ليسقط حمل نفسه بسهولة وأعاد توازنه بكل اقتدار.

على الرغم من أن الحفرة لم تكن عميقة إلا أنها أثرت فيه بشكل يفوق تأثير الحفر الطبيعية العميقة. كان ينظر للحفر الطبيعية على أنها أقدار الله وسنن الحياة وليست مقصودة من أحد، إنما تلك الحفرة الصغيرة هي مقصودة من قبل فاعل يريد له الشر ويتمنى له السقوط. كان يسأل نفسه كثيراً لماذا يريد هذا الشخص أو ذاك الشر للآخرين. تردد عليه هذا التساؤل مرات ومرات، لم يجد له جواباً سوى الحقد والحسد، مع هذا لم يقتنع بمنطق الحسد. المنطق السليم أنك إذا كنت لا تقوى على المشي فليس لك الحق أن تمنع الآخرين من المشي. وإذا كنت لا تستطيع تخطي العقبات فليس من حقك أن توقع بمن يستطيع. تعجب وتعجب من سوء النية والطوية، تعجب من هذا السلوك الأرعن، قاموس حياته لا يعرف الغل والحقد فضلاً عن الكيد والحسد: إنها أمور تأباها النفوس العملاقة

مثل تلك التي يحملها بين جنبيه. حاول أن يتخلص من قلق هذا التعجب، وبالفعل تمكن، لم يجعل الموقف يسيطر عليه. أضاف إلى قاموس حياته درساً جديداً: لا بد من التعايش مع ثلة ليست بالقليلة من الناس صفتها أن نفوسهم تضيق ذرعاً لنجاح الآخرين.

سار وتابع في المسيرة، الطريق يتوعر، الحصى يكثر ويكبر حجمه، بدأ يلحظ الصخور، شاهد مناظر أخرى شبيهة بما شاهده من قبل، رجل يحفر حفرة، وآخر يزرع الشوك، وثالث يركم الحصى، ورابع يضع القشة، لم يتعجب هذه المرة، ما لبث برهة إلا وأمام ناظريه يشاهد ضحية من الضحايا تقع فريسة لأحد الألغام، الضحية تدحرجت للخلف خطوات عديدة. أدرك أن من يعملون هذا العمل الشائن ليسوا أشخاصاً يعدون على الأصابع، بل هم كثر. أدرك أن هناك نوعية من البشر لا يصعدون ولا يتمنون للآخرين الصعود، تكررت تلك الحركة مرات عديدة.

بدأ يعي الدرس ويمشي بحذر أكثر فأكثر. صار ينبه الآخرين وينصحهم بخطورة ناس كُثر يتمنون الشر للآخرين، يفرحون بالزلة والخطأ ويغيظهم جدّ الناس واجتهادهم.

وصل محطة كانت أفضل من السابقة، اقتنع عدد ممن ساروا معه بالمكوث في تلك المحطة، لكنه لم يرض بذلك. أثار في صحبه ضرورة الجدّ والتطلع للأمام، نصحهم بالصبر وأشعل جذوة الهمة ومتابعة المسير، كان يرد «الصبر مفتاح الفرج»، «إنما النصر مع الصبر»، «الصبر ساعة» «طبعت على كدر وأنت تريدها... صفواً من الأكدار والأقدار». كانت تلك المقولات وذلك الهدوء محل إعجاب وتقدير، لم يكن مرشداً فقط بل كان محلاً للقدوة والاقتداء.

واصل وواصلوا معه، قلّت أعداد الحصى على حساب أعداد الصخور، أدرك أن التحدي يتضاعف، بدأ يشعر بجهد في الصراع. تعود تجاوز الحصى من دون أي عناء لكن الجهد الذي يبذله في تجاوز الصخور الآن يتضاعف. بينما هو يهم بالصعود على إحدى الصخرات، أصابه سهم في رجله، لم يكن سهماً طائشاً بل مقصوداً من متربص. رجله بدأت تنزف، سقط من الصخرة كاد يتدحرج إلى أسفل الجبل، تماسك وثبت نفسه، ضمد جرحه بسرعة. أدرك أن المحنة تضاعفت والصراع عنيف. أفزعه ذلك الموقف كثيراً، لم يعد الأمر شيئاً يحاك في الظلام بل المكر بدأ يتخذ صورة جريئة تتم في وضح النهار وعلى مرأى من الناس. شاهد من يطعن في الخلف ومن يطعن في الأمام، أسلوب من أساليب الخيانة، تعلّم درساً جديداً. كرر صعود الصخرة، التفت خلف ظهره حذراً، كرر الالتفات، زاد ترقبه. في الأخير صعد الصخرة بنجاح فإذا هو يجد نفسه يصل إلى محطة كبيرة كتب عليها «منتصف الجبل».

كانت محطة منوعة بأنواع من أشهى الأطعمة والأشربة وشيء من الكماليات، وتتميز بروح من النشاط الاجتماعي بين أفرادها. بقي الكثير من الذين صحبوه في تلك المحطة، استقروا هناك، نصحوه بعدم المواصلة، خافوا أن يخسروا الكثير والكثير. نادته نفسه بالمكوث ولو قليلاً لكنه لم يستجب لها. إيمانه وإصراره يدعوانه للاستشراف للأعلى.

واصل الصعود وجدّ في المسير تعدى منتصف الجبل، هطل المطر هبت الرياح وأظلمت الدنيا واشتد التحدي كان منظراً مهيباً. كثر الناس الذين يحفرون الحفر ويزرعون الشوك في الطرقات ويضعون الحصى في الظلام، ويرمون بالنبل، ويطعنون من الخلف ومن الأمام، وأعجب ما رآه أن من بينهم أخاً وصديقاً. درسان تعلمها هنا: أن المتربصين أكثر من المحبين للخير وأن الأخ والصديق في يوم ما قد يكونان أكبر عدو، شعر بأنه يخوض معركة عنيفة، زاده الوافر من الإيمان والصبر لم يجعله يفكر بالتراجع. استمر في الصعود، وصل محطة كانت أفضل بكثير من محطة المنتصف وجد مجموعة من الناس ماكثين فيها ليس لديهم النية لمواصلة الصعود قالوا له: القناعة كنز لا يفنى فلا تحمل نفسك ما لا تطيق حاولوا إقناعه بأن الصراع عنيف وأن المقاومة لها حدود.

تردد هل يصعد أم يمكث، اتصل عليه ناصح يستحثه على مواصلة الصعود قال له «ذهب الكثير ولم يبق إلا القليل». كانت نصيحة في محلها، أثارت فيه جانباً كبيراً من العزم والإقدام لم يدم تردده طويلاً، كان طموحه كبيراً وتطلعه للأعلى. أحس باشتداد العزم، وقرر في الأخير أن يصعد خطوات وبالفعل صعد وواصل في الصعود. تعارك في طريقه مع ألوان من البليات والتحديات، كانت تحديات عنيفة ومصاعب مهلكة، تدحرج قليلاً ثم صعد ثم تدحرج ثم صعد، أحس بالإجهاد والتعرق، لبث على تلك الحال يصعد ويتدحرج إلى أن خارت قواه. استمر على تلك الحال فترة من الزمن لكنه في الأخير وصل.

في المحطة التالية وجد جمهرة كبيرة من الناس ساكنين، دعوه للسكنى معهم، كانت نفسه تراوده بشكل ملح، استجاب لنداء نفسه، جلس معهم، طال مكوثه في تلك المحطة، شعر بأن هذا موضوعه الذي يناسب قدراته من التحمل. أجمل ما في المحطة أن صفوة أقرانه يسكنون فيها، عاش معهم حياة هادئة وهانئة ملؤها الحب والصفاء. بعد بضع سنين جاءه عرض لمكان شاغر من سكان المحطة العليا يدعونه إلى الانضمام، احتار في أمر نفسه، هل يقبل هذا العرض أم يرفضه.

إنها فرصة لا تتكرر، لم يكن ضعيفاً لحد يمنعه من الصعود، استعاد توازنه واسترد نشاطه خلال بقائه في تلك المحطة، استشار من حوله في مواصلة الصعود. كانت الآراء متباينة، تاقت نفسه للصعود، عزم على الصعود. ردد قول الشاعر :

«ومن يتهيب صعود الجبال..

يعش أبد الدهر بين الحفر»

بدأ بتسلق الصخرة الأولى، كانت كبيرة جداً بذل مجهوداً شاقاً لكنه تجاوزها، لم تكن هي الوحيدة بل تبعتها صخور أخرى أكبر وأكبر، أحس بالإرهاق، همّ بالرجوع إلى مكانه الذي سكن فيه، تراجع بالفعل قليلاً، جاءه اتصال هاتفي يستنهضه لمواصلة السير قال له: «ذهب الكثير ولم يبق إلا القليل». لم يعد وقع تلك الكلمات كما كان وقعها في الماضي. المحنة صعبة والتحدي كبير، والأعداء كُثر. التفت إلى أفراد كانوا يسيرون معه وجدهم يستطيعون الصعود، تفحصهم جيداً، لم يكونوا يتساوون معه في الظروف، وجد منهم من يستمد المدد من الوجهاء والنظراء لكنه لم يكن كذلك. ووجد منهم من يستمد المدد من ثرواتهم لكنه كان ميسور الحال. ووجد منهم من يستمد مدداً من إخوانهم وزوجاتهم وأقربائهم لكنه لم يكن كذلك. وجد منهم من يستمد حصافة الرأي ممن يسكن أعلى الجبل لكنه لا يعرف أحداً هناك. بدأ يقارن وضعه وظروفه بظروف من صعد، تلك المقارنات أضعفت من عزمه وأوهنت اندفاعه. لم تكن الظروف متماثلة، كانت محصلة المقارنة أن ظروفهم أفضل منه وأن عليه الانسحاب.

قرأ المعادلة من جديد، ليس له خيار إلا أن يصارع ويكابد. تحامل على نفسه وألزمها مواجهة المواجع، تقدم إلى الأمام خطوة بعدما أصيب بضربة موجعة من الخلف سال دمه منها، تحمل ألم الضربة، تقدم خطوات أصيب بضربة أخرى، تحمل ألمها، وقف ثم تقدم وتقدم، جاءه اتصال «ذهب الكثير ولم يبق إلا..»، أكمل العبارة ساخطاً «القليل». لم تعد تنفع تلك النصائح.

وبعد جهد جهيد وصل المحطة بعدما انغمر جسمه بالعرق والدم. توقع أن تكون المحطة الأخيرة لكن لم تكن كذلك، عزم بشكل لا تردد فيه على السكن فيها مهما كان.

كانت محطة جميلة تفوق في الحسن المحطة السابقة، وأعجب ما فيها أن ساكنيها لديهم عشق للقراءة والاطلاع، حبهم لمعرفة الجديد أشد من حبهم للأكل والشرب. قرر أن يستقر فيها، لقد أضعفه طول الصراع وقضى على صبره فلا يريد أن يسلم نفسه للمهاوي، بحث عن مكان شاغر، المفاجأة التي واجهها أنه لم يجد مكاناً خاليًا للسكن. رغمًا عن أنفه إما أن ينزل محطتين أو يصعد محطة. اتخذ القرار بسرعة عندما علم أنه لم يعد إلا محطة واحدة هي المحطة الأخير. زاد طعمه، إنها القمة، قمة الجبل، جعل الرهان على محطة القمة.

غادر تلك المحطة مرغماً، لمح صخرة ضخمة تفصله عن القمة، قارن حجمه بحجمها، لا يوجد شبه، توقف عندها ولم يكن بينه وبين القمة إلا تلك الصخرة العملاقة. جاءه اتصال يشجعه على المضي دون تردد، قال أحدهم «راح الكثير..» لم يدعه يكمل عبارته، رد بصوت غضوب «وما بقي إلا القليل»، لم يدع سماع تلك العبارة. لقد لازمته فترات طويلة. لم يعد الأمر قليلاً، بل هو أكثر من الكثير، تساءل وهو في شك. هل سيأتي الذي سينقضي فيه هذا القليل الذي يقولون!. اتصل عليه أبوه وقال له: «لا تكن مثل رضاخ العَبَس». لم يفهم كلمات هذه الجملة، لكنه فهم المعنى، لم تكن مشكلته تتمثل في «عبسة» واحدة، ولم تكن تتمثل في حصاة أو صخرة بل أمامه جبل بأكمله. ولم يكن جبلاً خاليًا، بل جبلاً يتربص حوله ذئاب حقيقية وأخرى بشرية، جميعها تتحين فرصة صعوده لتنقض عليه. تمنى لو شاهد الناصحون له حجم تلك الصخرة وشراسة الذئاب التي تطوف به. الحقيقة أنه مهما شرح لهم فلن يقتنعوا، ومهما وصف لهم فلن يتصوروا أن أحاسيس الذي يعيش داخل المشكلة ليست مثل أحاسيس الذي يعيش خارجها.

تمنى لو نام قليلاً ليسترد أنفاسه ويستعيد طاقته، تلك الذئاب لم تدع له مجالاً لكي ينام أو يستريح فإن استرخى خلبته وإن غفا نهشته وأضعفت من قواه. لم يكن أمامه إلا خياران: إما أن ينزل من موقعه ذاك درجتين إلى الأسفل بمحض إرادته ويبتعد عن موقع الذئاب، وإما أن يصعد تلك الصخرة. الكل يناديه للصعود، وإن كانوا أقل منه منزلة، سمع من يهاتفه «ذهب القليل».. لم يستحمل، لم يرد هذه المرة، فأغلق الخط. نفسه تارة تناديه بالنزول والعيش مع الطبقة التي تدنو منه، وتارة أخرى تناديه بالصعود إلى الأعلى. لم يستطع أن يتخذ قراراً سريعاً، ظل في مكانه ذاك وقتًا ليس بالقليل معرضًا نفسه لنهشة الذئاب. تطور الأمر إلى الأسوأ وإذ بدأت التخيلات والهلاوس تنتابه فيتخيل أنه يسقط وهو لا يسقط وأنه يرمى من الخلف وهو لا يرمى. لقد أفقده هذا الصراع المرير قدراً كبيراً من قواه وتوازنه النفسي. تزايد الكدر من طول هذا الصراع، لابد أن يتخذ القرار أو يعيش حياته في ظل هذا الصراع العنيف. بعد دوامة من التفكير، اتخذ القرار، إنه الآن يجازف إنه يقامر، إما أن يكسب الكثير والكثير، وإما أن يخسر الكثير والكثير. كان أصعب قرار اتخذه في حياته هو أن يصعد الصخرة!.

أدخل يديه الاثنتين في نتوء بأعلى الصخرة، شد بيديه ليرفع جسمه إلى الأعلى، أسند رجله اليمنى على وسط الصخرة، تمكن من التحكم بتوازن جسمه، سحب نفسه إلى الأعلى قليلاً. لاحظه ذئب من الذئاب وهو يتحرك بالصعود، كان أشرسهم وأقواهم، أسرع بالتوجه نحوه، اقترب منه، عضه الذئب في رجله اليسرى التي تكاد ترتفع عضة قوية صرخ من شدتها، اختل توازنه. تبع الصرخة بصرخة أخرى عنيفة، أحس بإحساس غريب صرخته الثانية أشعلت في نفسه بواعث جديدة وأوقدت في دمه طاقة فياضة. قال بصوت مزمجر يسمعه القاصي والداني:

وإن لم يكن إلا الأسنة مركبًا

فما حيلة المضطر إلا ركوبها

تشبث بيديه بأقصى قوة بأعلى الصخرة، حاول التخلص من الذئب. لم يكن الأمر سهلاً، شدّ يديه بقوته

الإضافية: قواه التي بدأت تبعث للحياة من جديد، رفع رجله اليسرى بطاقة جبارة والدم يسعر منها، شعر بالألم لكن قواه التي انبعثت خففت عليه من وطأة المواجهة، رفع رجله إلى الأعلى لم يتركه الذئب، تعلق الذئب برجله. شدّ نفسه إلى الأعلى مرّة أخرى. استعان برجله الأخرى، ضرب الذئب برجله ضربة قوية لم يعهدها من قبل. انفكت أسنان الذئب من رجله وتبع الضربة بضربة أخرى. سقط الذئب على أثرها وصاح صيحة مجلجلة، تهاوى الذئب من أعلى الجبل. كان منظراً مهيباً أفزع الذئاب الأخرى، لم تجرؤ الذئاب على الاقتراب منه، أدركوا حجم قوته. صعد أعلى تلك الصخرة، رفع رأسه فوجد نفسه في قمة الجبل. هاله منظر سقف الجبل ومن يسكنه. شاهد ثلة قليلة من الناس يسكنون قمة الجبل، لم يستغرب قلتهم فقد تعذبوا وصبروا وصابروا الآن هم في أحسن نعيم، يفترشون أرضاً من الحرير، ويجلسون على عروش عظيمة، يحيط بهم الورد والرياحين. ما أعجبه أكثر هو نسيم الهواء النقي الممزوج بالعبير. كانوا يستنشقونه ويفيض على الروح تناسيم من السمو والانشراح. وأعجب من هذا أنهم لم يعد يشق عليهم عمل أي شيء، وما أن يتمكن أحدهم من الجلوس على عرشه المعدّ له حتى ينسى آلامه كلها، وتندمل جراحه، بل إنهم ليتسلون بقصص الماضي المريرة، لقد تحول طعمها المرير إلى وجبة حلوة المذاق.

هاله منظر ثلة الثلة المنعمة، وحق لها أن تنعم بعدما بذلت الغالي والنفيس في تسلق ذلك الجبل الأشم، عرف عرشه الذي ينتظره ومكانه الذي حجز له، لم يعد يحتمل المشهد، همّ بالانضمام إلى تلك الثلة، رفع رجله اليمنى ليصعد وكان أمراً سهلاً، أسند رجله الأخرى على حجر صغير يفصل بين الصخرة وقمة الجبل، تدحرج الحجر الصغير فزلت قدمه، لم يأبه لتلك الحركة كان حجراً تافهاً لم يعره أي اهتمام. كان في الجانب الآخر أحد الذئاب يراقب حركته، استغل الذئب هذه الزلة انقض على موضع جرحه الذي يثعب دماً، رفع رجله ليخلص نفسه من قبضة الذئب، لم يعد يقوى على عمل أي شيء فقد كان منظر العظماء أنساه نفسه، لا يريد أن يقاوم، يريد أن يصل إلى القمة يريد أن ينظم هذا لتلك الثلة والسلام. خارت قواه تدريجياً لم يعد يقدر على حمل جسمه، زلت قدمه الأخرى تمسك بيده بسفح الجبل لم تعد يداه تحملانه. قشة قصمت ظهر البعير. أومأ بيده إيماءة يودع بلا رجعة تلك الثلة المنتقاة. انهار جسمه، تدحرج من أعلى الجبل. لم يكن تدحرجه هذه المرة خطوة واحدة أو خطوتين للخلف، بل كانت خطوات عديدة، تساقط ثم تساقط تهتكت أنسجته تكسرت عظامه لم يع نفسه إلا وهو في قاع الجبل.

استقر به الوضع عند أسفل سافل من الجبل، وتحديداً عند شفا حفرة كبيرة وعميقة قد لاحظها من قبل إنها «مقبرة المنحوسين»، ومن أسفل منها شاهد اللوحة ذات السهم التي كتب «جبل الحياة». ظن أن قدره ومكانه الأخير في حفرة المنحوسين. أطلّ برأسه في تلك الحفرة فوجد أناساً قد شاهدهم من قبل، لم يتذكرهم في البدء: آه، عرفتهم، إنهم من نسميهم بالمجانين، أدرك أن بعض المجانين كانوا في يوم ما عند سفح الجبل، همّ أن يقذف بنفسه في تلك الحفرة فلم يجرؤ، هناك بقايا من الإيمان تنبض أمسكته عن التهاوي، فضّل أن يتمدد بجانب الحفرة ينتظر القدر ليهوي به صريعاً. تذكر قول الشاعر: فإذا رجوت المستحيل فإنما... تبني الرجاء على شفير هار.

مسكين، انبرى منه شعور العظمة والخيلاء وحل محله شعور الخنوع والخوف، وانبرى منه شعور البهجة والزهو وحل محله شعور البؤس والكآبة. حاول أن يتخلص من سالب المشاعر، لم يستطع، تزايد الشعور بالحسرة والندم، لم يعد يقوى على شيء. حاول أن يجري كما كان يجري في هذا المكان، لم يقو، حاول أن يمشي كما كان يمشي، لم يعد يطيق. حاول أن يدندن كما كان يدندن لكنه لم يستعذب الدندنة. شاهد الكبير والصغير يصعدون جرياً وينظرون إليه نظرة تعجب. تذكر ذلك اليوم الذي أبدى استغرابه لمن كان يمشي أو يزحف. تذكر قديماً استغرابه عن سبب سقوط بعض الناس في تلك الحفر. الآن فهم السبب جيداً. استرجع ذكرياته السابقة مرة أخرى إن هذا الطريق الوعر الذي يمشي عليه الآن قد

مشى عليه من قبل لكنه كان معبداً وقتئذ، الآن اختلف الأمر. ما السر؟ أدرك أن ما اختلف هو طريقة نظرته إلى الأشياء.

لم يكن يخطر بباله أن نهاية الصراع تكون بهذه الحال، توقع أنه لو فشل في صراعه سينزل درجة واحدة أو درجتين أو محطة أو محطتين. كان توقعه في غير محله. تمنى لو عاش مع ذويه في منتصف الجبل، أو مع صفوة أقرانه أعلى المنتصف، تحسر كثيراً، لو استقبل من أمره ما استدبر ما حصل كذا، تحسّر على المجد الذي كاد يناله، تحسّر على الشبر الذي يفصله عن الذروة عن المجد عن القمة. بدأت جمل الليتات واللوات تطغى على تفكيره. لم تجد الليتات واللوات نفعاً بل زادت من الآلام والحسرات. «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء».

أحياناً يمني نفسه بأنه على الأقل شاهد حياة العظماء وشم - ولو برهة - رائحة أحاسيسهم، لكنه غالباً ما تغلبه الحسرات والندمات ويظل يندب حظه التعس. لم يستطع أن يتخلص من كابوس الماضي. لم يكن الكابوس يتمثل في صراعه مع الذئاب بل في صخرة وقف أمامها.

لقد أعاد النظر في كل شيء. قرأ شريط الماضي قراءة ملؤها البؤس والكدر. أدرك سبب عجز البعض عن القفز على الحصى. أدرك أن للصبر حدوداً لا يتجاوزها أي مخلوق مهما كان، أدرك أن مدد الأنبياء من الصبر كان من مدد الله، أدرك السبب في تميز بعضهم بطاقة جبارة من الصبر واستحقوا لقب «أولي العزم».

دام فترة ممداً بجانب حفرة المنحوسين منكسر النفس، كئيب الحال، مقطوع الجناح، انهالت عليه الاتصالات، كان كلامهم مكروراً ومملاً، كل الكلام الذي يقولون قد قاله لهم من قبل، ليس في نصائحهم ما يتناسب مع هول الموقف وبؤس المشاعر. جاءه اتصال من جهة لم تعرف نبأ سقوطه يقول «ذهب الكثير».. انهار من تلك العبارة، لم يعد يطيق الرد، قطع الاتصالات ورمى بالهاتف المحمول في مقبرة المنحوسين.

ظل على حالته تلك ممدداً بجانب المقبرة، جرّب أن يزحف بعد عدة محاولات، نجح بزحفة واحدة، ظل يزحف إلى الأمام ببطء شديد، صار يهاب من الحصى الصغير ويعطيها ألف حساب وحساب، يصارعها كما يصارع صخرة القمة، تصرعه أحياناً ويصرعها أحياناً أخرى، كان وهو يصارع يفكر في ماضيه البائس ومحاولاته الفاشلة، لم يعد يستطيع أن يركز ذهنه في مواجهة حاضره الذي أمامه، تشربك تفكيره، تشابكت الخطوط، تداخلت عليه المدخلات والمخرجات. لم يستطع أن يفرق بين الحسن والقبيح فكل شيء صار قبيحاً.

إنه الآن يرى الصخرة الصغيرة على أنها جبل أشم، يهاب كبرياءها، لا يقترب منها بل لا يفكر أن يقترب منها، ظل بقية حياته يزحف ويسقط ويتقدم. أعلى طموح يسعى إليه الآن هو أن يصل إلى حيث منتصف الجبل.

عندما قربت نهايته توقف عند صخرة تدنو من منتصف الجبل لم ينو صعودها بل ليودع سكان الجبل بأكمله، جسده كله يتصبب عرقاً. أخرج قلمه وكتب قصة بعنوان «السقوط من أعلى السفح» ثم عدله إلى عنوان «حياة عظيم» تحسر فيها كثيراً على ما فاته، قال في إهداء تلك القصة: «إلى كل سكان الجبل ما عدا سكان القمة، إلى كل مناضل رفع رأسه عند قمة المجد فتساقط وإلى كل ثري وصل ذروة الثراء فتهاوى، إلى كل بريء ألبس تهمة فسجن، إلى كل سليم دُس له مخدر فأدمن، إلى كل المكتئبين، إلى كل المحبطين، إلى كل المنحوسين... أهدي هذه القصة». في نهاية القصة سرد قائمة بعظماء التاريخ، وضع نفسه ومن هم على شاكلته في رأس القائمة. أجرى مقارنة بين من هم على شاكلته والعظماء الحقيقيين. قال: إن تلك الفئتين صعدتا الجبل وكلهم تساووا في مستوى النضال، إلا أن العظماء المشهورين استمتعوا كثيراً بمذاق هوس النصر والفئة الأخرى لم تذقه. وقع قصته باسم مضمود الجراح، لم يجد أفضل من أن يختتم قصته بقوله تعالى: «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين».

ملاحظات حول حوار الخطاط الياباني هوندا

حوار

الخطاط الياباني الدكتور فؤاد هوندا

يعجبني قول ابن مقلة: الخط هندسة روحانية بآلة بشرية

شكرًا على اهتمام «الفيصل» المجلة الثقافية الطيبة بتغطية موضوعات مهمة عن اليابان والثقافة اليابانية، وهذا - بلاشك - جهد وافر لتعريف القارئ العربي بالجانب الثقافي لليابان، بعيداً عن الاهتمام بالتقنيات والصناعات، وغير ذلك من أمور مادية. وكان آخر ما نشرته الفيصل عن الموضوعات التي تخص اليابان يتعلق بحوار مع الأستاذ الياباني هوندا سنسيه الذي ذاعت شهرته اليوم في أنحاء اليابان بقدرته الفائقة على الإبداع في الخط العربي بأسلوبه القديم والحديث، بل في التجديد أيضًا لهذا الفن مستوحيًا مشاعره من البيئة اليابانية.

ويبقى لي تعليق على الحوار أحسبه يستحق اهتمامكم، وربما لا يستحق النشر.

فقد جاء في الحوار أن الخطاط الياباني هو الدكتور فؤاد هوندا، والحقيقة أن هوندا سينسيه حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية، قسم اللغة العربية، ولم يشأ أن يواصل تعليمه العالي، ولم يحصل على أي شهادة بعد الليسانس، وهذا لا يقلل من قدره، ففي اليابان لا يهتم معظم الدارسين بالحصول على الشهادات، ويمكن لمن يحمل الليسانس أن يعين أستاذًا أي بروفسوراً إذا ما كان له مؤلفات مطبوعة في مجال تخصصه، ولا يضاف إليه لقب دكتور.

والأستاذ هوندا رجل عصامي يهوى الخط العربي ويعشقه، وقد علّم نفسه بنفسه، ولم يدرس على كبار الخطاطين في العالم الإسلامي، كما جاء في الحوار الذي نشرته الفيصل (ص ١٠٧)، وقد ألمح هو نفسه إلى ذلك (آخر ص ١٠٧ وما بعدها)، كما أنه لا يدرّس اللغة العربية ... كما جاء في الحوار، بل يدرّس الخط العربي، ومن بين طلابه من لا يعرف اللغة العربية، لكنه يعشق الخط العربي، وقد أشار هو نفسه إلى ذلك في ص ١١٦ العمود الثاني حين قال: «في الحقيقة أنا أدرّس الخط العربي في الجامعة التي أعمل بها أستاذًا...».

وقد جاء في الحوار أنه درس على يد أستاذ أجنبي من البلاد العربية اسمه الدكتور الصمني مرسل من الحكومة المصرية، وهذه العبارة بحاجة إلى مراجعة، فالأستاذ الأجنبي الذي أرسلته الحكومة المصرية يبدو أنه من مصر، وليس من أي من البلاد العربية الأخرى، وهو أستاذ مصري حصل على وسام من الحكومة اليابانية في نشر الثقافة العربية والإسلامية، واسمه الصحيح هو الدكتور علي السمني (بالسين وليس بالصاد).

وهناك عبارات كانت تتطلب الانتباه والحاجة

إلى المراجعة مثل: .. عندما كنت في السعودية أصدقائي علموني كيفية أداء الصلاة وعادات المسلمين مثل الصيام في شهر رمضان .. إلخ».

وهذه عبارة عجيبة، فهل الصيام في شهر رمضان عادة من عادات المسلمين؟ ربما فهمت العبارة خطأ، فالمعروف أنه فرض، مثله مثل الصلاة والزكاة والحج، وهو لا يمكن أن يكون من عادات المسلمين.

والأخطر من هذا أن الأستاذ هوندا في آخر ص ١٠٩ يقر أنه مسلم يعيش مع زوجة غير مسلمة ترفض أن تكون مسلمة، ويتأسف على ذلك، والحقيقة يمكنه أن يتأسف على عدم إسلام أبنائه، ولكنه لا يجب أن يتأسف على عدم إسلام زوجته إذا كان مسلمًا، وكنت أتمنى أن يسأله من حاوره كيف له وهو المسلم أن يبقي في عصمته زوجة غير مسلمة وليست كتابية؟ فهذا سؤال مهم جدًا بالنسبة إلى اليابانيين، وهذه قضية مهمة بين المسلمين اليابانيين، وتثار كل يوم.

في بداية ص ١١٩ جاء«هناك مركز المسلمين اليابانيين نشيط في تقديم حملات لنشر الديانة الإسلامية في المجتمع الياباني، وهناك يقدمون الندوات والمحاضرات ويدعو الشعب الياباني ... الذي ليس لديه معرفة صحيحة بالإسلام مثلاً كلمة إسلام تذكرهم أول شيء بالإرهاب، وأربع زوجات، والصيام في شهر رمضان، وأعتقد أن هذه المعلومات عن الإسلام ما زالت غير صحيحة...».

كنت أتمنى أن تعيد الفيصل تحرير هذه العبارة لأنه:

أولاً: لا يوجد ما يسمى مركز المسلمين اليابانيين، بل هناك ما يسمى المركز الإسلامي في اليابان، ويهتم بشؤون المسلمين المقيمين في اليابان في الأغلب، وهناك جمعية مسلمي اليابان، وهي تهتم بشؤون المسلمين اليابانيين في الأغلب.

ثانيًا: القول: إن كلمة إسلام تذكرهم بأربع زوجات، والصيام في شهر رمضان أعتقد أن هذه المعلومات غير صحيحة !! كيف؟ ألا يجيز الإسلام الزواج من أربع؟ ! أليس الصيام في رمضان فريضة ؟ ! لماذا هذه المعلومات غير صحيحة؟ !

ولا أدري كيف فات على الإخوة المحررين بالمجلة هذا الخطأ في نهاية الصفحة نفسها ١٩٩ فقد جاء ذكر أن قسم اللغة اليابانية في جامعة الملك فيصل، والمعروف أنه في جامعة الملك سعود، التي كانت تعرف باسم جامعة الرياض من قبل، وليس جامعة الملك فيصل.

وجاءت الفقرة الأخيرة بحاجة إلى مراجعة:

« تتبادل ثقافتان مختلفتان، .... ومن أحسن من ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، أعتقد .. ، جزء قليل من كتب الشعر ... إلخ»، ربما كان المقصود هو نتبادل ثقافتين مختلفتين .. ومن الأحسن ترجمة هذا الكتاب إلى العربية، وهكذا فالعبارة كانت بحاجة إلى مراجعة.

ومع كل ما ذكرته فإن هذا الحوار الجيد قد قدم لقراء العربية فكرة طيبة عن اهتمام اليابانيين بالخط العربي الذي يمثل جانبًا من جوانب الحضارة العربية الإسلامية ... وأنا آسفة للملاحظات التي ذكرتها بصراحة، فقد شعرت بضرورة الإشارة إليها وبخاصة تلك المتعلقة بالإسلام.

ومرة أخرى أشكركم، وأشكر لمجلة الفيصل اهتمامها بالموضوعات الثقافية المتعلقة باليابان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سارة تاكاهاشي

الرياض: ١١٤٥٦ ص ب: ٢٤٧٦٩

جائزة أبها

مليون ريال سنويًا لأربعة فروع
(الخدمة الوطنية - الثقافة - التعليم الجامعي - التعليم العام)

مقدمة من صاحب السمو الملكي الأمير
خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير

فرع جائزة أبها للثقافة (٢٠٠,٠٠٠ ريال) ١٤٢٤هـ
مجالات الجائزة ومقدارها

أولاً: الشعر الفصيح:

ديوان شعري متميز (مخطوط). ويُستحسن وجود بعض القصائد الوطنية

(٣٥,٠٠٠) ريال.

ثانيًا: القصة القصيرة:

مجموعة قصصية متميزة (مخطوطة). ويُستحسن أن يكون بعضها من وحي الوطن.

(٣٥,٠٠٠) ريال.

ثالثًا: الرواية والمسرح:

عمل روائي متميز (مخطوط) وحبذا لو ارتبط بالمسيرة الوحدوية للوطن.

(٣٥,٠٠٠) ريال.

رابعًا: الدراسات الإنسانية والأدبية والعلمية:

بحث تراثي عن منطقة عسير في أحد الموضوعات الآتية (الطراز المعماري، الأسواق الشعبية، نظم الري القديمة) (٣٥,٠٠٠) ريال.

خامسًا: الفن التشكيلي:

ثلاث لوحات لمْ تسبق لها المشاركة، ولا تقل مساحة اللوحة عن ٨٠×١٢٠سم. (٣٠,٠٠٠) ريال.

سادسًا: التصوير الضوئي:

ثلاث صور فوتوغرافية لم يسبق عرضها لا تقل مساحة الصورة عن ٦٠×٦٠سم. (٣٠,٠٠٠) ريال.

شروط وإيضاحات عامة:

١- الجائزة مفتوحة للجنسين من السعوديين وأبناء دول مجلس التعاون الخليجي والعرب المقيمين بالمملكة.
٢- يُستحسن أن تستوفى الموضوعات من تاريخ المملكة وجمالياتها ومنجزاتها لتعميق الانتماء وحب الوطن.
٣- يُفضل أن تتضمن الأعمال الفنية شيئًا من الجديد الذي لم يسبق عرضه.
٤- تقبل الترشيحات من الجامعات والأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون وفروعها بالمملكة ومن المراكز الثقافية المعترف بها ومن الشخصيات الاعتبارية، ويجوز أن يتقدم الفرد بنفسه للترشيح.
٥- تُقدم سيرة ذاتية مفصلة عن المشارك مع صور المستندات والوثائق المثبتة لها.
٦- ترفق ثلاث نسخ من الأعمال المقدمة.
٧- ألا تكون الأعمال المقدمة قد سبق التقدم بها لنيل جائزة أخرى.
٨- الترشيحات والأعمال المقدمة (البحوث - الشعر - الرواية - القصة القصيرة) مع عنوان المتسابق كاملاً بما في ذلك الهاتف والفاكس، ترسل أو تسلَم إلى [نادي أبها الأدبي - ص .ب ٤٧٨ - أبها] هاتف ٠٧٢٢٦٤٢٣٠ - فاكس (٠٧٢٢٦٢١٦٥).

أما (الفن التشكيلي والصور) فتسلم إلى جمعية الثقافة والفنون بأبها، هاتف وفاكس (٠٧٢٢٥١٩٧٢) - في موعد أقصاه نهاية شهر ربيع الأول ١٤٢٤هـ وتتولى أمانة الجائزة فيما يختص بالتحكيم وأي ترتيب آخر، ولا تعاد الأعمال المقدمة في حال الفوز، أما الأعمال غير الفائزة فبالإمكان استعادتها.

والله الموفق،،،



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١٧)

ذو القعدة ١٤٢٣هـ / يناير ٢٠٠٣م

الفائز الأول: **إحسان أحمد سكر ـ إربد ـ الأردن.**

الفائز الثاني: **هدى محمد فتحي أحمد حسن ـ كفر الشيخ ـ مصر.**

الفائز الثالث: **عدنان سيف محمد علي ـ صنعاء ـ اليمن.**

الفائز الرابع: **عبدالهادي ناول محمد ـ الدار البيضاء ـ المغرب.**

الفائز الخامس: **مزنة خضر الصبحي ـ مكة المكرمة ـ السعودية.**

الفائز السادس: **محمد عماد إبراهيم الناطور ـ دمشق ـ سورية.**

الفائز السابع: **ولاء موسى البيلي إبراهيم ـ كفر الشيخ ـ مصر.**

الفائز الثامن: **منى سمير الدجاني ـ عمان ـ الأردن.**

حل مسابقة العدد (٣١٧)

١ـ مساكين أهل العِشقِ ما كنت أشتري
جميعَ نفوسِ العاشقين بدرهم!

قائل البيت هو: نُصيب بن رباح.

٢ـ بنديتو كروتشي: فيلسوف ومؤرخ وسياسي إيطالي. قاوم الفاشية، وعمل على تحرير إيطاليا منها.

٣ـ الأنيمولوجيا: علم الرياح وظواهرها.

٤ـ الكَوْرِيليون: رقم مؤلف من واحد وإلى يمينه ١٥ صفراً في (أمريكا وفرنسا) أو ٢٤ صفراً في (بريطانيا وألمانيا).

٥ـ المشنا: مجموعة القوانين غير المكتوبة التي جمعت نحو عام ٢٠٠م، والتي تشكل أساس التلمود.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢٠)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: وكنت أعيرُ الدمع قبلك من بكى فأنت على من مات بعدكَ شاغله

☐ مالك بن أسماء ☐ الشَمَرْدل بن شريك.

(٢) الحسن الصبّاح:

☐ فقيه مسلم دعا إلى العزوف عن عرض الحياة الدنيا

☐ داعية فاطمي تزعم فرقة سرية متطرّفة تعرف بفرقة «الحشّاشين».

(٣) الصوداليت:

☐ بسكويتة الصودا: يستخدم في إعدادها صودا الخبز وزبدة الطرطير

☐ معدن شفاف ذو بريق.

(٤) الأوبرا الصابونية:

☐ مسرحية إذاعية أو تلفازية مسلسلة تعالج مشكلات الحياة المنزلية.

☐ مسرحية تقام في الصالات الثلجية المغطاة يشترك فيها أكثر من راقص.

(٥) السَّلَوْر: ☐ نوع من الأسماك ☐ آلة موسيقية قديمة.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى:	١٠٠٠ ريال.
الجائزة الثانية:	٧٠٠ ريال.
الجائزة الثالثة:	٥٠٠ ريال.
الجائزة الرابعة:	٤٠٠ ريال.
الجائزة الخامسة:	٢٥٠ ريالاً.
الجائزة السادسة:	١٥٠ ريالاً.
الجائزة السابعة:	(اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).
الجائزة الثامنة:	مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

ص.ب(٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رحلة
في كتاب

أدباء جيل الـ ٢٧ من خلال مراسلات الشاعر الإسباني بيثنته أليكسندره إليهم

صبيح صادق
مدريد - إسبانيا

جيل الـ ٢٧ هو أشهر جيل ظهر في إسبانيا، ليس فقط لألمعية أفراده ونبوغهم، وإنما لما أحاط به من ظروف وتقلبات سياسية قتلت بعضهم وسجنت آخرين، وهرب من البلاد من هرب، وبقي من بقي. واصطلاح جيل الـ ٢٧، أطلق أولاً على الأدباء الذين اجتمعوا في مدينة إشبيلية عام ١٩٢٧م، لتخليد ذكرى الأديب الإسباني غونغورا (١٥٦١-١٦٢٧م) بمناسبة مرور ثلاثمئة عام على وفاته.

وحول هؤلاء الأدباء دارت تسمية (جيل الـ ٢٧) بعد أن انضمّ إليهم آخرون، وأبرزهم: فدريكو غارثيا لوركا (١٨٩٨- ١٩٣٦م)، وبيثنته أليكسندره (١٨٩٨- ١٩٨٤م)، ورافائيل ألبرتي (١٩٠٢- ١٩٩٩م)، وخيراردو دييغو (١٨٩٦ - ١٩٨٧م)، وخورخه غيين (١٨٩٣ - ١٩٨٤م)، وداماسو ألونسو (١٨٩٨- ١٩٩٠م)، وأميليو برادو (١٨٩٩- ١٩٦٢م)، ومانويل التولاغيري (١٩٠٥- ١٩٥٩م)، وبدرو ساليناس (١٨٩١-١٩٥١م).

إلا أن مدلول جيل الـ ٢٧، تطور بمرور الزمن، وأخذ يشمل أصدقاء هذا الجيل وأولئك الذين عاصروهم، أمثال لويس ثيرنودا، وخوسيه بيرغامين، وملجور فرناندث الماغرو، والفنان سلفادور دالي، والسينمائي لويس بيرغامين، وآخرين.

تداعيات الحرب الأهلية

ثم جاءت الحرب الأهلية الإسبانية التي عصفت بإسبانيا من عام ١٩٣٦م، حتى عام ١٩٣٩م، بسبب الاصطدام بين قوات الجنرال فرانكو وحكومة إسبانيا الجمهورية، فحطمت هذا الجيل وفرّقته شذر مذر، فقتل فدريكو غارثيا لوركا في عام ١٩٣٦م، أي عند بداية الحرب الأهلية، وهوأشهر أدباء إسبانياوألمعهم، الذي طالما تغنى بالعرب والحضارة العربية الأندلسية.

وسُجن الشاعر ميغيل أرناندث بسبب معارضته الصريحة للجنرال فرانكو، ومات في السجن. وترك إسبانيا الأديب بيدرو ساليناس ليصبح أستاذاً جامعياً في

VICENTE ALEIXANDRE
Correspondencia a la Generación del 27 (1928-1984)
EDICIÓN DE IRMA EMILIOZZI
EDITORIAL CASTALIA

مراسلات إلى جيل الـ ٢٧
(١٩٢٨م - ١٩٨٤م)
إيرما إميليوزي
مدريد: دار كاستاليا، ٢٠٠١م

الولايات المتحدة، وبورتو ريكو، وكانت وفاته في ٤ ديسمبر/كانون أول عام ١٩٥١م، عن ستين عاماً، ودفن قرب البحر في سان خوان في بورتو ريكو.

اما التولاغيري فقد هرب إلى كوبا، ومنها إلى المكسيك، واتجه إلى العمل في السينما، وتوفي في حادث سيارة عند زيارته لإسبانيا للمشاركة في مهرجان سان سباستيان السينمائي، في ١٦أغسطس/آب عام ١٩٥٩م.

وهرب أيضاً من إسبانيا أميليو برادوس، فعبر الحدود الفرنسية، ثم غادر إلى المكسيك، وهناك عمل في دار للنشر، ولم ير إسبانيا حتى وفاته عن ٦٣ عاماً في ٢٤أبريل/نيسان١٩٦٢م.

وغادر لويس ثيرنودا إلى إنجلترا، وبقي هناك تسع سنوات، ثم سافر إلى الولايات المتحدة، ثم غادرها ليقيم في المكسيك عام ١٩٥٠م، وهناك توفي عن ٦١ عاماً في ٥نوفمبر/ تشرين الثاني من عام١٩٦٣م.

وكان خوان لاريا قد أيد الجمهوريين وهو في باريس، ثم غادر إلى المكسيك عام ١٩٣٩م، وهناك أصدر مجلة «إسبانيا المهاجرة»، وعمل أستاذاً جامعياً، وزار إسبانيا عام ١٩٧٧م، ثم تقاعد عام ١٩٧٨م، وتوفي في قرطبة في الأرجنتين عام ١٩٨٠م.

وحاول الشاعر خورخه غيين الهرب أيضاً، ولكن ألقي القبض عليه ومنع من السفر، ثم استطاع الخروج بعد ذلك عام ١٩٣٩م، وتوسط له بيدرو ساليناس كي يعمل أستاذاً في الولايات المتحدة، ثم أخذ يزور إسبانيا منذ عام ١٩٤٩م، وتوفي في ملقة في ٦ فبراير/شباط عام١٩٨٤م، عن ٩١ عاماً.

وهرب رافائيل ألبرتي إلى فرنسا، ومنها إلى الأرجنتين، ثم إلى إيطاليا، وبقي يتجول بين عدة دول نحو أربعين عاماً بعيداً عن وطنه، حتى اعتلاء الملك خوان كارلوس العرش وإصداره عام ١٩٧٧م مرسوماً بالعفو العام، فعاد ألبرتي عند ذاك إلى بلاده، واستقبل استقبال الأبطال وقال عند وصوله: «خرجتُ وأصابعي مغلولة، وأعود ويدي مبسوطة»، وانتخب عضواً في البرلمان الإسباني، ثم انسحب من السياسة لينعزل في بلدته «بويرتو دي سانتا ماريا» حتى وفاته عام ١٩٩٩م.

ووقف خيراردو دييغو إلى جانب حكومة الجنرال فرانكو، ولم يغادر إسبانيا، وعاش طويلاً أيضاً، وكانت وفاته عام ١٩٨٧م.

ولم يغادر إسبانيا داماسو ألونسو، الذي عمل أستاذاً في جامعة مدريد المركزية، ويعدّ واحداً من ألمع النقاد في إسبانيا، وتوفي في ٢٥يناير/كانون الثاني عام ١٩٩٠م.

أما بيثنته أليكسندره فقد آثر الابتعاد عن السياسة، ولم يترك إسبانيا، كما أنه لم يسافر إلا قليلاً، وحصل على عدد من الجوائز الأدبية، وأهمها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٧م، وتوفي في١٣ ديسمبر/ كانون الأول عام١٩٨٤م.

وتكتسب الرسائل المتبادلة بين أفراد هذا الجيل أهمية كبيرة؛ لأنها تلقي الضوء على علاقة أحدهم بالآخر، وما أحاطها من منافسة وقلق وخصام وتطلعات إلى المستقبل، ومن ثم حنين إلى اللقاء بعد تفرقهم بين البلدان، وعلى الرغم من محاولاتهم المتعددة لإعادة الالتقاء فيما بينهم، إلا أن هذه اللقاءات كانت محدودة .



بيثنته أليكسندره

خفايا الجيل وعلاقاته

وكتاب أليكسندره «مراسلات إلى جيل الـ ٢٧(١٩٢٨ـ ١٩٨٤م)» التي جمعتها الدكتورة إيرما إميليوزي، وصدر عن دار كاستاليا في مدريد عام ٢٠٠١م، ويقع في ٢٨٣ صفحة يشمل الرسائل التي كتبها بيثنته أليكسندره من عام ١٩٢٨م حتى عام ١٩٨٤م، أي: عام وفاة الشاعر، ويلقي الكتاب الضوء على الكثير من خفايا هذا الجيل وعلاقاته. وكما هو معروف فإن أليكسندره كان مريضاً بسبب إجرائه عملية جراحية استأصل فيها الأطباء إحدى كليتيه، منذ بداية الثلاثينيات؛ ولهذا بقي عليلاً، وكان يتوقع أن يموت في أي لحظة، ولكنه عُمِّر حتى عام ١٩٨٤م، وكان لوركا المملوء حيوية ونشاطاً يتوقع وفاة أليكسندره، ويتألم لحاله كثيراً، وكان يحمله بنفسه أو مع داماسو ألونسو إلى المستشفى للعلاج.

تعكس الرسائل حنين أليكسندره الكبير إلى تلك السنوات، سنوات اللقاء بين شعراء الـ٢٧، وحاول التقاءهم فقابل بعضهم، ولم يلتق أخرين حتى وفاتهم كما

هو الحال مع صديق الطفولة وشاعر من جيل الـ ٢٧، إميليو برادو الذي هرب إلى المكسيك، وبقي على اتصال مع أليكسندره عن طريق الرسائل فقط.

في ٦ سبتمبر/أيلول من عام ١٩٢٨م، يكتب إلى صديقه الشاعر فدريكو غارثيا لوركا الذي سيحكم عليه بالإعدام عام١٩٣٦م قائلاً:

«صديقي العزيز فدريكو

أنا هنا في مدينة ميرافلوريس - بلدة قرب مدريد - حيث أقضي الصيف، وقد استلمت نسخة من كتابك «أغان غجرية» وعليه إهداؤك الجميل لي.

أعجبتني كثيراً قصائدك، فإنا من المؤمنين بأن شعرك نسيج وحده، وأنك شاعر عظيم، والآن ليس لي إلا أن أقول وداعاً، لقد قلت فيك ما أملى عليَّ خاطري، نعم هذا ما أظنه، وما أشعر به.

تقبَّل معانقتي».

بيثنته أليكسندره.

VICENTE ALEIXANDRE

VELINTONIA, 3
PARQUE METROPOLITANO
MADRID-3

Febrero 10 de 1978.

En nombre y representación de D. Vicente Aleixandre, que por su enfermedad no puede hacerlo, envío por su encargo su más calurosa adhesión al merecidísimo homenaje que se rinde a José García Nieto.

Atentos saludos,

Jossetz

رسالة إلى بيثنته من أتينتوس

لرسائل أليكسندره قيمة تاريخية واجتماعية، إلى جانب قيمتها الأدبية، وهي توضح العلاقات الاجتماعية الوثيقة بين هؤلاء الأدباء

في ٦ اكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٢٨م، يكتب أليكسندره إلى خورخه غيين، وهو من الأدباء المعروفين في إسبانيا، ويذكّره بأول لقاء له مع لويس ثيرنودا، وهو شاعر إسباني أصبح له فيما بعد شأن كبير، ويتحسس أليكسندره طبع ثيرنودا الحزين منذ ذلك الوقت، وهو طبع انعكس بوضوح على شعره. يقول أليكسندره:

«عزيزي غيين

لقد وصلت للتو من بلدة ميرافلوريس، ولم أقابل أي صديق إلى الآن، ولم يأت إلى البيت غير لويس ثيرنودا، الذي لم أعرفه إلى تلك اللحظة، يبدو أنه سيذهب إلى مدينة تولوز للعمل هناك قارئاً للغة الإسبانية، إنه شاب لطيف، ولكنه حزين، ويغلب على مظهره أنه من إقليم الأندلس..

تقبَّل عناقاً مملوءاً بالشكر من صديقك بيثنته أليكسندره».

في ٢٥أغسطس/آب عام ١٩٣١م، يكتب أليكسندره إلى صديقه داماسو ألونسو، وهو ناقد وأديب ولغوي من جيل الـ ٢٧، وأستاذ في جامعة مدريد المركزية، ومن خلال الرسالة يتضح أن أليكسندره كان وثيق العلاقة به، وكالعادة فإنه يشكو له من سوء صحته، يقول:

«أكتب لك وأنا في الفراش لوعكة خفيفة ألمّت بي، فقد أصابتني الحمّى منذ يومين، ووصلت درجة حرارتي إلى أكثر من ٣٨ مئوية، ثم عادت طبيعية اليوم أشعر بالصداع وكأن عظامي متكسِّرة، ولكن بلا زكام، وهو أزعج شيءٍ عندي».

ثم يتكلم معه عن لقاء في بيت داماسو ألونسو:

«أنا أنتظر أن أكون بصحة جيدة، أو بصحة تامة، وأستطيع الذهاب إلى منطقة ثيرثيديا (وهي المنطقة التي يسكن فيها ألونسو) لنتناول الطعام معاً، في الطابق العلوي، قل لـ «أولاليا» وأقول لك هذا بصدق أن تشتري من السوق ما تشتريه كالعادة يومياً، أو تزيد الكمية التي تشتريها فقط، كي أشاركم في الطعام».

ثم يختم الرسالة:

«إلى اللقاء يا أيها الشاب»

بيثنته.

وفي ٢٢من شهر يوليو/تموزعام ١٩٣٣م، يكتب له فيقول:

«تسلمت قبل يومين طرداً بمطبوعاتك .. أظن ـ بلا مبالغة أو مجاملة ـ أنه لا يوجد ناقد على قيد الحياة أو مؤرخ للأدب مؤهل روحياً أن يقوم بالنقد التاريخي الجدي للأدب مثلك».

وفي ١سبتمبر/أيلول من العام نفسه يكتب ويبدأ بتلقيب داماسو «داماسيتو»، وهو ما يدل على عمق الصداقة بين الاثنين.

في ٦ أبريل/ نيسان من عام ١٩٣٤م يكتب أليكسندره إلى داماسو ألونسو عن وفاة أمه، ويشكو حزنه إليه:

«كم هي جميلة فكرة الحياة في الآخرة، أمل متواضع لاستعادة ما يريده الإنسان:

كان أليكسندره يتوقع أن يموت في أي لحظة فعمّر حتى عام ١٩٨٤م، بينما قتل لوركا وهو في ريعان الشباب

داماسو، إن رسالتك أبكتني؛ لأنها وصلت في وقت دفنها، ماتت وهي تعرف أنها ستموت، ودّعتنا، تقريباً بلا مقاومة قبل إجراءالعملية الجراحية، وذهبت مبتسمة ومستسلمة، وبنظرة كانت تعبِّر عن الوداع، من خلال ابتسامة تقول: إنه ليس هناك من أمل، وقالت لنا: كم أنتم طيِّبون ياأبنائي! أودعكم وأنا مسرورة لإجراء العملية الجراحية.

لا أستمر، داماسو، إلى اللقاء، أنا أعرف أنك كنت تكن لها الاحترام أليس كذلك؟!

إلى اللقاء لك منِّي معانقة شديدة

بيثنته»

وبعد هذه الرسالة بشهر يكتب له حول فدريكو غارثيا لوركا، وكان لوركا لا يزال حيًا، والاثنان في ريعان الشباب والمنافسة، ويبدو أن أليكسندره لم يصدق كل ما يقوله لوركا، كتب في٢ مايو/أيار عام ١٩٣٤م:

«داماسو، فدريكو عاد من القارة الأمريكية، يقول: إنه جمع ٩٠٠٠ دورو «عملة إسبانية» هل هذا صحيح؟ هو الآن يعدّ عملاً درامياً جديداً اسمه «يرما» سيطبعه قريباً.

أخيراً، داماسو سنعيش ما أمكن».

بيثنته.

وفي ٢٤مايو/أيار عام ١٩٣٤م، يكتب إلى الشاعر خيراردو دييغو، معيداً له مسودات كتاب، يبدو أنه المختارات الشعرية لأبرز الشعراء المعاصرين آنذاك، والتي جمعها خيراردو في كتاب، بعد أن يشكره على دعوته له ولفدريكو غارثا لوركا وآخرين لتناول الطعام معًا، يقول:

«عزيزي خيراردو:

أردت أن أتكلَّم معك هذا الصباح، ولكن لم تكن في البيت، ولا أريد أن أشكرك على الطعام اللذيذ في ذلك اليوم، ولا أدري لماذا لم أرك حين تفرقنا فقد كنت أريد أن أودعك، فدريكو طلب مني أن أذهب معه لشراء حاجة، ولكنه بعد ذلك لم يشتر أي شيء، أعيد لك المسوّدات بعد تصحيحها، ولا يعجبني تسلسل القصائد السبع الأخيرة.

يعانقك صديقك».

بيثنته.

ثم يتبعها برسالة أخرى في أول أغسطس/آب من العام نفسه، ينتقد فيها قصيدة ألبرتي «من لحظة إلى أخرى» يكتب إلى خيراردو فيقول:

القصيدة الأخيرة لألبرتي في الحقيقة محادثة بين أصدقاء أكثر منها قصيدة»

وفي ٨ سبتمبر/أيلول عام ١٩٣٥م، يكتب مرة أخرى إلى داماسو ألونسو:

« أحياناً أظن أنني لست أنا وأنني الآخرون، لكنني على علم بأن قلب الإنسان أصغر من أن يحوي هذا العالم».

ويلاحظ أن رسائل أليكسندره انقطعت بين عام ١٩٣٧ حتى ١٩٣٩م، بسبب الحرب الأهلية الإسبانية. ويتّضح من خلال رسائل أليكسندره مدى تعلقه بقصائده، فقد عبر عن ذلك في رسالته إلى صديقه داماسو ألونسو عام ١٩٤٠م، ويشعر كأنها بناته، ويلاحظ أيضًا أن أليكسندره كان معروفًا منذ ذلك الوقت في البلدة التي يقطن فيها، وهي بلدة «ميرافلوريس دي لاسييرا» التابعة للعاصمة الإسبانية مدريد، حيث كان يقضي الصيف هناك، فيخبره بأن لا حاجة إلى كتابة العنوان كاملاً،

وبمجرد ذكر اسم أليكسندره، فإن الرسالة ستصله، ويقول:

«ليس لي أولاد، ولكن أترك قصائد في كتاب، ليس لأنني أحب القصائد التي أكتبها، وإنما أشعر بأنني مندمج معها، كما لو كانت بناتي ومن لحمي.

إليك العنوان:

مدينة ميرافلوريس دي لا سييرا، مدريد، وهذا يكفي»

وتتميز رسائل بيثنته أليكسندره إلى الشاعر الإسباني أميليو برادوس بالبساطة والفكاهة أحياناً. وأميليو برادوس هو من شعراء إسبانيا المتميزين، هرب من إسبانيا عام ١٩٣٩م، بسبب خسارة الجمهوريين الحرب، وكان برادوس يؤيّدهم، فسلّم كل أوراقه وكتبه إلى السفارة المكسيكية في برشلونة، واجتاز إلى غير رجعة الحدود الفرنسية، ثم غادر من هناك إلى المكسيك التي أقام بها حتى وفاته.

قصة طريفة مع أميليو

وقصة أليكسندره مع أميليو برادوس قصة طريفة لا بد من ذكرها؛ لأن أليكسندره كان دائمًا يشير إليها في رسائله وكتبه، وتتلخص في أنهما كان يلعبان معاً، وزميلي دراسة في المدرسة الابتدائية في مدينة ملقة، جنوب إسبانيا، وعمرهما بين السادسة والسابعة، ثم افترقا حتى اشتهر اسم أليكسندره شاعراً، وكان أميليو برادوس شاعراً أيضًا يصدر مجلة أدبية، فبعث برسالة إلى أليكسندره، طالبًا منه المساهمة في المجلة، وبكتابة شيء عن حياته، ولم يدر في خلده أنه عاش طفولته مع أليكسندره، ولم ينتبه أليكسندره هو الآخر أن مسؤول المجلة هو صديق الطفولة في مدينة ملقة، يقول أليكسندره في كتاب له بعنوان «اللقاءات Los encuentros»:

«كنت أصل المدرسة كل صباح، وأجلس على رحلتي، من بين أطفال آخرين، الأطفال الآخرون.. أين هم الآن الأطفال الآخرون؟ ومن هم هؤلاء الأطفال؟ إن ما أتذكره هو اسم واحد فقط، لا يزال متشبثًا بالمصادفة في أذني، طفل أعرف أين هو، ومن كان؟ ..إنه أميليو برادوس. ففي عام ١٩٢٦م، كنت قد ابتدأت بنشر قصائدي في بعض المجلات، وكان رئيس تحرير مجلة (ليتورال)، وهي مجلة الشباب الشعرية في مدينة ملقة قد كتب لي رسالة يبدي رغبته في توطيد العلاقة بيننا، طالباً نشر قصائدي بكل ممنونية، وكان يخاطبني بلفظة «حضرتكم»، ولم يكن أحدنا يعرف الآخر ، ووقع باسم /أميليو برادوس/ فلم يضف الاسم أي جديد إلى ذاكرتي، فأنا كنت قد غادرت مع عائلتي مدينة ملقة وعمري أحد عشر عاماً، ولم أتذكر شيئًا، ولكن عندما كتبت له في الرسالة: «في ملقة عشت طفولتي»، حاول رئيس التحرير، أميليو برادوس أن يستثير ذاكرتي عندما كنت طفلاً، فكتب لي: «قد تكون أنت ذلك الطفل الأشقر الذي كان يرتدي الصدرية الميورقية المقلمة بالأبيض والأزرق،


رافائيل أليرتي


لويس ثيرنودا

في مدرسة دون بينتورا؟»

بالفعل، لقد كنت أنا صاحب اللون الأزرق والأبيض، ولكن أي ألوان بَحْرية! ثم انفتقت فجأة ذاكرة هائلة كموجة فوق صدري، من هذه الموجة برز وجه طفل يطفو ضاحكًا من بين رغوة تلك الموجة: (أميليو)».

من هنا يشعر القارئ من رسائل أليكسندره إلى أميليو برادوس بأنها تأخذ طابعًا عفويًا حيث يتكلم أليكسندره وكأنه لا يزال صغيراً، وكان يركّز باستمرار في رسائله إلى أميليو برادوس في ذكريات الطفولة معه. يكتب له في رسالة بتاريخ ١١يوليو/ تموزعام ١٩٤٧م:

«عزيزي الغالي أميليو:

تجدني هنا دائماً معك وضد الزمن، كما هو الحال منذ سنين طويلة، عشرون عامًا، وإذا ما عشنا أطول فعشرون أخرى، وهناك أجدك أنت متى سألتقيك؟

كم أميليو لدي وكل أميليو بالنسبة إلي هو أنت، ملقة،

مدريد. مدينة ملقة تلك المدينة الساحرة عندما رأيتك أول مرة.

ثم يختم رسالته قائلاً: أميليو وداعاً، وداعاً اليوم، أين أنت؟ في أي مكان تقرأ لي؟ في أي مكان تذكرني؟ هل لا تزال تتذكرني؟

في الممات وفي الحياة معك.

بيثنته اكتب لي».

ثم في رسالة أخرى بتاريخ ٢٧ أبريل/نيسان عام١٩٥١م، يكتب لأميليو برادوس رداً على رسالة عاتبة فيها، واتهمه بأنه قد نسيه، يقول أليكسندره رداً عليه:

«عزيزي الغالي أميليو

... نحن الاثنين معاً حتى الموت، وأتمنى أن نكون كذلك حتى بعد الموت أيضاً.

أنت تظن أنني نسيتك، ولم أعد أحبك، كيف تظن أن هذا ممكن؟ فأنا لا أنساك أبداً أبداً. مادمت حياً فأنا لا أستطيع أن أنساك».

وفي ١٧ سبتمبر/أيلول من العام نفسه، يكتب له ليبيّن له ضرورة أن يلتقيا، بعد هذا الفراق الطويل خاصة بعد أن أخذت فكرة الموت تسيطر على أليكسندره:«أتمنّى أن أذهب لزيارتك إلى هناك (المكسيك) فأنت لا تأتي إلى هنا (إسبانيا) لتراني، سوف أموت قبلك بوقت طويل ... ولكن سواء تراسلنا أم لم نتراسل فنحن معاً دائماً.. أميليو إلى اللقاء لتبق عيناك واضحتين .. أحبك وأعانقك، وأتمنى أن نستمر في محادثاتنا، واعلم أن بيثنته سيبقى بخدمتك دائماً».

هناك أيضاً رسالة إلى الشاعر بدرو ساليناس، وهو من شعراء جيل الـ ٢٧ المعروفين،غادر إسبانيا للعمل في الولايات المتحدة، وكان بيثنته أليكسندره يشتاق إلى رؤيته، ويدعوه إلى العودة إلى إسبانيا، يقول في ٢٦ سبتمبر/أيلول عام ١٩٥١:

«عزيزي بيدرو

منذ وقت طويل وأنا أود أن أكتب لك، الوقت يفلت من أيدينا مسرعاً، كم هو سيئ هذا الزمان، فنحن هنا نحتاج إلى مسرحك، ودائماً أفكر في زيارة القارة الأمريكية، ولكني إلى الآن لا أتجرأ على ذلك، إذ إن هذا يتطلب زيارة عدة دول، وهذا سيكون مرهقاً جداً لي».

ثم صادف أن يتوفى ساليناس بعد هذه الرسالة، فيكتب أليكسندره في ١١سبتمبر من عام ١٩٥٣م، إلى صديق الطفولة أميليو برادوس، السابق ذكره قائلاً:

«عزيزي الغالي أميليو:

أنت تعرف أن الوقت لا يمكن إدراكه، ويهرب منا دون أن ننتبه، فأنا أشعر كأنني أكتب لك في كل يوم، فنحن نحتاج إلى فدريكو (غارثيا لوركا)، فقد كان مثلنا، لقد توفي بيدرو ساليناس، هل تعرف؟ فهو الأول الذي يموت من مجموعتنا، طبعاً إذا لم نأخذ في الحسبان فدريكو، ذلك أنهم قتلوه لنر من الذي سيكون الثاني منا الذي سيلحق بساليناس، وبذلك سيحتل رقم ٣، فإذا ما متُّ أنا فلا تنسني ...

الحرب الأهلية الإسبانية، عصفت بجيل الـ٢٧، فقتل لوركا، وسجن آخرون، وهرب منهم من هرب، وابتعد أليكسندره وألونسو عن السياسة، وبقيا في إسبانيا



بيثنته وثيرنودا ولوركا (مدريد عام ١٩٣٣م)

أنت تعرف أنني أحبك بالقدر نفسه دائمًا وحتى النهاية، تمامًا كحبك لي، تقبَّل معانقتي الملأى بالمحبة تمامًا كما لو كنا طفلين هناك، وكذا في الشيخوخة، إذا ما قدر لنا الوصول إليها».
المخلص بيثنته.

مع خورخه وأميليو

وعندما بدأت مناقشة قضية الرسائل المتبادلة بين جيل أدباء الـ ٢٧، كتب بيثنته أليكسندره، في ١٢فبراير/شباط عام ١٩٥٤م، إلى خورخه غيين، وهو من شعراء جيل الـ ٢٧، وخرج من إسبانيا للالتحاق مع بيدرو ساليناس في الولايات المتحدة، كتب له عن مراسلات أدباء جيل الـ ٢٧، وضياعها، وأبدى حزنه لما أصاب هذا الجيل:

«عزيزي خورخه

.... لقد ودَّعناك في محطة قطار الشمال قبل أربعة أشهر، وأظن أن زيارتك القادمة إلى إسبانيا ستكون في صيف عام ١٩٥٤م،

أرى أنك تجمع رسائل من كل السنوات لا على التعيين قبل عام ١٩٣٦م، أما أنا ـ للأسف ـ فقد أضعت كل الرسائل التي وصلتني قبل هذا التاريخ، ولدى ألونسو (داماسو ألونسو) مجموعة كبيرة لفدريكو، منذ عام ١٩١٧م، الحقيقة أنني لا أستطيع أن أتذكَّر هذا الموضوع دون أن أصاب بالانهيار.

إلى اللقاء يا خورخه، لا تنسني وواصلني بأخبارك متى ما تستطيع، عناق كبير من بيثنته».

في ٩ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٥٤م، يعود أليكسندره ليكتب إلى صديق الطفولة أميليو برادوس، ويذكِّره فيها بمدينة ملقة التي ترعرع فيها، حيث إن أميليو برادوس من ملقة، بينما أليكسندره من إشبيلية، ثم انتقلت عائلته إلى ملقة للإقامة هناك، ويتعرض أليكسندره في الرسالة أيضًا إلى إهدائه كتابه «منتخبات شعرية» بعنوان «قصائد فردوسية» Poemas Paradisiacas، فقد جاء في الإهداء ما يأتي: إلى أميليو برادوس رفيق الطفولة في مدينة الجنة [يقصد مدينة ملقة].يكتب أليكسندره في رسالته:

« أنت تناديني بالإشبيلي، ولكن أنا أصبحت ملقي [نسبة إلى ملقة] منذ صغري.

REAL ACADEMIA ESPAÑOLA

Madrid 28-10-61

Sr. D. José García Nieto
Madrid

Mi querido Pepe: Muchas gracias por esa visita malagueña y la parte principal que me toca en lo de la lápida, incluso con el detalle conmovedor de tus niños. Coronado todo por el recuerdo cariñoso en tu precioso artículo. No lo había visto y te agradezco también el envío.
Por todo, reconocido de veras, un fuerte abrazo de tu viejo amigo
Vicente

أهم ما يميز رسائل أليكسندره هو أنه كان على الرغم من مرضه قنوعًا صاحب أمل كبير في الحياة، ولم يندم على عدم تركه إسبانيا

أميليو: عندما كنت في ملقة، قبل خمس سنوات كنت أتخيَّل أنك معي ضاحك مبتسم ابتسامة كتلك التي رأيتها عندما وصلت إليها عام ١٩٢٩م، إلى ذلك الفندق الذي لم يعد قائماً ... هل تتذكر؟

أنا الآن في هذه الحديقة الصغيرة في بالينتونيا، وكما هو الحال دائماً، أكثر كهولة، ولكنني مستعد للعيش ما أمكن كي أراك.

ذكر لي لويس أن مانولو (التولاغيري) ولد له حفيد ... يا إلهي !.. لقد شعرت، عند قراءة هذا الخبر فعلاً بتأثير الزمن، فنحن كلنا داخل هذا التيار الجارف، وكلنا متعانقون ومجتمعون ومحمولون معاً، يبدو كأننا لم نتحرك، فنحن لم نتحرك يا أميليو، وسوف يحملوننا حتى المصب. هل تتذكر عبارة «ماء ليس له مصب؟» ولكن هذا التيار نعم له مصب ... إلى اللقاء يا أميليو إلى اللقاء ... إلى أن يحملنا التيار إلى المصب دون أن نشعر، وهذا حسن المخلص».
بيثنته.

في ٢٨ فبراير/ شباط عام ١٩٥٤م، يكتب أليكسندره إلى صديقه خورخه غيين، فيتحدث معه عن جيله جيل

الـ٢٧، وكيف أن الشاعر خوان رامون خيمينيث أراد التقليل من أهميتهم ثم يتحدث عن طلب إيزابيل غارثيا لوركا، المعروفة باسم إيزابيليتا، وهي أخت الشاعر فدريكو غارثيا لوركا، وقد عمّرت حتى يناير/ كانون الثاني عام ٢٠٠٢م، وكانت إيزابيل طلبت من أليكسندره عام١٩٥٤م، رسائل أخيها التي أرسلها إليه، وكما هو معروف، فإن إيزابيل هي الأخت الصغرى للشاعر لوركا، وكان لها منزلة كبيرة لدى الشاعر الغرناطي،


بيثنته وحميمية العلاقة مع زملائه الأدباء

ويحتفظ أرشيف لوركا بصورة له وهو فتى، وقد وضع أخته إيزابيل وهي طفلة في حضنه، وبعد مقتل أخيها غادرت هي وعائلتها إلى الولايات المتحدة، ثم عادت بعد ذلك لتجمع تراث لوركا، وأخذت تزور أصدقاء أخيها، كي تجمع الرسائل التي كتبها لوركا لهم، ومنهما أليكسندره، ويشير أليكسندره إلى هذا اللقاء عند زيارتها له مع أديبة إسبانية هي مارينا روميرو المولودة في مدريد عام ١٩٠٨م، وهي الأخرى غادرت إسبانيا عام ١٩٣٩م، ثم عادت إلى مدريد بعد ٣٥عاماً. يقول أليكسندره في رسالته المؤرخة في ١٨فبراير/ شباط عام ١٩٥٤م:

«عزيزي خورخه ..

أفكّر فيك، في أنتونيو ماتشادو، في نيرودا، في ساليناس، فيَّ أنا، في كل هذه المجموعة التي أراد خوان رامون خيمينيث هزيمتها.

زارتني قبل أيام، إيزابيليتا مع مارينا روميرو، ودار حديث شائق بيننا. بالمناسبة فإن إيزابيل طلبت مني المسوّدة الأخيرة للمقدمة التي كتبتها حول لوركا، وطبعت عام ١٩٣٧م، وذلك لإدخالها ضمن المجلّد الضخم حول لوركا، الذي كتبت أنت مقدمة له، وكانت تظن أنني رفضت تسليم المقال، ولكني في الحقيقة لم أتسلم أي طلب في هذا الشأن.

داماسو قال لي: إنك الآن أحسن من أي وقت مضى، هذا رائع طبعاً. إلى اللقاء يا عزيزي خورخه، إلى لقاء قريب. ومعانقة شديدة منْ بيثنته».

في ١٦ سبتمبر/ أيلول عام ١٩٥٤م يكتب بيثنته أليكسندره إلى أميليو برادوس، رفيق الطفولة، ويلاحظ أنه يتكلم معه بخليط بين الجد والهزل، عندما عاتبه أميليو بأنه لا يكتب له.

وفي الرسالة نرى أن أليكسندره يظن أنه سوف لا يعيش طويلاً، بسبب تدهور صحته المستمر، ولكن مع ذلك يقول: إنه سعيد؛ لأنه قد حقق ما كان يصبو إليه في كتابة ما كان يريد أن يكتب، ويصرح لأميليو بأن هذا الشعور كان يصاحبه إذا أتم كتاباً جديداً، يقول:

«عزيزي الغالي:

اسكت فأنت شخص سيئ تقول: أنا لا أكتب لك، أنا أكتب لك دائماً، أنت - يا أميليو- ستكون الشاهد الأخير والأقدم، أنت الأول، وستكون الأخير أيضاً، أما أنا فلا أظن أنني سأعيش كثيراً، بل لا أريد، ولكن لماذا؟

الكتابة و عدم الكتابة أصبحا الشيء نفسه عندي، أنا سعيد؛ لأنني كتبت «تاريخ القلب» ١٩٥٤م، Historia del Corazon، ومحتمل أنني قلت الشيء نفسه عندما طبعت كتابي «تدمير أو الحب» ١٩٣٥م، -Destruc cion oelamor. هذا طبعاً عندما كان عمري بضعة وثلاثين عاماً، ولا يختلف هذا عما قلته عندما أتممت كتابي «ظل الجنَّة» ١٩٤٤م، Sombra del Paraiso.

طيب أميليو تصرَّف جيداً، واستمر على هذا الحال، وواصل معي، وكن هادئاً، وليكن في علمك بأنه منذ «دون بينتورا» (المدرسة التي درس فيها أليكسندره مع

أميليو برادوس معًا في صف واحد أيام الطفولة) حتى الموت، فإن كل ما حدث هو لا شيء.

إلى اللقاء تقبَّل عناقي، ولا تتركني، فأنا أعانقك كما كنت سابقًا

بيثنته».

ثم في رسالة أخرى له في ٨ أكتوبر/ تشرين الأول من عام ١٩٥٧م، يكتب له متذكِّرًا طفولته مع أميليو برادوس، ويبدي خوفه من السفر الطويل، وبشعوره بأنه سيموت قبل أميليو:

«عزيزي الغالي أميليو

كتبت قبل فترة ترجمة حياة قصيرة نثرًا باسم «أميليو برادوس طفل من ملقة»، ستطبع في كتابي «اللقاءات»، وسوف أرسلها إليك عندما تصدر، يعجبني السفر إلى المكسيك لأراك، ولكنها سفرة طويلة بالنسبة إليَّ، في شهر مايو/آيار كنت في جزر الكناري، لإلقاء محاضرة ولكن العبور إلى القارة الأمريكية يخيفني. إذا تمتعت بصحة أفضل فسأطير لأراك، يا صديق الطفولة القديم أميليو. قد لا أصدق، فأنت تقول دائمًا: قد تقدم بك العمر، ولكنك ستدفننا جميعًا.

معانقة شديدة كتلك التي بعثت بها لك قبل ٣٠ سنة أو ٥٠ سنة».

رسائل إلى التولاغيري وعنه

ومن أصدقاء بيثنته أليكسندره الحميمين أيضًا مانويل التولاغيري، المقيم في المكسيك، كتب له في ١٢فبراير/شباط عام ١٩٥٨م:

«يامانولو، أريد منك أن تترك فكرة أن أسافر أنا إلى المكسيك الآن، فكل ما تقوله رائع، ولكن أظن أن من الأفضل أن تأتي أنت أولاً هنا، أما أنا ففي الحقيقة يعجبني أن أسافر في يوم من الأيام إلى هناك للقائك».

ثم في رسالة أخرى له في ٥ يونيو/حزيران عام ١٩٥٩م، يعبر أليكسندره عن فرحته الكبيرة بقرب زيارة صديقه مانولو «مانويل التولاغيري» بزيارة إسبانيا في مهرجان سان سباستيان السينمائي «شمال إسبانيا» للمشاركة بفلم كتبه وأخرجه، بعنوان «نشيد الأناشيد»، ويذكّره في الرسالة بمقتل مصارع الثيران المشهور سانجيث مخيَّاس صديق شعراء جيل الـ٢٧، الذي صرعه ثور في ساحة المصارعة:

«يالفرحتي الكبيرة بسماع خبر قدومك، بعد تسع سنوات مرَّت منذ مغادرتك، وكأنها دقيقة واحدة، أنا لن أذهب إلى مدينة سان سباستيان؛ لأنني لا أستطيع، ولكنك ستطلعني على فلمك الذي سيكون - بلاشك - رائعًا.


لوركا

يا إلهي عام ١٩٢٨م، هل تتذكر عندما ذهبنا لمشاهدة عرض سانجيث مخيَّاس: بلا معنى، حياة كاملة لا تزال حاضرة، ولا ينمحي منها أي شيء، إلى اللقاء مانولو، دعني أعانقك كثيرًا، هنا في بالينتونيا.

بيثنته»

في ٨ مارس/آذار عام ١٩٥٩م، يكتب إلى أميليو برادوس:

«عزيزي أميليو، تسلمت الآن رسالتك، ويبدو كأنك تأخرت قرنًا كاملاً في الكتابة لي أو ربما خمس دقائق.

عندما جاء خيراردو دييغو من هناك «المكسيك» سألته عنك، ولكن خيراردو لا يتكلَّم كثيرًا، ولم يكد يقول لي بعض الأشياء عنك، ولكن من الكلمات القليلة التي قالها فهمت أنك مرتاح في المكسيك، أخشى ألاّ أرى المكسيك أبدًا.

طيب أميليو، أميليسيمو، إلى اللقاء، لا تنسني، تقبَّل منِّي عناقًا شديدًا، ولكن كن لطيفًا مع صديقك الهرم، كما تقول أنت.

بيثنته»

وكان لسوء حظ التولاغيري، المقيم في المكسيك والذي قدم إلى إسبانيا للمشاركة في مهرجان سان سباستيان السينمائي، أن يموت في حادث سيارة بإسبانيا. وقد أثر هذا الحدث كثيرًا في أليكسندره، إذ إن له ذكريات جميلة معه ومع عائلته عندما كانا شابين، كتب بيثنته أليكسندره رسالة تعزية إلى بالوما ابنة التولاغيري في ٣ أغسطس/آب عام ١٩٥٩م، يقول فيها:

«عزيزتي بالوما

لا تزال أمامي رسالته «رسالة والدها التولاغيري» التي بعثها إليّ قبل ثلاثة أشهر، ويقول لي فيها باحتمال قدومه إلى إسبانيا، وزيارة سان سباستيان. هذا الناصح المملؤ بالحيوية والصحة، كنت أظن أنه سيشهد دفننا نحن جميع أصدقائه.

أتذكّر الآن السنوات التي قضيتها مع والدك في مدريد، واليوم بعد فقدانه أفقد مرحلة ملأى بالأمل والثبات والتخطيط للمستقبل عشناها معًا».

ثم يكتب عن خبر وفاة مانولو التولاغيري «ويسميه مانوليتو» إلى صديقه أميليو برادوس، بعد يومين أي في ٥ أغسطس/آب عام ١٩٥٩م، يقول له:

« لقد توفي مانوليتو «مانولو التولاغيري» في مدينة برغس بعد ساعات من إجراء عملية جراحية له نتيجة للحادث الذي أصابه، فقد توفيت ماريا لويسا في الحال

تتميز رسائل بيثنته أليكسندره إلى الشاعر أميليو برادوس بالبساطة والفكاهة أحيانًا، وقد كانا زميلي دراسة، وعرفا ذلك بالمصادفة

ويقولون: إنه كان نائمًا عند وقوع الحادث، لا أحد يعرف السبب، يبدو أنه كان متجهًا من سان سباستيان نحو مدريد وملقة.

أما أنا فإنني أقيم مريضًا في هذه البلدة، بلدة ميرافلوريس دي لا سيبيروا، ولم يبلغني أحد. لم أره منذ زيارته عام ١٩٥٠م ... أما أنت فلم أرك منذ ... منذ أمس يا إلهي.

يأتي التولاغيري إلى إسبانيا كي يموت، أتذكر هناك في مدينة ملقة، حيث كنا نتنزه، وكنت أذكّره بهذه الوقائع في مراسلاتنا، قال لي في السنوات الأخيرة: عليك أن تأتي إلى منزلي، فلديّ مسرح صغير، وهنا ستلقي قصائدك ... وها نحن أولاء نشهد وفاته، إنهم يتساقطون تباعًا، ونبقى وحدنا، وهكذا حتى النهاية».

ويكرر أليكسندره التعبير عن حزنه على التولاغيري، في رسالة يبعثها إلى خيراردو دييغو في ١١ أغسطس /آب عام ١٩٥٩م:

«يا حسرتي على مانولو، يأتي إلى بلده «إسبانيا» كي يموت بهذه الطريقة، هذا الذي كنا نظن أنه سيشهد جنائزنا جميعًا.

وبفقدانه فقدت صديق العمر، إذ كان مثالاً للصداقة الحقيقية. ألا ترى أننا أخذنا نرحل الواحد بعد الآخر، فأنا بفقدي مانولو أشعر كأن ميغيل «ارنانادث» أو فدريكو «غارثيا لوركا» قد ماتا مرة أخرى. أصدقاء الأخوة الثلاثة قبل الحرب الأهلية، هذا إذا تجاوزنا ذكر بيدرو ساليناس.

أريد أن أكتب عن مانولو ولكن لا أستطيع، أعيد قراءة كتابي «لقاءات»، فأشعر بأنه حي: تصوَّر أنه في رسالته الأخيرة طلب مني رخصة أن ينشر بعض ما ورد في كتابي «لقاءات» لنشره ضمن كتاب يعدّه للنشر. أتمنّى أن يطبع كتابه هذا خاصة الآن ».

ويكتب أليكسندره رسالة إلى كونجا ميندث الزوجة الأولى لصديقه مانولو التولاغيري ليخبرها عن لقائه مع ابنتها «بالوما» من مانولو، عند زيارتها إسبانيا، ويتذكر أيامه التي قضاها معها ومع مانولو، يقول في ١٣يونيو/حزيران عام ١٩٦٠م:

«عزيزتي كونجا

اليوم تناولت الطعام معنا بالوما للمرة الأخيرة لوداعنا، فسوف تذهب غداً إلى هناك، تناولنا الطعام أنا وأختي كونجيتا وهي، وبعد ذلك تحدثنا عدة ساعات، لقد تركتها ولم تبلغ السنتين من العمر، والآن وبعد محادثاتي معها خلال هذين الشهرين أشعر كأنني لم أفترق عنها أبداً، آلمني أن تسافر مرة أخرى.

بالوما تذكّرني كثيرًا جدًا بمانولو وهي معجبة بكِ وبوالدها. لقد تم عرض فلم مانولو مرتين في مدريد، وفي الثانية عرض في دار كبيرة كانت مملوءة بجمهور من النخبة، لقد كان تكريماً عظيمًا لمانولو، وفرحتْ بالوما بذلك قالت لي، وقد امتزج الفرح بالدموع: «كم كان سعيداً والدي لو رأى هذا» يسعدني أن أرى بنتًا كهذه، تحياتي إلى لويس ثيرنودا».

عن الأصدقاء

في ١١مارس/آذارعام ١٩٦٠م، يكتب أليكسندره إلى خورخه غيين:

«أنا وميلجور نسأل متى سنلتقي؟ ونتساءل أين هو خورخه؟

لقد توفي شـاعر آخر من عصرنا، ولـو أنه ليس من جيلنا، أقصد ليس من مجموعتنا؛ مجموعة ١٩٢٧م، إنه دومينجينا الـذي ولد في العام نفسـه الذي ولدت فيـه، ولم أره أبداً، ولـو أنه كـان يراسلني من المكسيك بعض المرات».

في ٢٠ أغسطس /آب من عام ١٩٦٠م، يكتب إلى أميليو برادوس:

«أتذكر أننا أقسمنا على ألاّ نطبع أعمالاً كاملة، لقد كنّا مُحقين، فهذا غير ممكن أبدًا بالنسبة إليَّ، فأنت الذي سيرثيني، ولهذا عليك أن تستعد لمعرفة خبر وفاتي. بالوما كانت هنا مدة شهرين في مدريد، وفيها رأيت مانوليتو «التولاغيري» وكأني بها وهو ينظر ويسمع مثلما كان في منزله وعمره عشرون عاماً، الآن أشعر بأن مانولو لم يمت تماماً، إنها مغرمة بوالدها».

ولكن أليكسندره لم يصب في توقعه بأنه سيتوفى قبل صديق الطفولة أميليو برادوس، لقد توفي الأخير قبله في المكسيك في ٢٤ أبريل/نيسان عام ١٩٦٢م.

وفي ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٦٢م، يكتب إلى صديقه خورخه غيين فيقول:

«لقد فقدنا أميليو برادوس، أقدم صديق لي في حياتي منذ أن كان عمرنا ست سنوات أو سبع».

ثم يكتب مرة أخرى إلى خورخه غيين في ٧ مارس/آذار عام ١٩٦٣م، وفي الرسالة يشير إلى ألبرتي، فقد كتب أليكسندره قصيدة بمناسبة عيد ميلاده باسم «رافائيل ألبرتي من خلال البحر»، ومعروف أن رافائيل البرتي هو أحد أبرز شعراء جيل الـ٢٧، وهرب من إسبانيا عام ١٩٣٩م، ثم عاد إلى إسبانيا عام ١٩٧٧م، ليشارك في عدة أنشطة أدبية وسياسية، إلا أنه آثر بعد ذلك الانعزال في بلدته « بويرتو دي سانتا ماريا»، جنوب إسبانيا، وكان آخر المتوفين من هذا الجيل حيث عمرٍ حتى عام ١٩٩٩م، وتوفي عن ٩٧ عامًا. يقول أليكسندره في رسالته:

«أكتب لك وأنا في الفراش مع بعض الاضطرابات في الكبد، كنت أمس جيداً فألقيت بعض القصائد. صديقنا ورفيقنا الدائم «رافائيل ألبرتي» يحتفل بعيد ميلاده الستين، واليوم نودِّع مانولتو أكثر الجيل شباباً».

ثم يكتب له مرة أخرى ليطلعه على جهود أوب ماكس،



سلفادور دالي

وهو كاتب من بلنسية ولد عام ١٩٠٣م، وتوفي خارج وطنه إسبانيا عام ١٩٧٢م، مُذكّراً فيها خورخه غيين بأنه هو وألبرتي أكثر من سافرا وتجوّلا:

«أنت ورافائيل أكثر من جرَّبا بقدميهما مسافات وأبعاد الكرة الأرضية. لو كان أوب ماكس يعرف عنوانك لكتب لك، فهو يريد تشجيعك، أنت وهو وداماسو ألونسو ورافائيل ألبرتي وأنا، كي نكون ناشرين في المكسيك لمجلة أدبية باسم «لمن تجاوز عمره الستين»، ويمكن للشباب أن يقرؤوها، ولكن الذين يحررونها هم من تجاوز الستين، إنها فكرة شيطانية جيدة يقوم بها ماكس، أنا قلت له نعم، وداماسو أيضاً، ومخترع الفكرة سيقوم بالعمل هناك، ورافائيل في باريس، ولكنه سينتقل يوم ١٥إلى ميلان، وسيقيم هناك، وهكذا كما ترى ستكونان جارين تقريباً.

ومرة أخرى يكتب إلى خورجه غيين في ١٢ مارس/آذار عام ١٩٦٥م، ويعلق على صورة يظهر فيها كأنه روماني، ويتأسف لكون أفراد جيل الـ٢٧ بدؤوا يتوفون:

«في رسالتك الرومانية تتحدث عن لقائك مع رافائيل ألبرتي. وصلتني أمس من أحد الأصدقاء صورة جماعية

وفيها تظهر أنت واضحاً مع وجهك الجديد كإمبراطور روماني من القرن الرابع، وهي ملامح عمرك عندما كنت في العشرين من عمرك. جيلنا بدأ يتناقص ويتناقص، أفكّر فيما إذا ما نجتمع كلنا نحن الذين على قيد الحياة، أنت أكثر شباباً من قبل، وكأنك رحّالة بلا هدنة، ودون أن يُغمى عليك».

في ١٣ مايو/ أيار عام ١٩٦٥م، يكتب إلى خورخه غيين أيضاً:

«كنت في بلنسية ثلاثة أيام، فكانت مناسبة أن أطل على البحر، أنا أسمّي نفسي شاعر البحر الأبيض المتوسط، على الرغم من أنني لا أستحق ذلك».

وفي ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٦٧م، يكتب إليه بطاقة بريدية يقول فيها:

«خيراردو، ألا تظن أنه من الرائع أننا أصدقاء دون انقطاع منذ أكثر من ٤٠ عاماً؟!»

وفي ٧ يونيو/حزيران عام ١٩٦٨م، يكتب أيضاً إلى خيراردو دييغو، يقول:

«لقد منحتنا هذه الحياة العيش متحدين كأصدقاء إلى الآن، وبعد موتنا، فالكل سيعرف أن المودة قد جمعتنا أصدقاء ورفقاء، حتى النهاية».

وفي ٢٥ أغسطس/آب عام ١٩٧٧م، يلاحظ أن أليكسندره يبدأ بالشكوى من صعوبة القراءة والكتابة، كما أن كتاباته إلى أصدقائه أصبحت قصيرة:

«أقرأ بصعوبة، ولأجل أن أكتب فأنا ألجأ إلى القلم الجاف، وأكتب به وكأنني أعمى يتلمّس الأشياء. أجيبك بشوق كبير، وكما تقول ١٩٢٧ـ ١٩٧٧م، مرّت وكأنها نسمة».

ثم يكتب له في ٩ يناير/ كانون الثاني عام ١٩٧٨م، شاكراً تهنئته له بمناسبة حصوله على جائزة نوبل للآداب:

«أشكرك على كل ما قمت به من أجلي وبتحيتي بمناسبة جائزة نوبل».

وفي عام ١٩٧٩م يكتب إلى صديقه القديم داماسو ألونسو بمناسبة حفل تكريمه لحصوله على جائزة سرفانتس، وهي أرفع جائزة أدبية في إسبانيا:

«لاستحالة حضوري بسبب مرضي أرجو أن تعدّني حاضراً».

في ٢ أكتوبر/ تشرين الأول من العام نفسه، يكتب إلى خيراردو دييغو:

«كما تعرف فإنني لا أستطيع أن أقرأ أو أكتب. وأرجو أن يكون هذا مؤقتاً»

يكتب في عام ١٩٨٠م إلى خيراردو دييغو بمناسبة تكريمه لحصوله على جائزة سرفانتس الأدبية، والاحتفال بالمناسبة في جامعة الكلا دي أناريس:

«لاستحالة حضوري شخصياً للحفل التكريمي، أرجو أن تعدّني حاضراً روحياً، صديقي ورفيقي لأكثر من خمسين عاماً، مع مودتي الكبيرة».

وفي ٢٩ يوليو/ تموز ١٩٨٢م، يكتب إلى داماسو ألونسو: «آلامي نفسها، وأتحرك فقط في الشرفة، أتذكر الكيلو مترات التي تقطعها أنت».

وكان آخر ما كتبه لأصدقائه رسالة إلى داماسو ألونسو في ٢٩ يوليو/تموز عام ١٩٨٤م، وهي سنة وفاته:

«أستطيع أن أكتب لك، ولكن لا أستطيع قراءة خط اليد، باستثناء خطك الواضح، وهذا ما آمله».

إن رسائل بيثنته أليكسندره، فضلا عن قيمتها الأدبية، لها أهمية تاريخية واجتماعية، فمن خلالها نتعرف رغبات أحد أهم شعراء إسبانيا في العصر الحديث وتطلعاته، ومدى علاقته مع الأدباء الآخرين، كما أنها تكشف عن علاقات اجتماعية وثيقة بين هؤلاء الأدباء وأنشطتهم.

ولعل أهم ما يميز رسائل أليكسندره، هو أنه كان ـ على الرغم من مرضه ـ قنوعاً وذا أمل كبير في الحياة، ويشعر بالسعادة الكبيرة لتحقيقه بعض مشروعاته، قبل أن يحصل على الجوائز الأدبية المهمة، ومنها جائزة نوبل للآداب، كما يتضح من الرسائل أنه كان هادئ الطبع، ولم يندم على عدم تركه إسبانيا، بل كان يدعو أقرانه ممن غادروا إسبانيا إلى العودة إليها، وكان يتتبع أخبارهم، ويحن إلى لقائهم.

إن كتاب رسائل أليكسندره من الكتب المهمة التي تلقي الضوء على خفايا شخصية أدبية لم تعد فقط ملك إسبانيا، وإنما ملك للفكر العالمي أيضاً، ويبدو الجهد الكبير في جمعها واضحاً، ولا سيما أن الكثير من هذه الرسائل كُتب في فترة حرجة من تاريخ إسبانيا، كما أن الكثير من أصدقاء أليكسندره عاشوا خارج إسبانيا، وهو ما يزيد في صعوبة جمعها.

هنريك إبسن

رائد المدرسة الواقعية في المسرح الحديث

محمد مصطفى المصري

كفر الشيخ - مصر

هنريك إبسن (١٨٢٨ - ١٩٠٦م)، كاتب مسرحي نرويجي، أدار مسرح برجن، ثم مسرح كريستينا، قام برحلات إلى ألمانيا والدانمارك، وقضى أطول فترة من حياته خارج النرويج. كتب إبسن ما يربو على ثلاثين مسرحية، جعلته يجد مكاناً بين أحسن كُتاب الدراما في القرن التاسع عشر. وأفضل هذه المسرحيات الفلسفية والاجتماعية، وهي واقعية أكثر منها غنائية، ومنها: «بيت الدمية»، و«الأشباح»، و«عدو الشعب»؛ و«البطة البرية - المتوحشة»، و«هيدا جابلر، و«سولنس البناء»...

ولفت النظر إلى إبسن كل من لونيـه بو، وجورج بيتوييف في فرنسا، وجورج برنارد شو في إنجلترا(١). ويعد إبسن من أبرز الشخصيات العالمية في الأدب المسرحي الحديث، اشتغل بكتابة المقالات الصحفية، ونشر شعراً ونقداً وعدة روايات لم تلق نجاحاً كبيراً. نشر في عام ١٨٦٢م، «ملهاة الحب»، وهي مسرحية ساخرة أثارت عاصفة من النقد، وتلاها بالمسرحية التاريخية «الأدعياء» عام ١٨٦٤م، والقصيدتين المسرحيتين «براند» ١٨٦٦م، و«بيرجنت» ١٨٦٧م، ومسرحية «الإمبراطور والجليل» ١٩٧٣م.

أقام في ألمانيا من عام ١٨٧٤إلى عام١٨٩١م، فكتب مسرحياته الواقعية الاجتماعية الشهيرة التي أودعها مبادئه، وصور فيها صراع الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه. وقد كان لكثير من هذه



هنريك إبسن

المسرحيات التي ترجمت إلى اللغات الأوربية الأخرى، وإلى اللغة العربية، ومثّلت على مسارح أوربا وأمريكا ومصر أعظم الأثر في الأدب والمسرح في هذه البلاد(٢).

لماذا أخفقت الطبيعية؟

لقد أخفق المذهب الطبيعي في أوربا وأمريكا لا قتصار الأديب أو الفنان فيه على التصوير المادي الفاضح، أو التصوير المجسم الذي لا يحتشم، أو التصوير الذي تبدو فيه النفس البشرية عارية في أحطّ غرائزها؛ فالمذهب الطبيعي لا يحمل رسالة، ولا ينطوي على فلسفة، ولا يهدف إلى إصلاح .. ولا عبرة بالقول: إن أهل هذه الطبقات الدنيا، أو المنحرفين من أهل الطبقات المتوسطة أو العليا، ممن يصورهم لنا أدب هذا المذهب، هم فئة أو جانب من القطيع

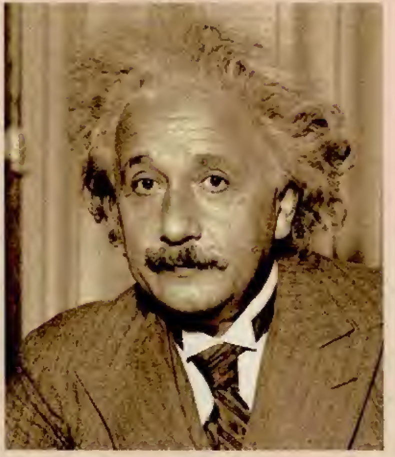
البشري، وإخواننا في الإنسانية .. فلماذا لا نعنى بهم، ونصورهم ونتحدث عنهم؟. والرد على هذا الاعتراض بسيط جداً، إذ يستطيع المذهب الواقعي - أعني الكاتب الواقعي أو المصور - أن يتناول حياة هؤلاء بطريقته الواقعية التي لا تنقل لنا الطبيعة كما هي بحالتها المادية الهابطة؛ لأنه يفضل دائماً أن يشترك في فنه معظم العناصر التي يقوم عليها المذهب الواقعي، وأهمها: اختيار الخامة التي سيعمل عليها، وهذه الخامة هي القصة أو الحادثة أو الفكرة أو القضية أو المشكلة التي ينتزعها من الحياه، ولا يشرع العمل فيها إلا بعد إمعان التفكير فيها ودراستها دراسة وافية، ويلي ذلك دراسة شخصياته دراسة منطقية، فيتناول كلاً منها من نواحيها المادية والنفسية والاجتماعية، حتى تكون كل ناحية من تلك النواحي منبعاً من منابع الصراع الذي لا يتم العمل الأدبي أو الفني من دونه، وهذا كله هو ما تفتقر إليه الأعمال الطبيعية التي لا نكاد نجد فيها دراسة ولا فكرة عامة، ولا مشكلة، ولا صراعاً، بل نجد عادة صوراً عامة توضع أمامنا وضعاً مادياً فوتوغرافيا !! (٣).

إبسن .. وتبلور أفكاره

بلغ هنريك إبسن العشرين من عمره عام ١٨٤٨م، وهو صبي صيدلي بمدينة صغيرة في النرويج، وكان مشغوفاً بقراءة: جورج ساند، ولا مرتين، وأظهرت له الثورة الفرنسية جوهر حياته، ورأى في قائد ثورة فبراير/شباط رمزاً للإنسان الذي استعاد حريته، وكون نفسه، فنقل هذه المثالية التحررية إلى الحياة الداخلية، وذلك تحت تأثير كيرجارد كانت، وأصبحت الحرية هي الانتصار على الذات. وظهرت أمام إبسن حقيقة جعل منها محور التراجيديا هي: أن الإنسان يجد صعوبات في اكتشاف ماهيته، وإذا ما اكتشفها وجد صعوبات في أن يظل مخلصاً لها، وأن النفاق الاجتماعي ليس هو الوحيد الذي يسبب ضيقاً للروح، كما أنه توجد قوى أكثر عمقاً، وبعضها لا يهزم، كالوراثة التي تعاقب الأب في ابنه مثلاً، وأن النفس البشرية تتعذب لعدم استقرارها الخلقي مع أنها مرتبطة ومسؤولة عن هذا الاستقرار (٤)؛ وذلك أن الحقيقة لا يستوعبها الإنسان بسهولة، فيقع الضعفاء فريسة أحلامهم، والأقوياء فريسة



ستر ندبرج



آينشتاين

للوحدة، وحتى أكثر النفوس طهارة ينسون الإحسان في اندفاعهم نحو الكمال.

لقد بدأ إبسن أولى خطواته بتوجيه النقد إلى المجتمع البرجوازي الذي تجدد بالمذهب الرومانتيكي الاجتماعي، ثم انتقل منه إلى التفكير في معنى الحياة الإنسانية عند أناس تحتك بهم كل يوم، كشخصية المحامي والطبيب والمغني والفنان والمنحرف متنقلاً بين فئة وأخرى. وهو يلجأ إلى الرموز التي تتداخل بين الدراما وعواطفنا بقوتها التثقيفية، ولكن تنقصها شاعرية وتعمق؛ وكان هذا هو سبب تأثير مسرح إبسن، وسبب شيخوخة مسرحه(٥).

إبسن .. والمذاهب المسرحية

تمثل مسرحيات إبسن أكثر من مذهب فني، فمنها ما ينتمي إلى المذهب الطبيعي، فقد كتب بعض المسرحيات، واصطبغت ببعض معالم المذهب الطبيعي إلا أنها لم تهبط إلى حضيض المسرحيات الطبيعية، كما فعل تلاميذه الذين تلمذوا لإميل زولا، وللكاتب السويدي أوجست سترندبرج، وقد تلمذوا لإبسن بما وجه إليه عنايتهم من تناول الموضوعات العادية التي تزخر بها حياتهم المعاصرة، كما كان يفعل هذا الزعيم المسرحي العظيم، وقد حاولوا كذلك أن يقلدوا طريقته في الحوار، وأسلوبه الموضوعي في تصوير الشخصيات، ولكنهم أخفقوا، وسبب إخفاقهم أن أسلوب إبسن في تصوير شخصياته هو أسلوب تحليلي ينتهي دائماً إلى وضع القواعد، وتقنين القوانين، وليس هكذا أسلوب الطبيعيين، وليست هكذا طريقة المذهب الطبيعي (٦).

ومنها ما يعد داخل نطاق المذهب الواقعي، إذ لم يكتف بعرض سطح المجتمع والأحداث، بل أبرز أعماقها أيضاً، ولكنه من ناحية أخرى يعد رائداً للمذهب الرمزي في المسرح .. وربما كان هو الفنان الوحيد الذي عالج المسرح من خلال هذه المدرسة الفنية .. أما الباقون فأقل منه موهبة وأصالة، لهذا كانت رموزهم غامضة وغير ذات دلالة قصدت لذاتها، بينما استخدم إبسن وسائل التعبير من أجل أهداف محدودة ثورية تعالج في الغالب موضوعات اجتماعية، ومشكلة الحرية، وغير ذلك (٧).

أضواء على عصر إبسن

وجد الفنان نفسه في العصر الرأسمالي في وضع غريب، فقد تحول كل شيء إلى سلعة، عن طريق الزيادة التي لم تكن تخطر على بال في الإنتاج والإنتاجية، وعن طريق نشر النظام الجديد بقوة، وامتداده إلى جميع أرجاء العالم، وإلى جميع مجالات التجربة الإنسانية. أدت الرأسمالية إلى تفكيك العالم القديم، وتحويله إلى جسيمات تدور في دوامة عاتية، وحطمت كلّ علاقة مباشرة بين المنتج والمستهلك، وقذفت بالمنتج والمستهلك، والمنتجات إلى سوق مجهولة تباع فيها وتشترى، ففي الماضي كان صاحب الحرفة يشتغل حسب طلب مستهلك محدد. أما منتج السلعة في العالم الرأسمالي فأصبح يعمل من أجل مشتر مجهول، مما أدى إلى ظهور القوى الاقتصادية كقوى غير شخصية .. كل ذلك أدى إلى القضاء على الطابع المباشر في العلاقات الإنسانية، وإلى زيادة غربة الإنسان عن الواقع الاجتماعي، وعن نفسه، وفي مثل هذا العالم أصبح الفن أيضاً سلعة، وأصبح الفنان منتجاً للسلع (٨).

قال عنه أحد النقاد المعاصرين له: «إنه كاتب مسرحي يختار عن عمد موضوعات متناهية في الحقارة والضعة، فصوّر أحطّ ما في الحياة الإنسانية، وأبشعها، ولا يخفف رتابتها القبيحة ذات التأثير المحطم إلا بضحكات مصطنعة»



غلاف كتاب «هيدا جابلر»

وفي مكان الرعاية الشخصية حل السوق الحر الذي يتألف من مجموعة هائلة من الزبائن الذين لا نعرف لأحد منهم اسماً، ويطلق عليهم لقب «الجمهور»، وخضع الإنتاج الفني بصورة متزايدة لقوانين المنافسة . وأول مرة في تاريخ الإنسانية أصبح الفنان حراً، أي: شخصية حرة، وهو حر إلى حد غريب، إلى حد الشعور بالوحدة والعزلة، ونظرت الرأسمالية إلى الفن على أنه شيءٌ مريب تافه تحيط به الشكوك والظلال فترة طويلة، فقد كان المجتمع السابق على الرأسمالية يميل نحو الترف والإسراف والإنفاق عن سعة والعناية بالفنون. أما الرأسمالية فتعني الحساب الدقيق، ومراجعة التصرفات بعين متشددة، وكانت الثروة تتطلب الزيادة الذاتية المتصلة، وكما يقول كارل ماركس: «لم يكن لترف الرأسماليين أبداً ذلك الطابع الأصيل للتبذير غير المحدود المميز لبعض أقطاب الإقطاع، فوراء ذلك الترف يكمن جشع وضيع، وحساب ملهوف»(٩).

وليست الرأسمالية في أساسها قوة اجتماعية تميل إلى الفن، أو تسعى إلى تشجيعه. وإذا احتاج الرأسمالي العادي إلى الفن أصلاً، فقد يحتاج إليه لتجميل حياته الخاصة، أو قد يحتاج إليه وسيلة استثمار مربحة، لكننا من ناحية أخرى نجد أن الرأسمالية قد أطلقت قوى هائلة في مجال الإنتاج الفني، كما فعلت في مجال الإنتاج الاقتصادي، إذ أوجدت مشاعر جديدة، وأفكاراً جديدة، وأتاحت للفنان وسائل جديدة للتعبير عنها، فلم يعد من الممكن التشبّث بأي أسلوب جامد بطيء للتطور. لقد تغلبت الرأسمالية على القيود المحلية التي تشكلت في إطارها تلك الأساليب، وأخذ الفن يتطور فوق رقعة فسيحة من الأرض، وفي زمن يلهث بالسرعة، ومع قيام الثورة الفرنسية، وجد الفنان الفرصة المواتية للتعبير عن ذاتيته وأفكار عصره، وهذه الذاتية بالتحديد: ذاتية الإنسان الحر المدافع عن الإنسانية، وعن وحدة بلاده، وعن البشر عموماً بروح الحرية والمساواة والإخاء، كانت هي راية العصر، هي البرنامج الأيديولوجي للرأسمالية الناهضة (١٠).

ولا شك في أن التناقضات الداخلية للرأسمالية كانت قد بدأت تفعل فعلها، فالرأسمالية تنادي بالحرية، بينما تمارس في الواقع مفهومها الخاص للحرية، وهو المفهوم المتمثل في عبودية الآخر. وما زعمته من إطلاق العنان لجميع الطاقات الإنسانية، كان في الواقع خضوعاً لشريعة الغاب المتمثلة في المنافسة الرأسمالية؛ إذ لم يكن بد من أن يشعر الفنان الإنساني الصادق بخيبة أمل عميقة عندما يواجه النتائج الصارخة المقلقة للثورة البرجوازية الديمقراطية، ولم يعد في وسع الفنان الإنساني الصادق أن يدافع عن عالم كهذا، ولم يعد في وسعه أن يؤمن بضمير مرتاح بأن فوز البرجوازية يعني انتصار الإنسانية (١١).

في هذا العصر كانت المسرحيات السائدة تتصف بالآلية والعقم

ومحاكاتها للدرامات الكلاسيكية. والأسس الدرامية التي كانت متبعة ـ على الرغم من اختلاف أنواع المسرحيات ـ واحدة في جميعها، فالصنعة بادية وظاهرة والنهايات مفتعلة، كما أنها كانت تتجاهل المنطق والإقناع والمعقولية، فالشخصيات تتصرف وفقاً للحبكة المسرحية، وليس وفقًا للمحركات النفسية، والحوار المسرحي كليشهات محفوظة معروفة، والحيل المسرحية في تكنيك الكتابة مثل المفاجأة Solilguy والائتمان Confdantce. والمجانبة Aside كانت تستغل لغرض أساسي، وهو نقل المعلومات والإعلام للجمهور، لإعطاء المثلين أيضاً فرصة كي يظهروا عضلاتهم ومواهبهم (١٢).

وفي هذا العصر الذي يتخبط في تقاليد فنية شاذة، بين أنواع مختلفة من المسرحيات المسفة كالميلودراما Melodrama، والـ Farce، والـ Extravagance التي تتسم بالتهويل والزيف .. ظهر



من مسرحية هيدا جابلر

إبسن ليقود المسرح إلى طريق جديد يختلف عما كان قبلاً، وذلك بعد أن هضم وامتص آثار التقدم العلمي، وضرورات المجتمع الصناعي ومتناقضاته، وما كادت «نورا» تضرب وراءها الباب في «بيت الدمية» تاركة زوجها، حتى دوت ضربتها في جوانب أوربا، وانتشرت الثورة الألسنية في أنحاء العالم، فأخذ بها الفرنسيون والألمان والإنجليز، وأمسك بها «شو» ليقوض دعائم المسرح الفيكتوري(١٣)، لقد خرجت «أنا» الجديدة من «نحن» القديمة، وانفصل الصوت الفردي عن الكورس، لكن صدى من ذلك الكورس مازال يتردد في كل نفس، لقد أصبح العنصر الجماعي ذاتيا في صورة «الأنا»، لكن المضمون الأساسي للشخصية بقي اجتماعيًا: إن الحب، وهو أشد المشاعر ذاتية، هو أيضاً أكثر الغرائز شمولاً.. هو غريزة حفظ النوع، لكن الأشكال المحدودة التي يتخذها الحب ووسائل التعبير عنه، تمثل في كل عصر الظروف الاجتماعية التي تسمح للدافع الجنسي بأن يتطور إلى علاقة أكثر تعقيداً، وأشد غنى ورقة، فهي قد تمثل الجو السائد في مجتمع يقوم على العبودية، أو الجو السائد في مجتمع إقطاعي أو رأسمالي، كما أنها تمثل مدى المساواة التي تتمتع بها المرأة، والأسس التي يقوم عليها الزواج، والفكرة السائدة عن الأسرة، والموقف من الملكية .. وهلم جراً، وليس في وسع الفنان أن يجرب شيئًا غير ما يقدمه له عصره وظروفه الاجتماعية، ومن هنا فذاتية الفنان لا تتمثل في كون تجربة الفنان تختلف في أساسها عن تجارب غيره من أبناء عصره أو طبقته، وإنما في كونها أقوى منها، وأوضح في الوعي، وأشد تركيزاً، ولا بد لها أن تكشف عن العلاقات الاجتماعية الجديدة بحيث يعيها الآخرون أيضاً، حتى أشد الفنانين ذاتية يعمل لحساب المجتمع، فهو بمجرد وصفه للمشاعر والعلاقات والظروف التي لم يتعرض أحد من قبل لوصفها، يكون قد وجهها من ذاته التي تبدو منعزلة إلى الجماعة .. أي من «أنا» إلى «نحن». ونستطيع أن نتعرف إلى «نحن» هذه في الذاتية العارمة لشخصية الفنان. لكن هذه العملية لا يمكن أن تكون عودة إلى الجماعة البدائية القديمة، بل على العكس هي تطلع نحو جماعة جديدة زاخرة بالخلافات والتوتر، جماعة لا يضيع فيها الصوت الفردي في الوحدة الرحيبة، ونحن نجد في كل عمل فني صادق هذا الانقسام للإنسان بين الفرد والجماعة، وبين الخاص والعام .. لكنه انقسام يشير إلى ضرورة إعادة الوحدة مرة أخرى(١٤).

إبسن إمام المدرسة الواقعية في المسرح

كان إبسن أقوى كتّاب هذه المدرسة في أوربا كلها، فقد جاء في العصر الصناعي الذي خلق الطبقات البرجوازية التي حلت محل النبلاء والأشراف، وولدت في ظلها المسرحية العائلية، التي وجدت في المسرحية العقلية المتحررة من القيود، كما وجدت في الديمقراطية والاتجاهات الاشتراكية جواً مواتيًا لم تلبث أن نمت فيه، وترعرعت حتى أصبحت أهم الأنواع المسرحية كلها، وكما كانت الديمقراطية والاشتراكية سبباً في الإطاحة بسلطان الطبقات البرجوازية، كذلك كانت المسرحية الشعبية الواقعية التي تعنى بمشكلات السواد الأعظم من جمهور الطبقة المتوسطة هي التي زحزحت المسرحية البرجوازية عن مكانتها، بل كادت تحل محل المأساة القديمة النبيلة الزاخرة برزايا الملوك والأمراء والقادة، كما تفردت عنها باسمها المستقل وهو «الواقعية الحديثة» (١٥)،

لقد بدأ إبسن سلسلة مسرحياته بطائفة من الروايات التي تجمع الصيغتين العاطفية «الرومانسية» والواقعية، ثم نظم «رمزيتين» خلطهما بالواقعية ..، وقد ظل المذهب الرمزي يغازل خيال إبسن حتى بعد أن أقلع عن المسرحية الشعرية، وفرغ للمجتمع يهاجمه ويغزوه بمسرحياته النثرية الاجتماعية العظيمة، وهي المسرحيات التي كانت فتحاً جديداً في المسرح الأوربي، والتي بدأت لوناً جديداً في المسرح العالمي بأسره تسمى بمسرحيات الأفكار، أو مسرحيات المشكلات الموضوعية التي تسلم أذهان المشاهدين والقراء للتفكير العميق، وإعادة النظر في نظم المجتمع وأوضاع الحياة.(١٧) .. لقد شرع إبسن أسلحته الانتقادية يمزق حجب الرياء عن وجه الفرد ووجه المجتمع، ساخراً سخريته اللاذعة بمعظم المثل التي كاد الناس يتخذونها آلهة لهم تحل من نفوسهم محل الآلهة القديمة عند الأمم الوثنية، ساخراً أيضاً بروح المساومة والوصولية وأنصاف الحلول التي يغص بها المجتمع الحديث عن الجريمة والمجرمين، سامحاً لهما بالحياة بدلاً من اجتثاثهما والقضاء عليهما، منبهاً الأفراد، ولا سيما المستضعفين منهم، على وجوب الاستبسال في سبيل حقوقهم الإنسانية، حتى لا يكونوا فرائس للرأسماليين والأقوياء وذوي النفوذ من أي لون .. بالاختصار كان إبسن الصرخة الواقعية المدوية التي أيقظت العالم كله للنظر في مشكلات العصر الحديث بجميع ألوانها : المادية والروحية والتربوية والسياسية، والمشكلات الناشئة من الصراع بين القديم والحديث في جميع مجالات الذهن البشري. (١٨) ولم يلبث إبسن أن فتن عشرات من رجال المسرح ونقاده في كل أمة من الأمم، كما فتن عشرات من الفلاسفة والمصلحين في كل شعب من الشعوب، فأخذ تلاميذه الكثيرون يسيرون على دربه ، ويكملون رسالته، ويتلافون عيوبه، ويضيفون ما لم يصنعه هو إلى كثير من العلل التي كان يشخصها ولا يقترح لها دواء .. وحسبه أن يكون من تلاميذه «شو»العظيم، وجميع أبطال المذهب الواقعي في القرن العشرين في كل من أوربا وأمريكا (١٩).



إليوت

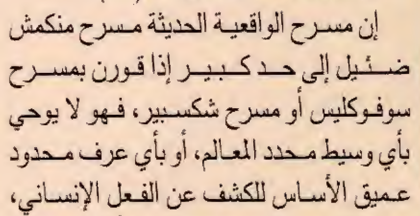


فرويد

الواقعية الحديثة

يقول «فرنسيس فرجسون (*) وهو علم من أعلام الدراسات الأمريكية المسرحية:

«إنني حينما أقول «الواقعية الحديثة» فإنما أعني أوسع ما للفظ من معنى المحاكاة الفوتوغرافية الصارمة للمشهد الإنساني؛ فإن الكاميرا والراديو يمضيان في الطريق الذي بدأ منذ مئة سنة على الأقل، يصوران بدقة أكثر فأكثر أسطح الحياة العصرية وأصداءها ومرئياتها ممتدة امتداداً كبيراً على الشاشة أو مهموسة في آذان ملايين ربات البيوت. فلئن كنا قد فقدنا أهميتنا، أو كنا نرفض كل صور ثابتة للحالة الإنسانية رفضاً آلياً ، إنه لا يزال بوسعنا أن نلغط بغيبة جيراننا، وأن نتسمع أخبار الآخرين. ولقد يبدو أن هذا الوسيط وما يتضمنه من مشهد ضيق للحياة الإنسانية؛ وسيط هزيل جداً بالنسبة إلى الدراما على الإطلاق، بيد أن إبسن وتشيكوف قد ارتضيا قيوده وألوان قصوره، وألفا مسرحيات رائعة (٢٠) .



إن مسرح الواقعية الحديثة مسرح منكمش ضئيل إلى حد كبير إذا قورن بمسرح سوفوكليس أو مسرح شكسبير، فهو لا يوحي بأي وسيط محدد المعالم، أو بأي عرف محدود عميق الأساس للكشف عن الفعل الإنساني، كالمسرح النموذجي عند فاجنر الذي رفضه مؤثراً عليه عالم العاطفة المظلم، فهو مسرح يرفض النظام التقليدي المبني على الشعائر والأساطير، والذي أمكن لشكسبير أن يستعمله.

ومن السهل أن نرى لماذا يظن إليوت أنه في جوهره: مناقض للشعر، وأنه يؤدي حتماً إلى: «صحراء الواقع الحقيقي الذي تدركه أكثر العقول تفاهة». ومن الحق الذي لا يمارى فيه أن مسرح الواقعية الحديثة لا يعطي الكاتب المسرحي وسيطاً محدداً للفن، بل إنه ليرغمه على أن يتظاهر بأن ليس له غرض شعري على الإطلاق، وكل غرضه هو الحقيقة بمعنى نصف علمي. ومع ذلك استطاع إبسن وتشيكوف أن يستحدثا هذا المسرح الضيق، وفيه نوع من الشعر المسرحي، وهو شعر خفي تنكر في زي تقريري، أو هو «شعر المسرح» بحسب قول كوكتو ـ وليس شعر الألفاظ، شعر يقوم على الحساسية التمثيلية وفن التمثيل: فلا يمكن رؤيته إلا

ممثلاً أومتخيلاً في تمثيل.

هذه السمة التي اتسمت بها الواقعية الحديثة - سمة اعتمادها اعتماداً تاماً على التمثيل - هي التي رأى فيها هنري جيمس العلامة المؤكدة حيويتها، وهي التي رأى فيها إليوت علامة ضعفها الذريع. ويبدولي أن هنري جيمس كان على صواب؛ فإن أقرب ما يقرب أساتذة الواقعية الحديثة من مقاصد وأنماط وعي شكسبير وسوفوكليس حينما يكونون في وعي تمثيلي مباشر (٢١). إن الواقعية الحديثة لا تحدد وسطاً فنيًا، ولا هي بذاتها تعطي الكاتب المسرحي أي مفتاح للشكل؛ فإن إبسن وتشيكوف لا ينهلان من الشعائر والأساطير التي يتحدد بها الفعل زماناً ومكاناً في المسرح التقليدي، ولكنهما يقدران على تحديد الفعل الذي يبغيان محاكاته بوساطة عقد مسرحياتهما. والفعل في مسرحياتهما، بما له من هيكل وإيقاع خاصين به من بداية ووسط ونهاية، يملي عليهما الشكل الدرامي، فهما «إبسن وتشيكوف» على أحسن ما يكونان مقلدان للفعل حسبما وصفه أرسطو: لا تسلسل أحداث، بل حركة نفس، وليس فعل فرد بل فعل أعم يشترك فيه الجميع بالتماثل، ونراه متحققًا في الشخصيات الفردية وما بينها من علاقات، فهما بهذا يقبلان المعنى الحرفي ويتساميان به: ومقصدهما شعري - أو كما يقول أرسطو «فلسفة أكثر منه تاريخاً»(٢٢).

الإبسنية .. الثورة الدرامية

لقد كان للمسرح الفرنسي في منتصف القرن التاسع عشر تأثير كبير في المسرح في العالم، وأتاح دروساً فنية قيمة لجميع مؤلفي الدراما الذين بدؤوا يظهرون في شمال أوربا ووسطها، وكان هذا الاتجاه من تأثير يوجين سكريب الذي كتب مئات المسرحيات، إذ كانت كتابة المسرحية بالنسبة إليه عملية حرفية تخطيطية أساسها شد الجمهور وجذبه، وقد لقب بـ«أبي المسرحية الجيدة الصنع» Well Made play؛ وأخذ إبسن عنه تكنيك الكتابة، ثم طوره بعد ذلك، ولم يؤثر «سكريب» بشيء من أدب الدراما، ذلك الشيء الذي بقي لإبسن ليستغل هذه الطرائق لرسم صورة واضحة المعالم للمجتمع الذي يعيش فيه، ونجحت التجربة الإبسنية، ويكفي لقياس

ظهر إبسن في عصر يتخبط في تقاليد فنية شاذة ليقود المسرح إلى طريق جديد يختلف عما كان قبلاً، وذلك بعد أن هضم وامتص آثار التقدم العلمي، وضرورات المجتمع الصناعي ومتناقضاته



شكسبير

نجاحها أن نعرف أن مسر حياته كتبت باللغة النرويجية؛ وهي لغة غير واسعة الانتشار، ومع ذلك فقد انتشرت مسرحياته في أنحاء أوربا والعالم كله (٢٣).

فكما أن العلم الحديث ارتبط بأسماء مثل «داروين» و«ماركس» ثم بعد ذلك «فرويد» و«أينشتاين» فإن الدراما الحديثة قد ارتبطت بـ«هنريك إبسن» والإبسنية، وأصبحت الإبسنية علامة الثورة الدرامية في المادة والتكنيك ،بمعنى أنها تناولت بالتجديد كلاً من الموضوع والأسلوب والتكنيك. وعلى الرغم من أن إبسن قد كتب بعض المسرحيات الشعرية والتاريخية إلا أن شهرته وأهميته قد ارتكزتا على إدخاله عنصر الواقعية في المسرح، ذلك العنصر الذي أزال كل التقاليد التي كان معترفاً بها من قبل، واستطاع في سنوات قليلة أن يؤسس دراما جديدة، أصبحت فيما بعد السائدة في جميع مسارح العالم الغربي، وطغت على كل الدرامات السابقة عليها. فقد هجر إبسن الموضوعات القديمة التي اصطلح على تسميتها «موضوعات العصر الفيكتوري» بقيمها الزائفة، ونهاياتها السعيدة، ثم اتجه إلى الوضع الاجتماعي الواقعي، فجاءت معظم مسرحياته بيئية تصور واقع الحياة الاجتماعية العائلية، وما فيها من الأكاذيب والزيف، وفي هذه المسرحيات نراه يكشف عن أدق الأحاسيس والمشاعر بطريقة فنية وكأنه يغوص في أعماقها، حتى لقبه «ديسمونر مكارثي» بالمستكشف في أعماق النفس البشرية، لقد كتب إبسن : «بيت الدمية»، و«عدو الشعب»، و«الأشباح»، و«البطة البرية» التي تعرض الأوضاع الراهنة في مجتمعه، وتبعاً لهذا الاتجاه فهو لم يقدم بطلاً من أبطال اليونان «العصر الكلاسيكي»(٢٤).

البطل في مسرحيات إبسن

قدم هنريك إبسن شخصيات عادية تعيش تحت سماء المجتمع الذي يعيش فيه، عرض هذه الشخصيات وليس فيهم أي بطولة خارقة، بل إنهم يبحثون عن هذه البطولة الإنسانية التي في طاقة البشر، والبطولة التي تحقق في: تمتعهم وحريتهم وفرديتهم، فإذا لم يتحقق ذلك فإنهم يسعون إلى ذلك بكل ما أوتوا من قوة،

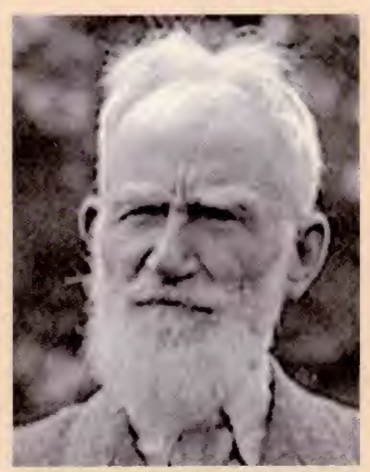
ويصارعون كل القوى التي تمنعهم من ذلك. إن البطل عند إبسن يعاني من جراء تحكم التقاليد والعادات، ويحاول أن يصارع هذه القوى التي تسبب شقاءه، وإذا مات البطل، كما في «بيت آل روزمرز»، فإن موته يعني خلاصاً له، حتى لا يعيش وهو لم يحقق رغبته، هذه البطولة المتواضعة - بالقياس إلى القدماء - هي تأكيد حريته وفرديته (٢٥).

لقد عرض إبسن مسرحياته بصراحة وجرأة جديدتين، ووقف ضده النقاد، وكادوا يبصقون على مسرحياته ذات الرائحة الكريهة التي تفضح الأسس البالية التي يقوم عليها المجتمع، لقد خاض في غمار أشياء لم يكن في مقدور أحد التفوه بها، حتى لقد قال عنه أحد النقاد المعاصرين له: «إنه كاتب مسرحي يختار عن عمد موضوعات متناهية في الحقارة والضعة، فصوّر أحطّ ما في الحياة الإنسانية، وأبشعها، ولا يخفف رتابتها القبيحة ذات التأثير المحطم إلا بضحكات مصطنعة تحاكي صوت الشوك المتكسر». أما ما قالته «الديلي تلغراف»: في افتتاحيتها عن عرض مسرحية «الأشباح»: «بالوعة مفتوحة، تقيّح كريه غير مضمد، عمل مشين اقترف علناً، دار موبوءة بجميع أبوابها، ونوافذها مفتوحة»(٢٦).

وكان لابد - تبعاً لهذه الموضوعات العادية اليومية التي بدأ إبسن بمعالجتها - أن يكون أسلوب العرض واقعياً ومناسباً للمضمون، فكان يعرض دراماته في لغة نثرية يومية؛ لأنه قصد إلى إقناع المشاهد بواقعية العرض الدرامي، كما قال هو نفسه في أحد خطاباته للناقد ادموندجوس: «إنك ترى أنني يجب أن أكتب مسرحيتي القادمة شعراً، ولكني لا أقرك على هذا الرأي؛ لأن المسرحية يجب أن تكون واقعية، ومهمتي أن أسجل حقائق، وأن أجعل القارئ يحس بأن ما يقرؤه هو عين ما يجرى أمامه». فكتب مسرحياته باللغة النثرية متجولا في أعماق شخصياته مستمداً ذلك من الدراسات العلمية للمجتمع وأفراده، ومن خبرته وراء الكواليس.

لقد جعل من الواقعية مقصده، وكان أثر ذلك في تكنيكه بعد أن تخلى عن تلك التقاليد البالية التي استعملها كتاب الدراما قبله،

أخفق المذهب الطبيعي في أوربا وأمريكا لا قتصار الأديب أو الفنان فيه على التصوير المادي الفاضح، أو التصوير المجسم الذي لا يحتشم، أو التصوير الذي تبدو فيه النفس البشرية عارية في أحطّ غرائزها



برنارد شو

والتي كان هدفها الأول التسرية والإمتاع من بعد عناء التعب. لقد ألغى إبسن التكنيك الظاهر الذي ليس له أدنى علاقة بالمضمون، وربط التكنيك بمضمون المشكلة التي يعالجها، فترك - مثلاً - الحوار الجانبي Aside والانفرادي -Solil ogay فلم يستخدم تلك الطريقة التي كانت قبله، وهو المونولوج الذي يفضي فيه الممثل بما في نفسه من ألم أو أفراح إلى الجمهور مباشرة، واعتمد على المناقشة بين شخصياته، بدلاً من البناء الهندسي للمسرحيات الجيدة الصنع. وقد لاحظ برنارد شو ذلك في إبسن، ورأى أن المناقشة هي محك الكاتب الدرامي. وقد نفى هنري جيمس عن مسرح إبسن الجدل الفارغ المفتعل، وقال: «إن إبسن أكبر كاتب درامي استطاع أن يكتب مسرحياته في غير سفسطة». حتى حلوله في مسرحياته ليست كحلول الدرامات السابقة عليه. إن مسرحيات إبسن وهي فيض من الحياة الواقعية تعرض في غير اعتماد كقاعدة على حلّ المشكلة أو الفعل النهائي؛ وهذا ما جعل النقاد يتهمونه بإثارة المشكلات، وعدم تقديم الحلول، ويتهمونه أيضاً بالسلبية، وفي ذلك يقول الناقد الأمريكي شاندلر: «إن سلبية إبسن تتضح من دعوته إلى تمزيق نسيج المجتمع، ثم عدم اقتراحه لنا مجتمعاً يقوم مقامه، أي نوع من المجتمع، كما أنه لم يرسم لنا قط في أي مسرحية من مسرحياته صورة لعائلة متحابّة متّحدة !!» (٢٧)

وقد أضاف إبسن إلى تكنيك الكتابة الدرامية بالإضافة إلى المناقشة مثل التحليل Terros Pective Analysis، وهو إلقاء الضوء على ماضي الشخصيات، والذي فيه تكون قد تمت أفعال ذات أثر فعال في تطور الحدث في مستقبل هذه الشخصيات ، كما أن إبسن استخدم طريقة سميت بتحطيم الوهم Disilluionment، وهي محاولة وهم المشاهد منذ بداية العرض بقضية ما، ثم خلخلة هذا الوهم خلال حوادث تنتهي بتحطيمه نهائيًا عند إسدال الستار(٢٨).

تطور أعمال إبسن المسرحية

كان إبسن هو الذي أعطى حركة الواقعية الشكل والاتجاه مدعمة قواها ومعززة مركزها بفضل سلسلة متتالية سريعة من

الروائع المتحدية التي ألقى بها إبسن في الحلبة المسرحية.

«ليدي انجر من استراث» ١٨٥٥م، أولى سلسلة طويلة من المسرحيات التاريخية التي كانت تدور حول موضوعات وملاحم من ماضي بلده، وقد ختمت هذه السلسة بـ«المتظاهرين» ١٨٦٤م، وهي مسرحية قوية تعد من أروع أعماله التي تذكر، وكانت مسرحية «ملهاة الحب» Love's Comedy، قد ظهرت قبل ذلك تهاجم بصورة صائبة الصفات الهالكة للروح، تلك الصفات التي يتصف بها الزواج التقليدي.

ثم تلا ذلك مسرحيتان شعريتان: أولاهما مسرحية «براند» ١٨٦٦م، وفيها نجد البطل القسيس الشاب، وقد تملكته رغبة في الهجرة إلى الله دون تسيير أو إذعان لأخطاء البشر، إلى أن جلب على نفسه وعلى الآخرين كارثة؛ وذلك بسبب التفسير الضيق المحدد لرؤياه. إنها المسرحية الأولى التي يستخدم فيها إبسن الرمزية استخداماً فعالاً في تدعيم الشخصية والموقف في مسرحياته. إن لبراند هدفًا نبيلاً صادقًا، لكنه أيضاً يتصف بعقل ضيق غير مرن، إنه يضحي في وحشية بكل شيء يبدو متنازعًا مع وجهة نظره. ولا يُرى براند في النهاية شخصية نبيلة، وانما يُرى إنسانًا عنيدًا يثير الشفقة إلى حد ما (٢٩).

بدأ إبسن أولى خطواته بتوجيه النقد إلى المجتمع البرجوازي الذي تجدد بالمذهب الرومانتيكي الاجتماعي، ثم انتقل منه إلى التفكير في معنى الحياة الإنسانية عند أناس تحتك بهم كل يوم



غلاف كتاب لإبسن

الظروف لا يستطيع أن يسهم بغير شذرة صغيرة من المادة الخام تندمج مع عامة الناس. ومسرحية «بيرجنت» Peer- Gynt ردّ على الذين لا ينظرون إلى الكاتب المسرحي النرويجي إلا على أنه كاتب يمدنا بمسرحيات المشكلة الخالية من روح الفكاهة. إن الخيال الشعري هنا هوالسائد سيادة كاملة، ويتميز الكشف الذي نتكشف عنه المسرحية بثروات من الفيض الوافر(٣٠).

إن مسرحية «الإمبراطور وجالين» ١٨٧٣م، هي عمل آخر من أعمال إبسن له وزن عظيم، يدرس الوثنية والمسيحية دراسة فيها كثير من القوة والدقة.

ثم مسرحيتان أخريان هما «رباط الشباب» ١٨٦٩م، ومسرحية «أعمدة المجتمع» ١٨٧٧م، ويكشفان لنا عن إبسن وهو يطور أسلوبه للواقعية، وهنا الكثير ما زال في انتظار التحسين، وما زال التكنيك بعيداً عن التمكن الواثق.

تبين مسرحية «بيت الدمية» ١٨٧٩م، تمكّن الكاتب المسرحي من أسلوبه الجديد، وبها أقام إبسن لنفسه شخصية دولية في المسرح. إن ثورة «نورا» ضد طغيان زوجها وكفاحها في سبيل تأكيد آدميتها المستقلة إنما كانا رفعاً جليلاً لراية الواقعية، كانا انطلاقًا رسمياً للحملة ضد النفاق والظلم المتفشيين في الجماعة البشرية. ومن المحتمل أن يكون جمهور المسرح في سنة ١٨٧٩م قد كره «نورا هلمر» وكل ما كانت ترمز إليه، لكنها هي وأخواتها المتحدات قد انتقلن إلى الداخل ليمكثن فيها ولو فترة قصيرة على أقل تقدير. لقد بلغت الواقعية سن الرشد، وتواءمت مسرحيات إبسن التالية مع تمكنه المتزايد من التكنيك.

تعدّ «بيرجنيت» ١٨٦٧م مسرحية شعرية هائمة من خمسة فصول فيها يحيا البطل حياة الأنانية والاندفاع، وهو شخصية ذات طبيعة متوحشة غير أليفة، لا تحب، وينخرط في عدد من المغامرات، ولا يرى نفسه ولا ماضيه بجلاء إلا قرب النهاية. في هذه المسرحية الخيالية الرمزية تبرز من بين الشخصيات امرأتان: إحداهما أم بيير تلك التي تموت في منظر من أكثر المناظر إثارة للمشاعر، والأخرى سولفج التي هي رمز للأنوثة الصادقة البريئة التي يتعشقها بيير، لكنه ينبذ حبها إذ يرى نفسه غير خليق بها، وعندما تواتيه المعرفة الذاتية عند النهاية يتوب بيير، ويفوز بها، ويتلقى بيير صدمة في أثناء سيره المشدود المتوتر في الحياة، وذلك عندما يلتقي بياتون مولدر الذي يرغب في إظهاره في معرفة، إذ ليس له شخصية حقيقية، وهو ليس إلا واحداً من بسطاء أفراد الطاحونة. وبعد كل شيء، وفي أحسن

- ثم تلت ذلك عام ١٨٨١م، مسرحية «الأشباح» وقد اجترأت هذه المسرحية على تناول موضوع الرضا التناسلي الموروث، وكانت تطبيقًا مأسوياً للقول القائل: إن خطايا الآباء إنما تعود على الأبناء.

- كانت مسرحية «عدو الشعب» ضربة قاصمة صوبت في وجه المجتمع الذي كان قلبه في جيبه. إن الدكتور أستوك مان رجل مثالي فظ عديم اللباقة - فإبسن لا يعفي حتى بطله - ليس لديه أمل في إقناع المدينة بأن تلوث ينبوع الماء أكثر خطورة وجسامة من فقدان الدخل الذي يأتي عن طريق الزائرين.

- تكشف مسرحية «البطة البرية» ١٨٨٤م. عن تكنيك أرق، وتعاطف لشخصياتها أكبر مما ظهر في أعماله السابقة. كانت النتيجة أن هذه المسرحية تعد تعريضاً بالأكذوبة المضللة التي تعني أنه لابد من مواجهة الحقائق الكريهة حتى لو كان ذلك يعني التضحية بالوهم الذي يستطيع وحده أن يجعل الحياة محتملة. لقد ظلت هذه المسرحية تؤخذ دائماً نموذجاً لفن إبسن في أوج عظمته. إن موت الطفلة هروج التي تفضل إطلاق النار على نفسها على قتل البطة البرية أثمن ممتلكاتها، إنما يعدّ هذا الموت الردّ المأسوي المقنع على التدخل الخطير في شؤون الآخرين من قبل ذلك الممثل الأبله جريجززورل (٣١).

- تتناول كل من مسرحية «روزمر شولم» و«هيدا جابلر» موضوع النساء ذوات الشخصية القوية اللائي يهيمنّ في يسر على شركائهن من الرجال. تتمتع البطلة في مسرحية «هيدا جابلر» بمواهب عظيمة إلا أنها ليست لديها فكرة عن كيفية الاستفادة منها، لقد راحت تبحث فيما حولها عن عمل شيطاني ليديها المعطلتين، وذلك بعد ازدرائها لزوجها الطيب المسالم الذي يعد نداً ساذجاً لمثل هذه القوة الوحشية، وتجد متنفساً لها في محاولة لربط الكاتب الموهوب لاف بورج الذي ينطوي الآن عمله الخلاق على أهمية أكثر مما تنطوي عليه إغراءاتها. ولما أخفقت «هيدا جابلر» في مسعاها، راحت تتشفى بحرق النسخة الوحيدة لمخطوط كتابه الوحيد وتسوقها أعمالها إلى قبضة جارج براك الذي كان يشتهيها لنفسه، واستخدم كل الوسائل في سبيل الفوز بموافقتها على الاستجابة لرغباته. ولما وقعت آخر الأمر في المحظور، وإن كانت تفيض بالشجاعة - كما كانت دائماً - راحت تطلق على نفسها النار كي تتحاشى هذه الورطة.

إنها دراسة رائعة للضياع، إن طبيعتها هي التي تلام على ما لـ «هيدا جابلر» من مسلك مسرف طائش. إن هذه النماذج النادرة للأنوثة المفعمة بالطاقة والكيان مثل هيدا جابلر لا بد أن تعطي مهام ورسالات تضطلع بها في الحياة لا أن يلقي بهذه النماذج من النساء في زواجات عادية حيث لا يمكن أن ينتهي الضياع العقيم لطاقتهن إلا إلى كارثة عائلية، تافهة، شنعاء.

- ليس في مقدور المسرحيات التي ظهرت بعد ذلك أن تتماثل فيما بعد من عمق وثراء «بيت الدمية» و«البطة البرية» و«هيدا جابلر»(٣٢).

- إن مسرحيتي «رئيس البنائين» و«يولف الصغير» والمسرحية المبكرة «سيدة من البحر» ١٨٨٨م، نسجت نسيجاً ثقيلاً عن الرمزية، ثم سرعان ما طواها الموت. إن دراسة «جون جبريل» و «ركمان» ١٨٩٦م، إنما تعد من الدراسات المثيرة لصانع كبير في أيام تدهوره.

- ولعل مسرحية «عندما نستيقظ نحن الموتى» ١٨٩٩م، تكفي بصورة مرضية لأن تكون حكم إبسن النهائي على الحياة؛ ففي هذه المسرحية من المحتمل أن تكون العلاقة الوثيقة لـ«روبك» النحات بالنموذج الموديل «إيرين» التي تدخل حياته مرة ثانية، وقرارهما في مواجهة الموت معاً في أثناء هبوط الجبل في عاصفة، إنما يبين إيمان الكاتب أنه لا شيء على قدر كبير من الأهمية في الحياة البشرية. مثل حياة عاطفية سعيدة (٣٣).

قدم هنريك إبسن شخصيات عادية تعيش تحت سماء المجتمع الذي يعيش فيه، عرض هذه الشخصيات وليس فيهم أي بطولة خارقة، بل إنهم يبحثون عن هذه البطولة الإنسانية التي في طاقة البشر

مسرحيات إبسن تحول من التقاليد الفيكتورية

رمزية إبسن

إن الرمزية ضرب من ضروب الرومانسية، ولا تهدف إلى مجرد تصوير الجوانب الظاهرة من الواقع، وهي تضيف عنصراً خيالياً أو شاعرياً لمظاهر الواقع السطحية، وتؤلف صورة محدودة عن معنى العمل الفني المختص من النواحي الفكرية أو الأخلاقية أو العاطفية. فالرمز موضوع أوعمل لا يقتصر على القيمة الذاتية، وإنما يشمل أيضاً القيمة الخارجية، فالرموز تملأ حياتنا دينياً واجتماعياً وقومياً وعنصرياً، فالرمزية ترضي الرغبة الشديدة في

الهرب من الأمور المألوفة والدنيوية، كما أنها تمتع المرء ذا الاتجاه الأخلاقي المتين، وكذلك الجوانب الشاعرية والخيالية، إذ إنها تحرك نشاط الجانب العقلي، فهي تثير العقل والخيال بتشجيعها على البحث عن القيم التي لا توجد ملقاة فوق سطح العمل الفني(٣٤). ومن السهل اليسير أن نلحظ في أعمال إبسن زيادة مطّردة في تسلل الرمزية إلى المسرحيات البرجوازية الواقعية التي أنتجها إبّان نضجه الفني. ففي مسرحية «بيت الدمية» نجد أن معنى الحديث عن ملابس التخفي وموسيقى رقصة التارانتلا الدائرية السريعة هو في التأويل النثري لعقدة المسرحية، ولكن هذا الحديث يوحي أيضاً بالمعاني العميقة التي تحيط بموقف نورا وبكربتها، فحينما صفقت «نورا» الباب في ختام المسرحية عدّ ذلك لا على أنه إنهاء مؤثر للصراع في هذه المسرحية بالذات، وإنما هو تصوير رمزي مدهش لسلوك المرأة العصرية في سبيل الاستقلال الاقتصادي والعاطفي. وفي مسرحية «البطة البرية» لم يقنع إبسن باستخدام مجاز البطة البرية للإيحاء إلى الخيال بالمأزق الحرج الذي وقعت فيه أسرة «إيكدال»، فقد شعر بأن من الضروري أن يدخل فعلاً بطة برية، كعنصر مهم في تطوير حبكة المسرحية، وهي محاولة في التصوير الرمزي يعجبنا ما فيها من جرأة أكثر مما يعجبنا ما فيها من معقولية، ولا شك في أن قذف البطة المجروحة من الغرفة التي في الطابق العلوي، وتأكيد ما توحي به من تشبيه بالتكرار، قد يبدوان أنها استخدام بارع للرمزية (٣٥) أما في مسرحيتي «هيدا جابلر» و«روزمر شولم» فقد ظل إبسن مسيطراً سيطرة رائعة على استخدام الرمزية. وقد استطاعت الرموز أن تسمو بهاتين المسرحيتين إلى مستوى المأساة التحليلية، على الرغم مما فيهما من بلادة في الجو والحوار والفعل. أما الرمزية في مسرحية «البنّاء المعلّم» فهي من النوع المعقد جداً، حتى إنها تفتقر إلى أي معنى خارجي متماسك، وتصبح معانيها التي تسوقنا إليها رمزيتها المتعارضة والمستمرة نوعاً من الخداع الفكري عند الرجل الأعمى (٣٦). وفي مسرحية «أعمدة المجتمع» تعدّ السفينة المثقوبة «الفتاة الهندية» ـ مع بعض التحفظ ـ أمراً لائقاً بالمسرحية، فمصاير جميع الشخصيات تتشابك وإياها، ومن الممكن أن نتخذها كحكم شامل على الموقف الدرامي. وفي مسرحية «بيت الدمية» توجز رقصة الترانتيلا التي تؤديها «نورا» الموقف الكلي للمسرحية في شكل لا يعتمد على الكلمات (٣٧). وفي مسرحية «الأشباح» نجد أن ملجأ الأيتام الذي شيد في ذكرى الكابتن «ألفنج» الذي يفتقر إلى الأمان، والذي التهمته النيران، وأنه «قبر مزين» هو تعبير مشابه عن الموقف الكلي للمسرحية (٣٨). وفي مسرحية «عدو الشعب» يبدو الانحلال الخلقي قد وجد صنوه المادي في الحمامات الموبوءة. وفي مسرحية «البطة البرية» يقوم العنوان والحجرة الغريبة بتلخيص الموقف الكلي للمسرحية. وفي مسرحية «روزمر شولم» تبدو الجياد البيضاء كأنها تقوم بعملية تجسيد للماضي الذي يعطي للمسرحية معنى. أما «هيدا جابلر» فلها علاقة واضحة بالمسدسات الشهيرة. وهذه العناصر جميعاً، وبعض العناصر الأخرى في المسرحيات تشكل ما يطلق عليه «رمزية» إبسن (٣٩).

المراجع والهوامش

١. فن المسرح، الجزء الأول، تأليف: أوديت أصلان، ترجمة د. سامية أحمد أسعد. نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ القاهرة، نيويورك، يونيو ١٩٧٠م.
٢. الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، إشراف: محمد شفيق غربال.
٣. أشهر المذاهب المسرحية، دريني خشبة، هيئة الكتاب، بلا تاريخ.
٤. تاريخ المسرح، تأليف: ر. بينار، ترجمة: أحمد كمال يونس، مراجعة: حسن محمود، الألف كتاب «٣٩٤»، تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دار النهضة، ١٩٦٣م.
٥. المصدر السابق نفسه.
٦. المدارس المسرحية وطرق إخراجها من الإغريق إلى الآن، تأليف: جمعة أحمد قاجة، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٧. المصدر السابق نفسه.
٨.١١. ضرورة الفن، تأليف: أرنست فيشر، ترجمة: أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٢. المفهوم التراجيدي والدراما الحديثة، د. فوزي فهمي ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٣. المصدر السابق نفسه.
١٤. ضرورة الفن، مرجع سابق.
١٥. ١٩. المدارس المسرحية وطرق إخراجها، مرجع سابق.
* تخصص في الدراسات الأكاديمية أو النظرية الصرف التي تعد من باب المتعة الذهنية والترف الفكري الخالص، وهو بالإضافة إلى هذا رجل فلسفة ومنطق ومسرح تطبيقي. دريني خشبة.
٢٠. ٢٢. فكرة المسرح، تأليف: فرنسيس فرجسون، ترجمة وتعليق: جلال العشري. مراجعة وتصدير: دريني خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سلسلة الألف كتاب، الثاني، «٣٣».
٢٣. ٢٨. المفهوم التراجيدي والدراما الحديثة، مرجع سابق.
٢٩. ٣٣. المرشد إلى فن المسرح ـ الدراما، تأليف: لويس فارجاس، ترجمة: أحمد سلامة محمد. مراجعة: د. مرسي سعد الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الألف كتاب ـ الثاني ـ(٩)ـ ١٩٨٦م.
٣٤. ٣٦. فن المسرحية، تأليف: فرد.ب. ميليت وجير الدايدس بنتلي. ترجمة: صدقي حطاب. مراجعة: د. محمود السمرة. نشر هذا الكتاب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ف ب «١٥٥» ١٩٦٦م.
٣٧. ٣٩. المسرحية من إبسن إلى إليوت، مراجعة: سعيد محمد خطاب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.



مكتبة الملك عبدالعزيز العامة تصدر الفهرس الموحّد

فهرسة المخطوطات، والعلاقات السعودية - الأوزبكية في مركز الملك الفيصل

السيرياليون وغراس يهاجمون بوش

حقوق الملكية الفكرية في أكاديمية نايف

اليمن تستعيد آثارها، واكتشافات أثرية جديدة في مصر، وتحقيق النصوص المسمارية في بغداد

مؤتمر لرؤساء الأندية الأدبية السعودية، وآخر لمثقفي العالم، وثالث للآثار العثمانية

أعضاء جدد في مجمع الخالدين المصري



خاتمة المطاف

تحليل موضوعي لمفاهيم الشرق والغرب

الفهرس العربي الموحّد

وافق صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني الرئيس الأعلى لمجلس إدارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة - على تبني المكتبة تنفيذ مشروع الفهرس العربي الموّحد للمكتبات في المملكة العربية السعودية والعالم العربي.

وقد صرح وكيل الحرس الوطني للشؤون الثقافية والتعليمية المشرف العام على المكتبة الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن ابن معمر أن صدور هذه الموافقة يحقق حلماً عربياً كبيراً، ويذلل عقبات كثيرة أمام نشر الإنتاج الفكري العربي، وأضاف: أن هذا المشروع يعدّ مشروعاً عربياً غير ربحي، ويهدف إلى تطوير البنى التحتية للمكتبات العربية، ويمكنها من تحقيق التبادل الفعّال للمواد المعلوماتية - وخاصة سجلات الفهرسة - إضافة إلى نشر المعرفة في المجتمعات العربية؛ وذلك من خلال الحصر الآلي للإنتاج الفكري العربي المنشور الذي سيحتوي على وصف ببليوجرافي كامل لمجموعات الكتب العربية المتوافرة لدى المكتبات العربية على شكل قاعدة معلومات قياسية مبنية على معايير عالمية من شأنها توحيد بيانات الكتب، وتسهيل تبادل السجلات بين المكتبات، والاستغناء عن تكرار فهرسة الكتاب الواحد في أكثر من مكتبة.

وتجيء هذه الخطوة لتلبي مطلبًا كان ينادي به المكتبيون العرب منذ عدة عقود، في توصياتهم، وضمن بياناتهم الختامية لعدد من الفعاليات الثقافية والمهنية، وسوف يتيح هذا المشروع - حال إكماله - القدرة على تبادل الموارد وتوفيرها، وخفض التكاليف التشغيلية، وتقديم الخدمات الميسرة للمستفيدين من خلال إتاحة المعرفة بشكل أوسع وأكثر كفاءة من ذي قبل، كما سيساعد الفهرس العربي الموحّد على تلبية الزيادة في الطلب على المقتنيات العربية من قبل المكتبات في مختلف أنحاء العالم.


الأمير عبدالله بن عبد العزيز

ويهدف هذا المشروع إلى حصر التراث الفكري العربي في قاعدة قياسية موحّدة، وتوحيد الجهود العربية الرامية إلى تقنين أعمال الفهرسة والتصنيف، وتحقيق المشاركة في المصادر على ضوء ندرة المتخصصين، وخفض التكاليف المترتبة على تكرار عمليات الفهرسة للوعاء نفسه في جميع المكتبات، والإسهام في انتشار الكتاب العربي بمجرد توثيقه في القاعدة الموّحدة، كما يهدف المشروع أيضاً إلى نقل المعرفة العربية إلى جميع أقطار العالم، وتشجيع حركة النشر للمؤلفات العربية واتساعها، وخدمة الباحثين، وتشجيع البحث العلمي، وتقريب المسافات بين الناشر العربي والمتلقي من خلال شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى خفض تكاليف ميكنة المكتبات، فضلاً عن خلق أداة مساعدة لعمليات التزويد في المكتبات العربية، وتحقيق التواصل بين المفكرين العرب.

وفي سبيل إنجاز هذا المشروع وقعت مكتبة الملك عبدالعزيز العامة تحالفاً إستراتيجياً مع منظمة O C L C العالمية المعروفة، بهدف تعزيز قدرات الفهرس العربي الموحّد من خلال الاستفادة من خبرات هذه المنظمة التي تعد رائدة في مجال الفهارس الموحّدة حول العالم.

فهرسة المخطوطات في مركز الملك فيصل

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل - رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - رعى صاحب السمو الأمير بندر بن سعود بن خالد نائب المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية في الثاني عشر من المحرم الماضي /الموافق ١٥ مارس/آذار ٢٠٠٣م - حفل افتتاح دورة «فهرسة المخطوطات» التي نظمها معهد الفيصل لتنمية الموارد البشرية - أحد روافد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - بالتعاون مع معهد المخطوطات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم -

أحد أجهزة الجامعة العربية ـ في الفترة من ١٢ من المحرم إلى ٧ صفر ١٤٢٤هـ الموافق ١٥ مارس/آذار إلى ٩ أبريل / نيسان ٢٠٠٣م.

وأفاد المشرف على المعهد الأستاذ صالح بن ناصر الخريجي أن هذه الدورة تأتي في إطار تفعيل علاقات التعاون الثقافي بين المملكة العربية السعودية والدول العربية الشقيقة، وحرصاً على المساهمة في الاهتمام بالتراث العربي والإسلامي الذي تزخر به مكتبات العالم، والمحافظة على هويته العربية والإسلامية، والمساهمة في جمعه وإعداده وحفظه بالطرائق العصرية لتسهيل الانتفاع به في عالم يشهد الكثير من التحديات والتحولات السريعة. وقد شارك في هذه الدورة عدد كبير من المتدربين من مختلف الدول العربية، بالإضافة إلى منسوبي الجامعات ومراكز البحوث العلمية، والمكتبات السعودية. وتولى التدريس فيها نخبة من أساتذة الجامعات، وأشهر المتخصصين في مجال فهرسة المخطوطات. وقد استغرقت الدورة أربعة أسابيع مشتملة على الجانبين النظري والتدريبي.



الأمير بندر بن سعود بن خالد

وهدفت هذه الدورة إلى تسهيل الوصول إلى المخطوطات بالتعريف بها وبأهميتها، والتعرف إلى المشكلات التي تطرحها عملية فهرسة المعلومات المتعلقة بالمخطوطات ونشرها من فحص أوراق المخطوطة، ودراسة أحبارها، ونوعية خطوطها...، والعمل على إثارة اهتمام الباحثين بهذا التراث، والكنوز الدفينة في غياهب المكتبات العربية والغربية. وتتناول موضوعات هذه الدورة عدة محاور منها: المخطوط العربي: النشأة والتكوين، والخط العربي وأنواعه، والعناصر المادية للمخطوط العربي : الورق، والحبر، والجلد، ومشكلة المخطوطات غير المؤرخة، وسبل كشف التزوير في المخطوطات، وتدريبات عملية على الفهرسة.

العلاقات السعودية ـ الأوزبكية والمخطوطات اليمنية في مركز الملك فيصل

في إطار النشاط الثقافي لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، أقام المركز في الفترة الماضية محاضرتين، كانت الأولى في الثلاثين من ذي الحجة ١٤٢٣هـ الموافق ٣ مارس/ آذار ٢٠٠٣م بعنوان: «العلاقات السعودية ـ الأوزبكية.. رؤية مستقبلية»، ألقاها الدكتور زاهدالله منوروف رئيس صندوق الإمام البخاري الدولي في طشقند، وأدارها الدكتور صالح الخثلان.

زاهدالله منوروف

ونوه المحاضر بعمق العلاقات التي تربط بين المملكة وأوزبكستان، مشيراً إلى أن هذه الروابط زادتها العلاقة الدينية قوة، إذ قام خلال السنوات العشر الماضية خمسون ألفاً من الأوزبك بزيارة المملكة في المواسم الدينية، وأكبرها الحج، وأكد حرص بلاده على السعي إلى توثيق العلاقات مع جميع دول العالم بما يحقق مصالحها، وكان لابد أن يكون للدول الإسلامية الأولوية في توطيد هذه العلاقة وبخاصة الدول العربية، وأهمها دول الخليج.

وأرجع الدكتور زاهد البطء في التعاون الاقتصادي بين دول الخليج العربي وبلاده إلى بعض الصعوبات التي لا بد من إزالتها، ومنها: الجانب الأمني، وتخوف دول شبه الجزيرة العربية من تأثر علاقتهم المستقبلية مع إحدى الدول العظمى، وهي الاتحاد السوفيتي السابق في المجال الاقتصادي والعسكري؛ وذلك لانفصال دولة أوزبكستان عنها واستقلالها.

وقال المحاضر في نهاية محاضرته: إن الأمل موجود في بناء علاقات متينة بين البلدين، لعدة أسباب منها: الرابط الديني، ووجود جاليات كبيرة من الأوزبك في المملكة، وهم يحتلون أماكن محترمة.

وختمت المحاضر ببعض المداخلات والأسئلة.

وكـانت المحـاضـرة الثـانيـة بعنوان «المخـطوطات العـربية في اليـمن: واقعـها ومـستقبلها» بتـاريخ ٧ من المحـــرم ١٤٢٤هـ الموافق ١١ مــارس/آذار ٢٠٠٣م، ألقاها القـاضي إسـمـاعـيل بن علي الأكـوع، وهو وزير إعلام سابق في الجـمهورية اليمنية، وباحث مـتخصص في التـراث اليـمني، وأدارها الدكـتـور صالح بن سليـمـان الحجي.


إسماعيل بن علي الأكوع

بدأ المحــاضـر بالإعــلان عن اكـتشـاف ثروة عظيمـة من المصـــاحف التي يـعـود أقدمها كـتابة إلى المئة الأولى للهـجـرة، عُـثــر عليــهـا بالمصـادفـة في سطح جـامع صنعاء حينمـا دهمه السيل سنة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ثم تناول أبرز ما تحتويه خـزانة الأوقاف في هذا الجامع من نفـائس المخـطـوطات، منهـا: مـصحف نـاقص مكتـوب بالخط الكوفي على الـرق، يشاع أنه بخط أمـيـر المؤمنين علي بن أبي طـالب، رضـي الله عنه، مع الـعلم أن الخط الكوفي لـم يظهـر إلا في أواخــر المئـة الأولى للهـجـرة، وديوان ذي الرمـة، وهو مكتـوب بالخط الكوفي، وكـذلك الجزآن الرابع والثامن من (الكتاب) لسيبويه، كما يوجد فيها أيضاً عدد من الكتب النادرة بأقلام مؤلفيها.

وتوجـد فـي الجـامع خـزانة أخــرى تعـرف بالمكتـبـة الغربيـة، وقد جُـمع فيـها خـزانة الإمام يحـيى بن محـمـد حميدالدين التي كانـت في داره، وفيهـا كثيـر من نفائس المخطوطات.

وذكـر المحـاضـر أن المخطوطات العـربيـة في اليـمن موجودة في كـثير من مدن اليـمن الشهيرة بانتـشار العلم فيـها؛ مـثل صنعاء، وزبيـد، وتريم، وصعـدة، وذمار. ثم تطرق القـاضي إلى أبرز علمـاء اليمن المجـتـهـدين الذين نبـذوا التـقليـد، ولم يتـقـيـدوا بأي مـذهـب من المذاهب الإسلامـيـة المشهورة، وعـدّد مؤلفاتهم، وذكـر أن التأليف في اليمن قد تنوع بتنوع ألوان الحكم فيـها، واتسم بعضـه بطابع العــقـائد والمذاهب، فكان لكل أصـــحــاب مـذهب مؤلفـاته، ولكل عقيدة مصـنفاتها الخـاصة بهـا، وأكّد أن أشـهــر خـزائن الكتب في اليـمن وأحـفلهـا بذخـائرها ونفـائسهـا خـزائن الملوك والأئمـة والأمراء، ذاكـراً أبرز تلك الخزائن، وما تحتويه من نفائس.

وتعرض القاضي بعـد ذلك لحال الكتب والمخطوطات في اليمن، وأشـار إلى ما تـتـعـرض له من ضيـاع بوسائل كثيرة.

فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام


عبدالرحمن بدوي

أثار الكتـاب الذي أصـدره الدكـتـور سـعـيد اللاوندي - نائب رئيس تحـرير صحـيفـة الأهرام المصـــريـة بعـنوان «عـــبــدالـرحــمـن بدوي .. فيلسـوف الوجـودية الهـارب إلى الإســلام»، عـن حــيــاة الفيلسـوف المصـري الراحل عـبـدالرحـمن بـدوي - جـدلاً واسعاً بين أوساط المثـقفين المصريين. وقد هاجم الروائي المصري يوسف القعيد شخـصية الفيلسوف الراحل التي انسحبت من الحياة الثقافـية المصرية والعربية على مدى نصف قـرن، واصـفًـا إياه بأنه «إنسـان ثأري انتـقـامي» حاول تشويه صورة كل رموز الثقـافة المصرية، كالعقاد، وطه حـسين، وغـيـرهمـا، كـمـا أنه ليس لديه خــيـال، ويتـعـامل مـع حـواس المنفـعـة، كـذلك تـعـرض البـاحث وأستـاذ الفلسـفة الدكتـور صالح سليمان للـكتاب نفسه، وقـال: إنه أخفق في الإجـابة عن كـثيـر من الأسـئلة عن حـيـاة الفيلـسـوف الراحل المملوءة بالغـمـوض، ووصـف الكتاب بأنه أقرب إلى السيـرة الذاتية منه إلى تقديم رؤية متعمقة لحياة الفيلسوف الراحل.

وتناول الكاتب عـبدالرشـيـد المحـمودي حـيـاة بدوي، وكـيف عاش وحـيـداً، ولم يستطع التأقلـم مع ملابسـات الحيـاة الواقعـيـة، وطلب عـبدالرشـيد أن نفـهم كثـيراً من آرائه من هذا المنطلق، وذهب إلى أن الفيلسوف الراحل كـان صـاحب مـواهب فذة، ولـذا كان يحـتـقـر أن يوازن

بالآخرين، ومن هنا كان إعجابه بالوجودية.

أما الدكتورة فوزية أسعد أستاذة الفلسفة في القسم نفسه الذي كان يترأسه الدكتور بدوي، فقد توصلت إلى أن لبدوي ثلاث شخصيات في شخصية واحدة. وقد وصف المؤلف كتابه بأنه مجموعة من المقالات كُتبت على مدار ١٨ عاماً كان يلتقي فيها الفيلسوف الراحل مصادفة، وأوضح المؤلف أنه ضد فكرة ذكر محاسن الأموات؛ لأن ذلك لم يكن أسلوب الفيلسوف الراحل في التعامل مع غيره.

وقد انبرى عدد من أنصار بدوي للدفاع عنه، وهم يرون أنه لا يستحق كل هذا التشويه الشخصي والعلمي، فقد رحل بدوي مخلفاً وراءه ثروة علمية قيمة بلغت أكثر من مئة كتاب بالعربية والفرنسية، بالإضافة إلى مئات الأبحاث والدراسات بالعربية والفرنسية والألمانية.

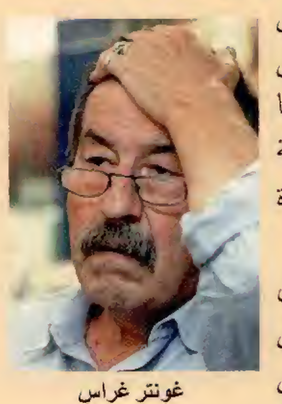
حقوق الملكية الفكرية في أكاديمية نايف

نظم مركز الدراسات والبحوث بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية ندوة علمية بعنوان: «حقوق الملكية الفكرية»، وذلك في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ من المحرم الماضي بمقر الأكاديمية بالرياض.

واشتملت الندوة على عدة محاور منها: «واقع حقوق الملكية الفكرية في الشريعة الإسلامية»، و«التشريعات العربية »، و«الحماية الدولية لحقوق الملكية الفكرية - اتفاقية تربس وتطبيقاتها في الدول العربية» وذلك من حيث القواعد وتسوية المنازعات والآثار الاجتماعية والإبداعية والفكرية المترتبة على حماية حقوق الملكية الفكرية، كما ناقشت الندوة كذلك «دور التنظيمات غير الحكومية في حماية حقوق الملكية الفكرية، والمجالات التي تثير إشكاليات قانونية خاصة (براءات الاختراع، والحاسب الآلي، والإنترنت)»، و«دور أجهزة الشرطة والجمارك في اتخاذ الإجراءات التنفيذية لحماية حقوق الملكية الفكرية».

شارك في أعمال الندوة ممثلون لعدد من الوزارات منها الداخلية والعدل والإعلام، وأساتذة جامعات، بالإضافة إلى بعض المنظمات المتخصصة، مثل المنظمة الدولية للحماية الفكرية.

السيرياليون وغراس يهاجمون بوش



غونتر غراس

وجه التجمع السيريالي رسالة إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش يطالبه فيها «بالتنحي عن السلطة ومغادرة الولايات المتحدة الأمريكية».

وجاءت الرسالة من أطرف البيانات الصادرة في العالم، والمنددة بالحرب التي تشنها الولايات المتحدة الأمريكية على العراق للهجتها الساخرة، وجاء فيها: «سلطتك يا حضرة الرئيس الأميركي هي استبدادية وغير شرعية؛ لأنك لم تنتخب ديمقراطياً من أكثرية الشعب الأميركي إنك تملك أسلحة دمار شامل (نووية وكيميائية وبيولوجية) ترفض أن تدمرها.

إنك ترفض أن تتخلى عن ذلك السلاح، وأن يراقبك مفتشو الأمم المتحدة إنك تقصف وتجتاح بلداناً أخرى باسم «الحرب الوقائية» وإذ أنت تشكل تهديداً لشعوب العالم قاطبة.

نحن - السيرياليين المنتمين إلى عدة بلدان، والمجتمعين في لقاء عام - نمنحك ٤٨ ساعة لتترك السلطة، وتغادر الولايات المتحدة الأميركية.

إنك محاصر بقواتنا ولا فرصة لك، استسلم ونحن نوفر لك حياة آمنة ومأوى سياسياً في أفغانستان».

ومن ناحية أخرى شن الكاتب الألماني غونتر غراس الحائز على جائزة نوبل للآداب ١٩٩٩م هجوماً على الإدارة الأمريكية الحالية، وعلى الرئيس جورج بوش، وقال في كلمته التي ألقاها بمناسبة منحه إحدى الجوائز المحلية الألمانية: «لقد بدأت حرباً كان مخططاً لها بعزم وتصميم منذ وقت طويل، ابتداء من العشرين من

آذار/ مارس ٢٠٠٣م، لم يعد يسري إلا قانون الأقوياء، واستناداً إلى هذا القانون الظالم يمتلك الأقوى السلطة لشراء الراغبين في الحرب ومكافأتهم، واحتقار عدم الراغبين في الحرب بل ومعاقبتهم».

وكان غراس قد حذر بعد أيام من الهجوم الأمريكي على أفغانستان من أن بوش الابن قد يوجه قواته العسكرية بعد الفراغ من طالبان إلى بغداد كي يكمل ما نسي أو عجز الأب عن إتمامه، وحذر من المخططات الأمريكية التي تستهدف العراق وثرواته النفطية.

ويضيف الروائي الألماني قائلاً: إن شعار بوش «من ليس معنا فهو ضدنا».

وضم غراس صوته إلى قافلة الأمريكيين المعترضين على «بربرية القوة» وعلى تقليص حرية التعبير عن الرأي، واستخدام سياسة إعلامية لا تمارسها إلا الدول ذات النظام الشمولي، ويضيف غراس: «كلا ليست معاداة أمريكا هي ما تضر بسمعة هذا البلد، وليس صدام حسين، وليست بلاده التي نزع عنها معظم أسلحتها هي التي تهدد أعظم قوى الأرض، إنه الرئيس بوش وحكومته الذين يعملون على انهيار القيم الديمقراطية، وهؤلاء هم الذين يضرون ببلادهم، وهم الذين يتجاهلون الأمم المتحدة، ويرعبون العالم بحرب منافية للقانون الدولي»، وذكّر الأديب الألماني شعور الألمان بالخزي والعار بعد حربين عالميتين تسببت برلين في اندلاعهما، والآن يشعر هو ببعض الفخر لموقف بلاده التي ترفض هذه الحرب الوقائية على الرغم من كل الضغوط.

القافلة في ثوب جديد

استأنفت شركة أرامكو السعودية إصدار مجلتها المعروفة باسم «القافلة» بعد أن توقفت لإجراء بعض الدراسات بغرض مواكبة المستجدات التي طرأت على الساحة الإعلامية بسبب تدفق المعلومات عبر الوسائل المتعددة.

وقد أسفرت الدراسة عن صدور بعض القرارت الخاصة بإصدار «القافلة» في ثوبها الجديد، ومن هذه القرارات: إصدار المجلة كل شهرين بدلاً من صدورها شهرياً، وزيادة عدد صفحاتها من ٤٨ إلى ٨٠ صفحة قابلة للزيادة حسبما تفرضه طبيعة المواد التي تنشرها، وضرورة التنوع في هذه المواد لتخاطب جميع فئات قراء المجلة، وتلبي حاجاتها إلى المعرفة حيال مختلف المسائل المعاصرة.



القافلة في ثوب جديد

وقد صرح الأستاذ محمد العصيمي رئيس تحرير المجلة أن هذه التغيرات التي طرأت على المجلة لم تفقدها الصلة بماضيها، إذ حافظت على ملامح بارزة من هذا الماضي، خاصة فيما يتعلق بالطرح الثقافي الأدبي المباشر.

وأضاف العصيمي في كلمته التي كتبها في العدد الجديد من المجلة: أن القافلة تحاول القيام بدور صحفي مختلف، بصفتها هدية معرفية تخاطب عقل القارئ ووجدانه، ودعا القراء إلى مؤازرة فريق تحرير المجلة بآرائهم الهادفة، كما حدث خلال الاستفتاء الذي أجرته المجلة بين قرائها، واستفادت من نتائجه في تحديد ملامحها الجديدة.

وقد ظهرت ملامح هذا التغيير الذي طرأ على المجلة في عددها الجديد (مارس/أبريل ٢٠٠٣م)، إذ جاء مغايراً للأعداد السابقة من كل النواحي.

وتعد مجلة «القافلة» أول مطبوعة في المنطقة الشرقية، وتوزع مجاناً على موظفي الشركة، وغيرهم من المواطنين السعوديين، بالإضافة إلى بعض المشتركين في السعودية وفي بعض البلاد العربية.

كتاب يثير جدلاً

أثار الكتاب الذي أصدره المؤرخ الألماني جورج فريدريتش تحت عنوان: «النيران .. ألمانيا والقصف من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥م» عن القصف الذي تعرضت له بلاده خلال الحرب العالمية الثانية ـ جدلاً واسعاً في ألمانيا

وأوربا، وقد تصدر الكتاب قائمة الكتب الأكثر توزيعاً في ألمانيا، وبلغت مبيعاته أكثر من ١٢٠ ألف نسخة.

وكان المؤرخ الألماني قد هاجم القصف الذي تعرضت له بلاده من جانب الحلفاء إبان الحرب العالمية الثانية، إذ دمر الحلفاء ١٣٠ مدينة وقتلوا نحو ٦٣٥ ألف مدني، ووصف هذه الغارات بأنها جرائم حرب، وألمح إلى إمكانية موازنتها بمحرقة اليهود. وكان هذا الموضوع مسكوتاً عنه في الماضي في ألمانيا، بل كانت الأغلبية توافق ضمناً على حجة أن هذه الغارات أضعفت الصناعات الحربية النازية، وعجلت بنهاية الحرب.

وتعطي ذكريات قديمة عن موت نحو ٤٠ ألف مدني في غارة واحدة على مدينة درسدن في فبراير عام ١٩٤٥م دفعة أكبر لحركة السلام الحالية المتنامية والمناهضة للحرب الأمريكية ضد العراق.

وقد تباينت آراء المؤرخين في ألمانيا وبريطانيا حول هذا الكتاب، فبينما وصفه بعضهم بأنه حكايات من جانب واحد أغفلت حقيقة أن ألمانيا النازية هي التي بدأت بشن هذه الغارات على المدنيين في مدن وارسو وروتردام وبلجراد ولندن وكوفنتري، وصفه آخرون بأنه جهد رائع لإلقاء ضوء جديد على موضوع تم تجاهله.

وفاة الكاتب اليمني حمود علي منصور

توفي في الشهر الماضي في اليمن الزميل الصحفي حمود علي منصور عن عمر يناهز ٥٣ عاماً.

ولد الزميل الراحل في قرية تابعة لمحافظة صنعاء عام ١٣٧١هـ، ودرس الابتدائية والإعدادية والثانوية بمدينة تعز، ثم درس المرحلة الجامعية بجامعة صنعاء، ونال (ليسانس الآداب من قسم الجغرافيا).

بدأ العمل محرراً صحفياً بالصفحة الرياضية في جريدة الجمهورية الأسبوعية التي تصدر في تعز عام ١٩٧٤م، وصحفياً في مجلة الإرشاد في قسم المحليات (غير منتظم) ١٩٨٢ - ١٩٨٣م، ثم محرراً متفرغاً بالشؤون المحلية بصحيفة الصحوة بين عامي ١٩٨٨م و١٩٩١م، كما أسهم في تأسيس صحيفة صوت الإيمان عام ١٩٩٣م، وهو عضو في الجمعية الجغرافية اليمنية، وله عدد من المؤلفات المطبوعة، ففي مجال أدب الرحلات: «قبيلي في الصين» ١٩٨٧م، و«أكرمه بدجاجة» ١٩٨٨م، و«بكيت في الخرطوم»، و«الرياض من الباب الخلفي» ١٩٨٨م، وله أيضاً عدد من البحوث القصيرة، هي: «عجائب المخدرات» ١٩٨٧م، و«أضرار القات في الجمهورية العربية اليمنية» ١٩٨٨م، و«انهيار الاقتصاد اليمني» ١٩٩٥م، كما له بحث في النقد الاجتماعي بعنوان «السيارات الخاصة جداً» ١٩٨٧م، بالإضافة إلى عدد من الكتب في أدب الأطفال، «موسوعة المجد للأطفال»، صدر منها: «سد مأرب» ١٩٩٥م، و«البوسنة والهرسك» ١٩٩٥م، و«الشيشان» ١٩٩٥م.

الجدير بالذكر أن الزميل الراحل عمل مراسلاً لمجلة «الفيصل» في اليمن مدة من الزمن، ونشرت له المجلة عدداً من الاستطلاعات عن مدن اليمن. رحم الله الفقيد، وعزاؤنا الحار لأسرته.

أمريكا تنهار


جان جيسنل

تنبأ الصحفي الفرنسي جان جيسنل مؤلف كتاب «الكذبة الرهيبة» بانهيار الإمبراطورية الأمريكية، شأنها في ذلك شأن الإمبراطوريات القديمة، وأكد جيسنل أن الإمبراطورية الأمريكية هي أكثر هشاشة مما يتصوره الكثير. جاء ذلك في محاضرة ألقاها مؤخراً في مركز زايد للتنسيق والمتابعة، وأضاف أنه إذا ما تمت مهاجمة العراق دون موافقة من مجلس الأمن الدولي، فإن ذلك سيكون بمنزلة وفاة للأمم المتحدة التي ستفقد كل الأخلاقيات والمعاني السياسية والقدرة على إبداء آرائها في أي موضوع في المستقبل.

وهاجم جيسنل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن،

ووصفه بأنه ليس رجلاً سياسيًا، ولا يملك ثقافة سياسية دولية تمكنه من التعامل مع المشكلات المطروحة، وأكد جيسنل أن الهدف الأساسي من هذه الحرب هو إعطاء إسرائيل مكانة متميزة في الشرق الأوسط.

وتناول جيسنل نظرية تيري مسيان التي أوردها في كتابه «الخدعة الرهيبة» الذي نفى فيه تحطم طائرة على البنتاجون في ١١ سبتمبر، ووجود مؤامرة من اليمين المتطرف للإطاحة بالرئيس بوش، مؤكدًا صلة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بهذه الأحداث، واستبعد أن يكون الأمريكيون أنفسهم هم الذين خططوا لها. وشكك في إمكانية مقدرة المخابرات الأمريكية على مواجهة احتمالات إرهابية متوقعة.

فلاح وامرأة


فان جوخ

بيعت مؤخرًا في مزاد علني في العاصمة اليابانية طوكيو لوحة فنية للرسام العالمي فان جوخ بمبلغ تجاوز نصف مليون دولار، وتمثل هذه اللوحة، التي جاءت بعنوان «فلاح وامرأة»، فلاحة قوية البنية ومتجهمة وترتدي غطاء رأس أبيض. وكان المزاد قد بدأ على اللوحة بمبلغ بسيط لا يتعدى ٨٠ دولارًا، ولكن هذا الوضع تغير سريعًا بعد أن قام متحف فان جوخ في هولندا بإخبار المسؤولين في المزاد بأن هذه اللوحة تعود إلى الرسام المعروف فان جوخ، ليرتفع المبلغ إلى أكثر من نصف مليون دولار.

وقد اشترى اللوحة رجل أعمال ياباني يدعى توشيو ناكاماتو، ويبلغ من العمر ٧٣ عامًا، وكانت أسواق الفن في العالم قد اهتزت عام ١٩٨٧م عندما اشترت شركة ياسودا اليابانية للتأمين لوحة «عباد الشمس» للفنان جوخ بأكثر من ٣٦ مليون دولار.

المُنمِّي لنظم المعلومات

صدر حديثًا في الرياض معجم «المُنمِّي لنظم المعلومات»، وهو معجم موسوعي شامل لجميع المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بنظم المعلومات: المعدات، والبيانات، والبرمجيات، والأفراد، والإجراءات، والإنترنت، والبروتوكولات.

ويقع المعجم في ٧٨٠ صفحة، ويحتوي على ١٣ ألف كلمة ومصطلح، مترجمة ومشروحة ومنسقة في نحو ١٥٠٠مدخل رئيس، والمعجم مترجم ومشروح من اللغة الإنجليزية إلى اللغتين العربية والفرنسية مع شرح دقيق ومعمق باللغة الإنجليزية، وآخر بالعربية عند الحاجة، كما يتضمن المعجم مقدمة تعريفية بنظم المعلومات، ومكوناتها وآليات عملها، وهو أول معجم يسعى إلى ترجمة وشرح مفاهيم نظم المعلومات ومصطلحاتها مع شرحها قبل تداولها في اللغة العربية.

ومؤلف المعجم هو الدكتور سليم إبراهيم الحسنية، حاصل على درجة الدكتوراه في علوم الإدارة، ودرّس في عدة جامعات عربية، وله عشرة مؤلفات، منها: «نظم المعلومات الإدارية» - مقرر جامعي، و«الإستراتيجية الوطنية لإدخال المعلوماتية في التعليم ما قبل الجامعي في سورية» بتكليف من اليونسكو.

مؤتمر مثقفي العالم

تشهد مدينة سانت بطرسبورج العاصمة الشمالية لروسيا في مايو/ أيار المقبل انعقاد المؤتمر الأول لمثقفي العالم، وذلك في إطار الاحتفالات التي تقام بمناسبة مرور ٣٠٠ عام على إنشاء هذه المدينة، وستقام الاحتفالات في متحف الإثنوجرافيا الروسي.

وقد وجه القائمون على المؤتمر الذي يعقد أول مرة الدعوة إلى عدد كبير من مثقفي العالم ومشاهيره منهم: المخرج تونينو جويرا، ومايكل أنجلو أنطونيوني، والكاتب جابريل جارسيا ماركيز، وعدد كبير من الشخصيات العالمية الأخرى.

ومن الجانب الروسي سوف يشارك في المؤتمر وزير الثقافة ميخائيل شفيدكوي، والأكاديمي الروسي الحائز

على جائزة نوبل في الفيزياء جوريس ألفيروف، وقائد الأوركسترا المشهور فاليري جيرجييف، وسيشهد المؤتمر أيضًا انتخاب اللجنة التنظيمية التي ستقوم بالتحضير للمؤتمرات التالية، كما يتوقع أن يطلق المؤتمرون على مدينة سانت بطرسبورج اسم عاصمة العالم الثقافية في عام ٢٠٠٣م.


جابريل جارسيا ماركيز

جائزة الشيخ علي آل ثاني العالمية

تنظم أمانة جائزة الشيخ علي بن عبدالله آل ثاني العالمية، مسابقة بحثية في مجال الدراسات الإسلامية عن « دور التراث في بناء الحاضر وإبصار المستقبل»، كعنوان لجائزة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وفق المحاور العامة الآتية:

- أهمية التراث في تشكيل شخصية الأمة، وحمايتها، وإغناء حاضرها، ورؤية مستقبلها.
- كيفية التعامل مع التراث: تحقيقًا للنص، وإعمالاً له .. ومعايير القبول والرد.
- الآخر والتراث: التراث - مدخل الاستشراق، وأحد معابر الغزو الثقافي - التبعيض ومحاولات القراءة المذهبية «أدلجة التراث».
- انفتاح التراث على الآخر، «إنسانية التراث الإسلامي»، وقدرة المخزون التراثي على المساهمة في بناء المشترك الإنساني في حقبة العولمة.

وشروط الجائزة هي:

- يُشترط في البحوث المقدمة، أن تكون قد أعدّت خصيصى للجائزة، وألا تكون جزءاً من عمل منشور، أو إنتاج علمي حصل به صاحبه على درجة علمية جامعية.
- يُقدم البحث باللغة العربية من ثلاث نسخ، مكتوباً على الحاسوب، على ألايقل عدد صفحاته عن (٢٠٠) صفحة، ولا يزيد على (٢٥٠) صفحة (A4× ٢٠ سطرًا × ١٠ كلمات)، نحو (٤٠.٠٠٠) كلمة.
- يُرفق مع البحث ترجمة ذاتية لصاحبه، وثبت بإنتاجه العلمي المطبوع وغير المطبوع، بالإضافة إلى صورة جواز السفر وصورة شخصية حديثة، وصورة من القرص الذي طبع فيه البحث.

ترسل البحوث بالبريد المسجل على العنوان الآتي:

مركز البحوث والدراسات: أمانة الجائزة

ص ب ٨٩٣ - الدوحة - قطر، للاستفسار يرجى الاتصال على :

هاتف: ٤٣٢٤٥٨٤ - ٤٤٤٧٣٠٠ - ٤٤٢٠٠٦٦

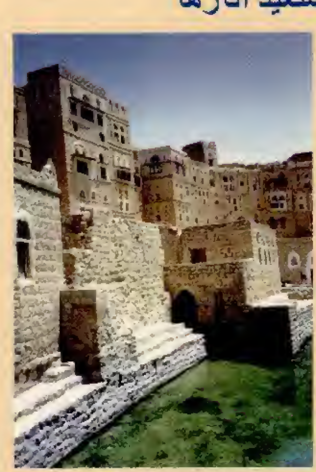
فاكس: ٤٤٤٧٠٢٢ - ٩٧٤/٤٤٢٠٠٩٩..

البريد الإلكتروني

Email:mdirasat@islam.gov.qa:

وتبلغ قيمة الجائزة (١٠٠) ألف ريال قطري، وآخر موعد لاستلام البحوث نهاية شهر يوليو ٢٠٠٤م.

اليمن تستعيد آثارها


مبان يمنية قديمة

أوضح رئيس الهيئة اليمنية العامة للآثار والمتاحف الدكتور محمد العروسي أنه تمت استعادة ٨٦ قطعة أثرية مختلفة بعد أن تم ضبطها لدى مهربين، وبيّن أن من بين هذه القطع ٢٧ قطعة أثرية تسلمتها الهيئة من السفارة السعودية بصنعاء بعد أن ضبطتها قوات الأمن السعودية في مدينة نجران في أثناء محاولة مهرب آثار يمني لبيعها في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى ٢٧ قطعة تسلمتها من أمن محافظة البيضاء، ومثلها من محافظة المهرة، وعلى الصعيد نفسه كشف العروسي عن إحباط محاولة تهريب مسدس قديم مصنوع من الخشب

والحديد يعود تاريخ صناعته إلى بداية القرن العشرين كان بحوزة إحدى المسافرات الأوربيات إضافة إلى بندقية «سك» حجم صغير يعود تاريخها إلى سنة ١٣٠٧هـ.

كتاب في ١٢ ساعة

يأمل ٤٠ كاتباً ألمانياً في تسجيل رقم قياسي عالمي بتأليف كتاب وطباعته في ١٢ ساعة. وستعطي مؤسسة ستيفتونج ليسين لتشجيع القراءة فريق المؤلفين موضوعاً في الساعة ٧.٤٥ صباحاً في اليوم العالمي للكتاب يوم ٢٣أبريل/نيسان الحالي.

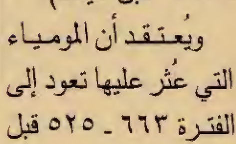
وتهدف المؤسسة إلى طرح الكتاب بعد الانتهاء من إعداده في عشر مدن ألمانية بحلول مساء اليوم نفسه، ومن المتوقع أن يصدر الكتاب في ٩٦ صفحة إذ من المقرر أن يشارك كل مؤلف بنحو صفحتين ومقدمة، وقال كريستوف شافر المتحدث باسم المؤسسة: «بصورة عامة يربط الناس تأليف كتاب بسنوات من الإرهاق الذهني والتفكير الطويل. أردنا أن نؤكد أن الأدب المطبوع يمكن أن ينافس الإنترنت»، وفي العام الماضي احتفلت المؤسسة ومقرها مدينة مينز بيوم الكتاب العالمي بنشر أكبر رواية بوليسية للأطفال في العالم وضع فيها ١٧٠٠ طفل نهايات مختلفة للقصة نفسها.

اكتشافات أثرية جديدة في مصر

أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية مؤخراً أن البعثة الإسبانية المصرية العاملة في مقبرة رئيس خزائن الملكة حتشبسوت، الواقعة في البر الغربي للأقصر (٦٥٠ كلم جنوباً)، عثرت على قطع أثرية مهمة من بينها تابوت يضم مومياء امرأة في حال جيدة، مما يشير إلى إعادة استخدام المقبرة في وقت لاحق.

وكانت البعثة المشتركة قد عثرت في الفناء الخارجي للمقبرة التي تخص رئيس خزائن الملكة حتشبسوت (جحوتي) على تابوت مصنوع على شكل إنسان، وبداخله المومياء، إضافة إلى ثماني مومياوات للصقور التي تمثل (حورس)، كما عثر على وجهين خشبيين: أحدهما يشبه الرسوم المنقوشة على التابوت، وكذلك لوحة خشبية رسمت عليها إحدى الشخصيات، كما عثر أيضاً على قطع من نسيج كتاني بداخلها خرطوشة للملك (أمنحوتب الثاني ١٤٥٠ ـ ١٤٢٥ قبل الميلاد).


آثار مصرية



ويُعتقد أن المومياء التي عُثر عليها تعود إلى الفترة ٦٦٣ ـ ٥٢٥ قبل الميلاد، وهذا ما يمكن تحديده من خلال أسلوب التحنيط الخاص في تلك الفترة من عهد الأسرة السادسة والعشرين.

وكان عالما الآثار: الفرنسي شامبليون، والألماني لبيسوس قد دخلا المقبرة في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، إلا أنها عادت إلى الاندثار بسبب الإهمال في تلك الفترة، وقال رئيس البعثة الإسبانية خوسيه جالان: إن «مقبرة جحوتي من أجمل المقابر الخاصة بكبار رجال الدولة، وتضم عدداً كبيراً من المناظر الرائعة التي تصور حفلات السمر والموسيقى والغناء».

معرض مسقط للكتاب

أقامت العاصمة العمانية مسقط في الأيام الماضية معرضها الدولي الثامن للكتاب في مركز عمان الدولي للمعارض وسط مخاوف الحرب ودعوات السلام، وقد شهد المعرض آلاف الزوار يومياً في ظاهرة أسعدت الناشرين على الرغم من شكوكهم في أن تكون أغلب هذه الحشود للفرجة فقط.

وقد شارك في المعرض نحو ٥٤٢ داراً جاءت من ٢٤ دولة عربية وأجنبية، وعرضت نحو ٥٠ ألف عنوان في مساحة بلغت ٥آلاف متر مربع. وحضر هذا المعرض بعض دور النشر المعروفة كدار الساقي، والمؤسسة العربية للدراسات، ودار الريس، وغيرها، بينما غابت عنه دور مهمة كدار الفارابي، ودار الطليعة، ودار

الجيل، ودار المدى، وشاركت بعض الدور عبر وكيل، فوجدت إصداراتها في المعرض. ويرى بعض المشاركين أن مشاركة هذه الدور مهمة لتعطي المعرض قوة أدبية لابد منها في أي معرض، وقد اتفق الناشرون على أن الرقابة هذا العام كانت متسامحة جداً، وقد تعاملت مع المعرض تعاملاً جيداً.

مؤتمر رؤساء الأندية الأدبية


حسن بن فهد الهويمل

اختتم رؤساء الأندية الأدبية في المملكة العربية السعودية مؤخراً مؤتمرهم السابع عشر الذي استضافه نادي القصيم الأدبي في مدينة بريدة، ووضع المؤتمر عدداً من المحاور أدرجت تحتها التوصيات. وكان المحور الأول هو المحور الأدبي: وفيه أوصى المؤتمرون بمزيد من التفعيل للحركة الأدبية كي تواكب مكانة المملكة العربية السعودية إسلامياً وعربياً وعالميًا، واتخاذ آلية متزنة وشمولية لتواجه التحديات إقليمياً وعربياً وعالميًا.

وكان المحور الثاني هو المحور الاجتماعي، الذي أكد فيه المؤتمرون أن يكون للأندية الأدبية حضور اجتماعي يقدم رؤية متزنة لكل ما يجب أن يكون عليه المجتمع في مواجهته للمستجدات الإعلامية والمعرفية التي تضخ عبر القنوات الفضائية وشبكات الإنترنت، وسائر وسائل الاتصال التي حولت العالم إلى قرية صغيرة.

وجاء المحور الثالث عن الأمور الإجرائية «المالية»، فاهتم المؤتمرون بتطوير آليات الأندية الأدبية لمواكبة المستجدات، خصوصاً فيما يتعلق بالتواصل فيما بينها.

وقد بدأت فعاليات المؤتمر بأمسية شعرية شارك فيها كل من الشعراء: د.محمد العيد الخطراوي، ود.عياد الثبيتي، ود.عبدالعزيز العبدالهادي، ود.عبدالله الرشيد، وعلي النعمى، وحسن الزهراني، ومحمد العطوي، ومحمد الحمد.

وصاحب المؤتمر ندوة نظمها نادي القصيم الأدبي بعنوان: «الرواية بوصفها الأقوى حضوراً»، أدارها عبدالله الشهيل، وقُدم خلالها عدد من الأوراق.

تشرين الأسبوعي تحتجب

قررت مؤسسة تشرين للصحافة والنشر الرسمية السورية وقف إصدار مجلتها الأسبوعية الوحيدة «تشرين الأسبوعي» إثر تعرضها لخسارة بلغت ١٣ مليون ليرة سورية، وكانت المجلة قد بدأت في الصدور منذ ٥ أعوام أصدرت خلالها ٢٤٨ عدداً ترتب على توزيع كل عدد منها في السوق السورية خسارة بلغت نحو ٥٢٤١٩ ليرة سورية حسب ما ذكرت مصادر صحفية سورية..

وكانت الصحافة السورية قد شهدت انتعاشًا في الآونة الأخيرة نتيجة صدور المرسوم التشريعي رقم ٥٠ الصادر في سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠١م الذي سمح بإعادة منح تراخيص لجهات خاصة لإصدار مطبوعات ومجلات سورية في مختلف التخصصات، وقد ترتب على ذلك صدور عدد من المطبوعات الجديدة.

معجم المصطلحات التربوية

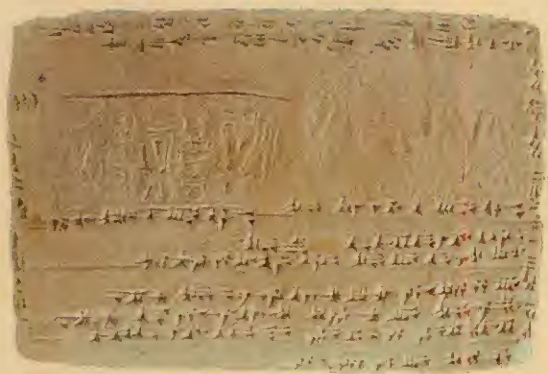
صدر مؤخراً عن مكتبة لبنان في نطاق سلسلة منشوراتها المعجمية المتنوعة، عمل معجمي بارز للدكتور الراحل فريد نجار - أحد رواد الدراسات التربوية في لبنان - وقد وُصف هذا العمل من قبل ناشريه بأنه أوسع عمل من نوعه في مجال هذه الدراسات.

واشتمل هذا العمل الذي جاء تحت عنوان «المعجم الموسوعي لمصطلحات التربية .. إنجليزي عربي» على مايزيد على خمسة عشر ألف مصطلح مشروح شرحاً موسوعياً أو شبه موسوعي، وتتناول هذه المصطلحات علم التربية، وعلم النفس التربوي، والتخطيط التربوي، وتكنولوجيا التعليم والتربية، وعلم الاجتماع التربوي، والنظريات والتيارات والمذاهب التربوية، بالإضافة إلى الأنظمة والهيئات والأساليب والمناهج التربوية، وقد زُوِّد المعجم «بنظام إحالة متماسك ليقود الباحث والطالب إلى

المترادفات والمتشابهات وإلى المصاحبات الاصطلاحية، إذ تزداد المعارف، وتغتني المعلومات، وتتصل الأفكار التي توزعتها المصطلحات».

ولد الدكتور فريد نجار عام ١٩٠٧م، وتوفي عام ١٩٩٤م، ويعد واحداً من رواد الدراسات والأبحاث التربوية والعمل الأكاديمي التربوي في لبنان، ونال درجة الماجستير في التربية وعلم النفس من الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم شهادة الدكتوراه في التربية من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وتولى التدريس في دار المعلمين العليا في بغداد، ثم في الجامعة الأمريكية في بيروت.

تحقيق النصوص المسمارية



لوحة مسمارية

عقدت دائرة التراث العربي والإسلامي بالمجمع العلمي في بغداد قبيل نشوب الحرب الأخيرة حلقة نقاشية بعنوان «تحقيق النصوص المسمارية، وتثبيت أسس المدرسة العراقية في قراءتها»، حضرها عدد كبير من الأساتذة المختصين بحقل الدراسات المسمارية وطلبة الدراسات العليا في قسم الآثار بجامعتي بغداد والموصل، وذلك لوضع أسس متينة لمدرسة عراقية لقراءة النصوص المسمارية وتحقيقها، وتفسير ما ورد فيها من منظور عربي باستخدام كل الوسائل الممكنة.

وقد ركزت الحلقة في نقاشها في قراءة النصوص المسمارية وتدوينها بالحروف العربية إلى جانب الحرف اللاتيني لكون الحرف العربي أكثر ملاءمة لتدوين اللغات العراقية القديمة، كذلك ركزت الحلقة في اعتماد طريقة تدوين اللغة الأكادية بالحرف العربي إلى جانب الحرف اللاتيني، بالصيغة التي وردت في المعجم الأكادي أو تعديلها، واقتراح إجراء تغييرات معينة عليها، ودعت الحلقة إلى تدريب طلبة الدراسات العليا المسمارية على استخدام الحرف العربي في تدوين اللغات العراقية القديمة إلى جانب الحرف اللاتيني، وتشجيع الباحثين الأجانب على استخدام الحرف العربي عند ترجمتهم للنصوص المسمارية.

كذلك ناقشت الحلقة إمكانية الاستفادة من التقنيات الحديثة في الدراسات المسمارية، بعد أن تبيّن إمكانية استخدام الحاسوب لخزن العلامات المسمارية وتصنيفها، وقد طلبت الحلقة من الجامعات والمؤسسات العلمية الأجنبية تزويدها بآخر ما توصلت إليه من محاولات في مجال فهرسة العلامات المسمارية بالطرائق الحديثة.

أعضاء جدد في مجمع الخالدين

انتخب مجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) المصري برئاسة الدكتور شوقي ضيف عشرة أعضاء جدد خلفاً لأعضائه الذين رحلوا في الفترة الماضية، والأعضاء الجدد هم: الدكتور صلاح فضل أستاذ الأدب العربي بآداب عين شمس ورئيس دار الكتب والوثائق القومية المصرية، والدكتور محمد حماسة عبداللطيف أستاذ الأدب بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، والدكتور أحمد علي الجارم أستاذ طب المناطق الحارة، والدكتور محمود فوزي المناوي الأستاذ بطب القاهرة، والدكتور حسنين ربيع أستاذ التاريخ في جامعة القاهرة ورئيس فرع الجامعة العربية المفتوحة في مصر، والدكتور عبدالحميد مدكور أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، والدكتور محمد إبراهيم الفيومي أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة الأزهر، والدكتور محمد بلتاجي أستاذ الشريعة الإسلامية في جامعة القاهرة، والدكتور علي حلمي موسى أستاذ الفيزياء بعلوم عين شمس، والدكتور عبده علي الراجحي أستاذ اللغة والأدب.

ومن ناحية أخرى عقد المجمع مؤتمره السنوي رقم ٦٩ في الرابع والعشرين من مارس/ آذار الماضي، ويستمر مدة أسبوعين تحت عنوان «معاجمنا اللغوية .. حاضرها ومستقبلها».


شوقي ضيف

وقد تسببت الحرب الدائرة في العراق في غياب عدد كبير من أعضاء المجمع من بينهم رئيس المجمع الأردني الدكتور عبدالكريم خليفة، ورئيس المجمع العلمي السوري الدكتور شاكر الفحام، والدكتور إحسان النص من سورية، والدكتور إحسان الدين أكمل أوغلو من تركيا، والدكتور شفيق الخطيب من فلسطين، والدكتور عبدالهادي التازي، والدكتور أحمد مطلوب من العراق.

فائز أبا يترجم لبورخيس

صدرت أخيراً عن دار ميريت للنشر والمعلومات الترجمة العربية لكتاب «التاريخ الكوني للخزي وقصص أخرى» للأرجنتيني خورخي لويس بورخيس، وقام بترجمة الكتاب الناقد السعودي فائز أبا، ويعدّ هذا الإصدار أول كتاب للمترجم بعد تجربة كتابية قاربت ٣٠ عاماً شارك خلالها في المشهد الثقافي السعودي، حتى أصيب بجلطة دماغية لا يزال يعالج منها، وقد تضمن الكتاب المترجم تسع قصص هي: ايستمان الناسك، وخدين المخازي، والمخلص المتوحش: لازاروس موريل، والدجال الأبله: توم كاسترو، والقاتل الضجر: بيل هاريفان، والهالة، و٢٥ أغسطس ١٩٨٣م، والميت، وأمازنز.

ويصنف خورخي بورخيس في قائمة كبار كتّاب القرن العشرين على الرغم من عدم حيازته جائزة نوبل، وقد احتفل الأرجنتينيون قبل ثلاث سنوات بمئوية ميلاده، وكرمته معظم الأوساط الثقافية العالمية اعترافاً بمكانته الأدبية، وإسهاماته في مجالات الشعر، والقصة، والسيرة، ودوره في إقامة جسر بين اللغتين الإسبانية والإنجليزية.

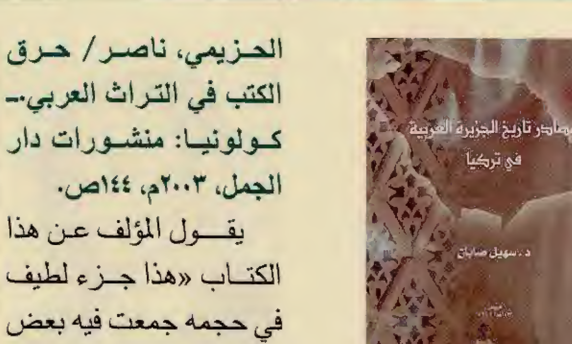
مؤتمر دولي عن الآثار العثمانية

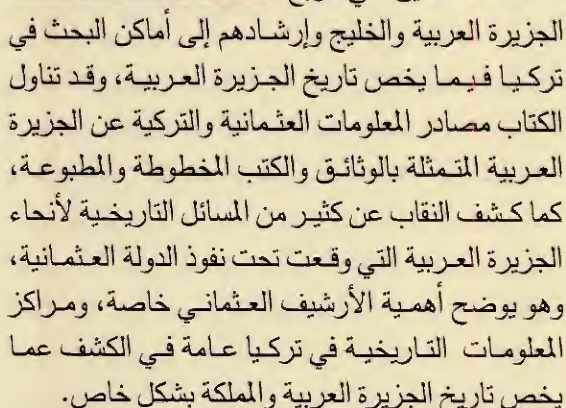

عبد الجليل التميمي

نظمت مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات في زغوان في تونس، مؤخراً المؤتمر الدولي السادس للآثار العثمانية في العالم، وقد تركزت أعمال المؤتمر في ثلاثة محاور رئيسة هي: المدن والموانئ العثمانية، والعمارة السكنية في العالم العثماني، والمنشآت المدنية والدينية في البلدان التي خضعت للنفوذ العثماني. وشارك في المؤتمر الذي يعقد سنوياً مؤرخون وباحثون من عدة بلدان عربية. إضافة إلى فرنسا، وتركيا، وقبرص، وبريطانيا، وهولندا. ومن الموضوعات التي بحثت في الجلسات العلمية: علاقة المدن والموانئ العثمانية مع الهجر ومع خلفيتها الجغرافية، والثقافة البيتية في بيروت بين أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين، والسمات العثمانية في تطور البيت القبرصي التقليدي، والتكايا العثمانية في القاهرة ودمشق وبيروت، والمدينة والميناء في شرق المتوسط، وأسواق بغداد في العهد العثماني، وعمارة البيوت الأرستقراطية في ضاحية منوبة التونسية، والثغر العثماني«بوستيلج» في الهرسك، والمنشآت المدنية الدينية في مدينة بنزرت التونسية. وقال الأستاذ عبدالجليل التميمي مدير مؤسسة التميمي للبحث العلمي في افتتاح المؤتمر: «إن الدولة العثمانية التي امتدت على ثلاث قارات من العالم القديم تركت ثروة أثرية وأرشيفية مهمة، وعدداً لا يحصى من المعالم والمنشآت والقطع الفنية التي باتت إرثاً للإنسانية قاطبة».

من جهة أخرى تنظم مؤسسة التميمي للبحث العلمي في الفترة ١٩-٢١يوليو/تموز المقبل المؤتمر الثاني عشر لمنتدى الفكر العربي حول مؤسسات الرقابة والبحث العلمي في الوطن العربي: الواقع والحدود والآفاق.

صابان، سهيل / مصادر تاريخ الجزيرة العربية في تركيا.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م/٢٣٠ص.





يهدف الباحث من هذه الدراسة إلى توجيه أنظار الباحثين العرب المتخصصين في تاريخ الجزيرة العربية والخليج وإرشادهم إلى أماكن البحث في تركيا فيما يخص تاريخ الجزيرة العربية، وقد تناول الكتاب مصادر المعلومات العثمانية والتركية عن الجزيرة العربية المتمثلة بالوثائق والكتب المخطوطة والمطبوعة، كما كشف النقاب عن كثير من المسائل التاريخية لأنحاء الجزيرة العربية التي وقعت تحت نفوذ الدولة العثمانية، وهو يوضح أهمية الأرشيف العثماني خاصة، ومراكز المعلومات التاريخية في تركيا عامة في الكشف عما يخص تاريخ الجزيرة العربية والمملكة بشكل خاص.

ويقدم الكاتب صورة واضحة لما تضمه تلك المصادر من معلومات شتى، يصعب الوصول إليها من طرائق أخرى.

يتضمن هذاالكتاب فصلين رئيسين: يلقي الفصل الأول الضوء على تصانيف الأرشيف العثماني ووثائقه من خلال دفاتر الصرة - ودفاتر الصادر والوارد، ودفاتر المهمة في الأرشيف العثماني، ودفاتر السجلات الشرعية، ودفاتر العينيات، وأرشيف قصر طوب قابي، وأرشيف البحرية في إستانبول، وأرشيف الجمهورية في أنقره.

أما الفصل الثاني فيركز في الكتب العثمانية والتركية وتتمثل الكتب العثمانية في سالنامات الولايات العثمانية، وسالنامات ولاية الحجاز، ومنشآت سلاطين، أما الكتب التركية فتتمثل في رسائل علمية عن الجزيرة العربية في الجامعات التركية، إضافة إلى ملحق ببيلوجرافي عن المراجع العثمانية التركية المتعلقة بالجزيرة العربية.

الحزيمي، ناصر / حرق الكتب في التراث العربي.- كولونيا: منشورات دار الجمل، ٢٠٠٣م، ١٤٤ص.



يقول المؤلف عن هذا الكتاب «هذا جزء لطيف في حجمه جمعت فيه بعض ما مر بي من حوادث إتلاف الكتب وأخبارها في التراث العربي قصرته على نوعين فقط من الإتلاف.

الأول: إتلاف السلطة للكتاب، وتتجلى السلطة هنا بجميع أنماطها وتحليلاتها سواء أكانت هذه السلطة تتمثل بسلطة الحاكم أو المجتمع أو الفرد أم تتمثل بسلطة الإيديولوجيا أو العادات والتقاليد.

الثاني: الإتلاف الشخصي للكتب ويتمثل بالإتلاف لأسباب علمية أو اعتقادية أو نفسية».

واستثنى المؤلف من ذلك الإتلاف بسبب الحروب والقلاقل بسبب الحوادث والكوارث؛ لأنه قصد إبراز السبب القصدي وراء إتلاف الكتب، وبيّن كذلك طرائق الإتلاف، ودور السلطة في اغتيال الكتب، والعلماء الذين أتلفوا كتبهم.

الحامد، محمد بن معجب (وآخرون)/ التعليم في المملكة العربية السعودية: رؤية الحاضر واستشراف المستقبل.- الرياض: المؤلف، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٤٧٢ ص.



يتضمن هذا الكتاب أحد عشر فصلاً، يستعرض الأول البدايات الأولى لتأسيس التعليم في المملكة العربية السعودية والتطور التاريخي له، ويوضح الفصل الثاني الأسس التي يقوم عليها نظام التعليم، ويتطرق الفصل الثالث إلى تحليل واقع النظام التعليمي في مرحلة التعليم

العـام، بينمـا يتنـاول الفـصل الرابـع التـعليم العـالي وتنظيمـاته ووظائـفـه، أمـا الفصل الخـامس فـجـاء عن التعليم الفني، وخـصص الفصل السادس لـلتعليم الأهلي العـام منه والعـالي، وعـرض المؤلف في الفصل السـابع لبعض الأنظمـة التعملية ذات الأهداف النوعيـة مـثل تعليم ذوي الاحـتيـاجـات الخـاصـة، وحلل في الفصل الثامن النظام لإعداد المعلم وتدريبه، وفي الفصل التاسع استخلص عـدداً مـن مـشكلات النظام التعليـمي التي تستغرق مراحله كـافـة، وتنـاول في الفصل العـاشر التجديدات التربوية في نظام التـعليم السعودي، واختتم الكتـاب بالتوجـه صـوب المستقبل التعليمي في محـاولة لاستشرافه وفق منهجية علمية ترصد اتجـاهات النمو والتطور في بنيـته، والفرص والإمكانات المتـاحة لمغالبة المخاطر التي تعترضه.

سـالم، مـحـمـد عـدنان (وآخرون)/ مـشكلات في طريق النهوض ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢٢٤ص.

احتوى هذا الكتاب على عـدد مـن المقـالات الهـادفـة هـي: مـن التـطـرف إلـى الحـوار، والغش وعـدم الإتقـان، وأولوية القـراءة في حـيـاة الناس، والتكسب بالدين، والحـلال والحـرام في الإسـلام، وقـيـمـة الوقت، وسلوك المعلم، والحـفـاظ علـى البـيـئـة والتـعـصب، والإسراف، والرياضة، والعشوائية، والأنانية والأمانة، والتـقليـد الأعـمى، والمسؤوليـة، وثقـافـة الاستـهلاك واستنزاف الموارد.

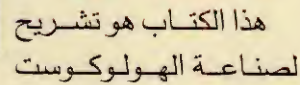
والكتاب ـ كما يقول مؤلفه ـ موجه لسواد المثقفين الذين يرجى أن يكـون التطوير الاجتـمـاعي على أيـديهم، في زمن طغت فيـه التقاليـد والظروف الطارئة، فغيرت من الأخـلاق العـامـة الـسديدة التي نعـتـز بـهـا، وانحـرفت بمفاهيم العامة عن جادة الحق والخير.



مـيـسـونيـه، مـارتن و(آخـرون)/ اليـورانيـوم المنضب الحـرب الخـفـيـة، ترجـمـة: أركـان يـوسف بيثون ـ بغداد: بيت الحكمة، ٢٠٠٢م، ٤٧٣ص.

بعـد انـتـهـاء «حـرب الخليج الثـانية» وبعـد مرور أشهـر على انتهـاء الحرب، بدأ بعض العسكريين الأمريكيين يعـانون آلاماً غريبة، مثل نزيف اللثـة، أو دم يظهر على الجلد، أو تدهور في العمل الوظيفي للكلية، وتطور في الحالات السرطانية، والأسـوأ من ذلك كله أن بعـض هؤلاء رزقـوا أطفـالاً مـشـوهين فـي أحـيـانًا، وارتفعت أصـوات تدعـو إلى الكشف عمـا تخفيـه هذه «الحرب النظيفـة» الشهـيرة: هل استخدم العراقيـون أسلحة كيماوية؟ هل من الممكن أن العـسكريين قد تسـممـوا من جراء تصـاعد حـرائق آبار النفط؟ هل تسـمموا باللقـاحات التي تلقـوها قبل بدأ الأعمال العـسكرية أم أنهم ضحايا لآثار جـانبية سببها استـخدام هذه الأسلحـة الجديدة والفعـالة بشكل رهيب والتي تعـتـمـد صناعـتـهـا على اليـورانـيـوم المنضب؟ طرحت الأسئلة بشكل حاسم تدريجـيًا، لكن المسؤولين العـسكريين الأمريكيين، والسلطات العسكرية المعنيـة نفت وجـود أي عـلاقة بين الأمـراض التي عـرفت منذ ذلك الحين «لعنة حـرب الخليج»، والأسلحـة المصنعـة من اليـورانيـوم المنضب، ونظم الجنـود الأمـريكيـون أنفسهم ليدفعـوا بالجيش إلى الإقرار بأن هذه الأمراض مـرتبطة بمشـاركـتـهم فـي حـرب الخليج الثـانيـة، وقـد اكـتشف المـؤلف مارتن مـيـسـونيه وهو منـتـج ومخـرج فرنسي وزمـيله روجيه ترلـنج خلال رحلة قامـا بها إلى العراق حكايات الأشخـاص المصابين بهذه الأمراض، وانتهى ميسونيه من عمل فيلم أثر تأثيراً كبير في الرأي العـام، وسـبب قلقًـا لدى العـسكريين الفرنسـيين الذين شـاركـوا فـي «حـرب الخليج»، والذي طالبـوا بفـتـح تحـقـيق برلماني بعـد مرور عشـر سنوات ، في غـضون

ذلك قام صحفي بلجيكي يدعى فردريك لور بمواصلة التحقيق الذي قام به كل من ميسونيه وترلنج، وقام بزيارة لصربيا والبوسنة وكوسوفو، وأبدى فيه اهتماماً كبيراً بالنتائج التي خلفها استخدام أسلحة اليورانيوم المنضب على العسكريين والسكان اليوغسلافيين.



فنكلستين، نورمان/ صناعة الهولوكوست: تأملات في استغلال المعاناة اليهودية، ترجمة: سماح إدريس وأيمن حداد، ـ بيروت: دار الآداب، ٢٠٠١م، ١٥٢ص.

هذا الكتاب هو تشريح لصناعة الهولوكوست (المحرقة اليهودية) وشجب لهذه الصناعة في الوقت نفسه، وقد برهن المؤلف أن «الهولوكوست» (بال التعريف) إنما هي تصوير مؤدلج للهولوكوست النازية، وكشف حقائق طمست في أكبر الدراسات المتعلقة بالهولوكوست، كما كشف الكاتب زيف عدد من شهادات «الناجين من الهولوكوست»، كما فضح الخداع الذي تمارسه المنظمات اليهودية الأمريكية بحق الدول الأوربية، وبحق «الورثة الشرعيين» للحسابات اليهودية الهاجعة في البنوك الأوربية من أجل ابتزاز أكبر قدر من المال لدعم خزائن تلك المنظمات، ولدعم إسرائيل، وتسهيل الهجرة إليها.

يحوي الكتاب ثلاثة فصول رئيسة: يوضح الفصل الأول كيفية تحويل الهولوكوست (النازية) إلى «الهولوكوست»، بينما جاء الفصل الثاني بعنوان «المحتالون والمتاجرون والتاريخ» أما الفصل الأخير فيوضح الابتزاز المزدوج الذي مورس على «الناجين من المعسكرات النازية» إذ زعمت صناعة الهولوكوست أنها تمثل يهود العالم بأجمعهم أحياءهم وأمواتهم، وراحت تدعي ملكيتها لأرصدة اليهود في كل أنحاء أوربا خلال حقبة الهولوكوست. وهذا الابتزاز المزدوج للدول الأوربية وللمطالبين اليهود الشرعيين، هو «الفصل الأخير» من الهولوكوست، وقد بدأ بابتزاز ألمانيا، ثم سويسرا، ثم ابتزاز أوربا الشرقية.



الجبوري، صفاء كامل/ موسوعة العلماء والمكتشفين والمخترعين.ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٣م، ٥١١ص، (سلسلة المعاجم العلمية).

تهدف هذه الموسوعة إلى تقديم أعلام النهضة العلمية وسيرتهم العلمية، وما واجهوه من صعوبات ومشكلات، واقتفاء آثارهم، والاطلاع على معاناتهم وملاحظة جهودهم، وقد ركزت هذه الموسوعة في علماء الاكتشاف والاختراع لما لهم من دور في صوغ الحياة التي نحياها اليوم.

وجاء منهج المؤلفة في إعداد مواد هذه الموسوعة على النحو التالي: أوردت الاسم الكامل للعالم أو المكتشف أو المخترع، ونسبه ولقبه، ابتداءً بما اشتهر به لقبًا كان أم اسمًا، موضحة مرادفه بالحرف اللاتيني لئلا يلتبس اللفظ، كما ترجمت له بصورة موجزة ومركزة، تبدأ من تاريخ ولادته ومكانها، ثم أدوارحياته العلمية من مدارس وأساتذة إلى تلقيه الاختصاص، بعد ذلك أهم إنجازاته العلمية من آثار علمية وبحوث واكتشافات، ولغرض إتاحة الفرصة لمن يريد التعمق والتفاصيل الحقت المؤلفة بكل ترجمة قائمة بالمصادر التي يمكن الرجوع إليها إضافة إلى المرجع الذي اعتمدته في الترجمة.

فلفل، محمد عبدو/ اللغة العربية ثوابت ومتغيرات: دراسات في التغير اللغوي؛ الدواعي والآفاق.ـ دمشق: دار الينابيع، ٢٠٠٢م، ١٩٧ص.

يحاول المؤلف في هذه الدراسة تلمس معالم قضية وإشكالية في حياتنا اللغوية، وهي معادلة يجب على

لغتنا أن تحققها ـ كما يقول ـ وهذه المعادلة تتمثل بثبات أساسيات هذه اللغة ثباتاً يحفظ لها أصالتها وقدرتها على التواصل مع التراث، كما تتمثل بتغير جوانب هذه اللغة تغيراً يضمن لها حيويتها ومسايرتها تطور الحياة، واستقطاب معطيات هذا التطور، واللغة العربية تبدو اليوم أكثر اللغات حيرة بين الولاء لماضيها وماضي أصحابها الثقافي، والتزام متطلبات الحضارة الحديثة، والمطلوب هو السعي إلى توازن لغوي خلاق بين الولاء للماضي العريق، والالتزام والحاضر المبشر.

وجاءت موضوعات الكتاب كالآتي: اللغة العربية بين الثبات والتغيّر، واللغة العربية قراءة في الواقع والطموح، والتوهم أو القياس الخاطئ في اللغة العربية: مفهومه ومصطلحاته وأثره، ومن آثار القياس الخاطئ في اللغةالعربية المعاصرة، وقراءة عملية في لغة الصحافة السورية، ومنزلة الشاهد الشعري عند النحاة، والعلاقة بين الضرائر واللهجات عند أعلام النحاة، وبنية اللغة الشعرية بين القدماء والمحدثين، وفي نبر اللغة العربية وتنغيمها.

الشرقي، منيرة بنت عبدالرحمن/ علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين: دراسة في أوضاعهم الاقتصادية وأثرها على مواقفهم السياسية.ـ الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣هـ، ٧٩٤ص.

يتكون هذا الكتاب من مقدمة، وستة فصول، وخاتمة، فقد ضمت المقدمة أهمية الموضوع ومنهج دراسته، ونقد المصادر والدراسات الحديثة، وتناول الفصل الأول الأحوال العامة للأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ويتحدث الفصل الثاني عن علماء الأندلس في القرن الرابع الهجري وعن أعدادهم، ومراكزهم العلمية، وهجراتهم، ورحلاتهم، بينما يلقي الفصل الثالث الضوء على علماء الأندلس في القرن الخامس الهجري من حيث: أعدادهم، ومراكزهم العلمية، وهجراتهم، ورحلاتهم، والقادمون إلى الأندلس، ويتناول الفصل الرابع العاملين بالخطط العامة وهم على ضربين: العاملون بالخطط الإدارية، والعاملون بخطط القضاء وما يتعلق به. ويتناول العلماء على أساس الحقب المختلفة ويركز في أوضاعهم الاقتصادية وشرائحهم الاجتماعية، بينما جاء الفصل الخامس عن العاملين بالوظائف الخاصة في الحقب الأربع ويشير إلى مكانتهم الاجتماعية وأوضاعهم الاقتصادية، واستعرض الفصل السادس أثر الأوضاع الاقتصادية للعلماء في مواقفهم السياسية بالحقب الأربعة المختلفة، وضمت الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وختمت بتسعة ملحقات، وثبت للمصادر والدراسات الحديثة.



العلاونة، أحمد/ خير الدين الزركلي: المؤرخ الأديب الشاعر صاحب كتاب الأعلام.ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٩٠ص (علماء ومفكرون معاصرون؛ ٢٠).

يقول المؤلف « آلمني أني لم أجد أحداً أفرد كتاباً للحديث عن سيرة الزركلي ومؤلفاته وخصوصاً كتابيه: (الأعلام)، و(الديوان) .مع أن كثيراً من الشعراء المحدثين الذين لا قيمة لشعرهم، كتبت فيهم

وفي شعرهم كتب كثيرة، وتعجبت من أن يستقصي الزركلي أعلام أمته وينتشل الكثير منهم من بحر النسيان، ثم لا يتناوله أحد في كتاب، فقد توفي ولم تكتب عنه إلا أسطر قليلة مأجورة في صفحة نعي في الأهرام».

قسم المؤلف كتابه فصلين رئيسين: الأول قدم فيه لمحات إلى حياة خير الدين الزركلي وإلى أصله وولادته ونشأته وتعلميه وشيوخه، ثم تحدث عن مراحل حياته منذ خروجه من دمشق بعد وقعة ميسلون عام(١٩٢٠م)، حتى وفاته بالقاهرة عام ١٩٧٦م، وتحدث عن ذريته وحليته وشمائله ورحلاته وخزانة كتبه، وتحدث عن الزركلي شاعراً وناثراً ومؤرخاً، ومجاهداً ثائراً، وولعه بالبحث والمطالعة، وتقبله النقد، وخصص الفصل الآخر للتعريف بمؤلفات الزركلي مثل كتاب «الأعلام»، و«ديوان الزركلي»، وكتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز»، و«عامان في عمان»، وكتاب ما «رأيت وما سمعت»، و«الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز».

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي/ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، جمع وتحقيق: محمود الجليلي.- بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م،٥٩ ص، (مج١).

هذا الكتاب فريد كما جاء اسمه، فقد تضمن تراجم من عاصرهم المقريزي فكتب عنهم وعن أخبارهم دون أن ينقل من كتب أخرى، واستغرق تأليفه عدة سنوات من عمر الخمسين إلى عمر الثمانين.

يتناول الكتاب فترة مهمة من تاريخ مصر وبلاد الشام والحجاز زادت على ثمانين سنة، فهو يذكر من كان حيًا سنة ٧٦٠هـ حتى توقف المؤلف قبل وفاته بقليل، فقد توفي في رمضان سنه ٨٤٥هـ.

ويتميز هذا الكتاب من مؤلفات المقريزي الأخرى أنه يعتمد على اتصالاته وملاحظاته الشخصية عن المجتمع، وبخاصة عن رجال الحكم والسلطة ورجال القضاء، وأصحاب العلوم الدينية خاصة رجال الحديث، وكذلك التفسير والفقه، ثم يترجم لبعض التجار، ويشير إلى المشكلات الاقتصادية، ثم يذكر حكام البلاد المجاورة وبداية حكمهم.

فالكتاب يتضمن رواية وقائع شهدها أو رافقها كثيرون ممن وردت تراجمهم فيه، ويعكس الظروف السياسية، والإدارية والقضائية والثقافيه والاجتماعية والأقتصادية في ذلك الوقت.



أبوسليمان، عبدالوهاب بن إبراهيم/ العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري.- الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢٥٤ص.

يقدم هذا الكتاب ترجمة لنحو تسعة عشر عالمًا وأديبًا عاشوا في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري، إذ يركز البحث في عنصرين في الشخصية هما: توافر العلم لدى المترجم له، وثبوت أحترافه الوراقة في صورة من صورها، لذا جاءت الدراسة عن كل شخصية محتوية على عنوانين هما: بطاقة الوراقة والحياة العلمية، ويحتوي الكتاب على قسمين: الأول بعنوان: الوراقة تعريف وفقه وتاريخ، ويشتمل على الموضوعات الآتية: الوراقة تعريف وتأصيل، ومكانة الوراقة في الإسلام، وفروع الوراقة التقليدية القديمة، وفقه الوراقة وآدابها، وأسواق الورّاقين في الحجاز قديماً وحديثًا، ويقدم القسم الثاني ترجمة وتصنيف هذه الفئة من الأعلام المتميزين حسب توجهاتهم وأنشطتهم العلمية، إضافة إلى خاتمة للبحث.

عالم المخطوطات والنوادر
(مج٧، ع٢، رجب - ذو الحجة١٤٢٣هـ/سبتمبر٢٠٠٢م - فبراير ٢٠٠٣م)

ملحق محكّم نصف سنوي يصدر عن عالم الكتب بدعم من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.

احتوى هذا العدد من الملحق على عدد كبير من الموضوعات التي جاءت في إطار تخصصه، بدأ بالمخطوطات، وقدم عبدالرحمن السديس تحقيقًا لمخطوطة «الواضح في أُصول الفقه» لأبي الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي (٤٣١ - ٥١٣هـ) من بداية: «مسألة نسخ القرآن بالسنة» إلى نهاية: «مسألة حكم الناسخ إذا ورد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يبلغ أمته»، كما حقق إبراهيم بن سليمان البعيمي مخطوطة «رسالة في الحدود النحوية» المنسوبة إلى أبي الفضل القاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني (ت ٨٥٤هـ)، وختم باب المخطوطات إبراهيم ابن صالح الحندود بتقديم دراسة وتحقيق لمخطوطة «شرح الأمير على نظم السجاعي في (لاسيما) وما يتعلق بها».

وتناول عبدالرحمن بن عبدالله العبيد بالدراسة والتحليل «بداية المخطوط العربي» مبينًا أن مقدمة المخطوط أو بدايته تفيد في أغراض متعددة، وتحوي معلومات كثيرة، كما بين أنه يمكن من خلال المقدمة الاستدلال على: مؤلف الكتاب، والعنوان، ومصادر المؤلف، وسبب التأليف، وتحديد بداية المخطوط، وموضوعه، وتاريخه، ومحتوياته، ومنهج المؤلف، ومعلومات أخرى متنوعة، كما أوضح أن هذه المعلومات قد توجد كلها، وقد يوجد بعضها؛ بل قد لا يوجد أي شيء منها؛ وذلك عند فقدان بداية المخطوط.

وجاء في باب الوثائق - نصوص: «رسائل مالك بن نبي .. صفحات من المذكرات المهملة» لفوزية محمد بريون، وأوضحت الباحثة أن هذه الرسائل تحفل بالتفاصيل الصغيرة التي قد تتيح للمهتمين بفكر مالك بن نبي وحياته الاستفادة منها في تسليط مزيد من الأضواء على مراحل مهمة من حياته.

وختمت بحوث الملحق بباب الصناعات والحرف اليدوية - الأبواب الخشبية، وفيه قدم ناصر بن علي الحارثي دراسة عن «باب خشبي مؤرخ عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م محفوظ في متحف عبدالرؤوف حسن خليل بمدينة جدة»، وفيها قدم الباحث وصفًا وتحليلاً للباب من الناحية الفنية من حيث مادته الخام، أو طريقة صناعته، أو أسلوب زخرفته، أو تصميمه، أو أنواع الزخارف الممثلة به، مع إجراء المقارنات اللازمة بأبواب أخرى.

العنوان: ص.ب: ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧

الهاتف: ٤٧٧٧٢٦٩ - ٤٧٦٥٤٢٢ - ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨

الثقافة العالمية
(س٢٢، ع١١٧، مارس - أبريل ٢٠٠٣م)



مجلة علمية أكاديمية فصلية محكّمة تترجم الجديد في الثقافة العالمية، وتصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

تنوعت موضوعات هذا العدد من الدورية لتلاحق الأحداث المتسارعة في عالم ما بعد ١١ سبتمبر/أيلول، وبدأت موضوعاتها بالاقتصاد، وكان عنوان المقال الأول «الحصول على حق إسقاط الدين» بقلم: إم. أي. توماس، وترجمة: محمد أحمد السيد حرفوش، وتناول أندرو كوكبيرن القصة الحقيقية لـ «الألماس وتجارته»، وحقيقة التناقض بين الجشع وسفك الدماء في هذه التجارة المبنية على أكتاف عمال مستوردين عاشوا وماتوا مجهولي الهوية.

وجاء ملف العدد بعنوان «طبيعة الدول الفاشلة»، وفيه عرض لإحدى وجهات النظر حول طرق تحصين الدول الضعيفة ضد الإخفاق، أو - في مرحلة أكثر تطوراً - ضد الانهيار، بغية حماية الدول القريبة والبعيدة من خطر

الفوضى والتسيب الأمني، وجاءت موضوعاته: «الطبيعة الجديدة لفشل الدولة القومية»، بقلم: روبرت ي. روتبرج، و«إندونيسيا .. هل هي دولة فاشلة؟»، بقلم: يوسف واناندي، و«سيراليون .. الدولة التي عادت من عالم الموتى» بقلم: مايكل تشيجي، و«كولومبيا .. هل هي دولة فاشلة، أم في طريقها للفشل؟»، بقلم: فيليب ماكلين، وترجم بحوث الملف: د.شهرت العالم.

وناقش سفن لوتيكن موضوع «فن السرقة»، وفيه تناول قضية الملكية الفكرية التي تطغى على عالم الإبداع والابتكار اليوم، وتساءل د.خريستو بروتو خريستوف: «التنبؤ بوقوع الزلزال: خيال أم قضية العلم الحديث؟»، وترجم المقال: د.عبدالله الصوفي، وتناول جون بورفس في مقال بعنوان «أفعال لا أقوال» سيرة إميلين بانكرست: زعيمة المناضلات من أجل حق المرأة في التصويت في بريطانيا، وترجم المقال: د.رافع الزعبلاوي. واشتملت المجلة على موضوعات أخرى متنوعة.

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ
الرمز البريدي: ١٣١٠٠ دولة الكويت.
هاتف: ٢٤٣١٨٦٩/٢٤٢١٥٧٣/٢٤٢١٢٥٧/٢٤٢٠٨٤٨
ناسوخ: ٢٤٣١٨٦٠

الحديث» للدكتور يوسف عزالدين، وغير ذلك من المقالات.

وفي باب (شعر) شارك كل من: ماجد الشرع، ومحمود صالح، وعبدالهادي سعدون، وقيس ياسين، وعمر العناز، وخالد عبدالرضا السعدي، ومفيد عزيز البلداوي، وجمال علوش، وجمال جاسم أمين، وماجد الحسن، وجلال حسن، وفارس خضر، ونعمان النقاش، وأطوار بهجت السامرائي، ورياض محمد عبدالوهاب، وغيرهم من الشعراء.

وشارك في باب (قصص) كل من: سليم السامرائي، وحامد الزبيدي، وياسين خضر القيسي، وعبدالله المتقي، وهيثم محسن الجاسم، وإبراهيم الحجري، وعادل التميمي، ومحمد علي وهبة، ود.نجم الدين السراجي، وغيرهم.

وجاء باب (بانوراما) عن الأدب النمساوي، وفيه: «احتفالية فرانتز شتيلزهامر (١٨٠٣ ـ ١٨٧٤م)»، و«هيلموت سينكر ١٩٤٩ ـ ٢٠٠٣م)»، و«نورمان ميلر يفتح صالة (سيسي) السماوية»، وختمت موضوعات الدورية بباب «مكتبة ضفاف».

العنوان: Wadi Alobeadi
LeondingerStr/ 1/21
A- 4050 Traun, Autriche
e-mai. Wadiobeadi@Yahoo.com
fax: 0043-7323-7676

ضفاف

(ع١١ ـ ك ٢/٢٠٠٣م)

أول ما يلفت الانتباه في هذا العدد هو تغير مقاس المجلة، وقد جاءت مشتملة على عدد كبير من الموضوعات المتنوعة، ففي باب (مقالات) تطالع: «التنشئة الديمقراطية وأداء الدور الإيجابي والإبداع» للدكتور تيسير الناشف، و«العرب والعولمة» للدكتور طالب مهدي الخفاجي، و«في الخطاب الفكري ـ العربي المعاصر: نقد طروحات الجابري بين حسام الآلوسي ومحمد مبارك» لمحمد خضير سلطان، و«إسترتيجية لعبة الأسطورة المعولمة» لأسامة غانم، و«ظاهرة الموت في الشعر

دراسات إستراتيجية

(س٢، ع٦) و(س٣، ع٧)، خريف ٢٠٠٢م ـ شتاء ٢٠٠٣م)



مجلة فصلية محكّمة تعني بالبحوث ذات الطابع الإستراتيجي، وتصدر عن مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية في جامعة دمشق.

ركزت بحوث هذا العدد الثلاثة في عدد من القضايا التي تتصل بالأمن القومي العربي: تناول في البحث الأول د.ناصر عبيد الناصر «المسألة العراقية مالها وما عليها؟»، فتطرق إلى «الأهمية الجيوسياسية للجمهورية العراقية»، ثم تناول «الاقتصاد العراقي بين الحاجات المفتوحة والإمكانات المبعثرة»، كما

تناول «أثر الحصار على الوضع الصحي والتعليمي»، والأهداف التي تنوي الإدارة الأمريكية تحقيقها من الضربة العسكرية على العراق»، وبيّن الموقف الإقليمي من المسألة العراقية، وختم البحث بسرد بعض النتائج والمقترحات.

وفي البحث الثاني أوضح د.خيرالدين عبدالرحمن «كيف تبرر الولايات المتحدة الحروب الوقائية التي اعتبرتها محاكم نورمبرج جرائم حرب؟»، وسرد التحول الذي تشهده العلاقات الدولية منذ تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حتى بلغ هذا التحول ذروته في وثيقة الأمن القومي التي أعلنها الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن يوم ٢٠٠٢/٩/١٧م، والتي جاءت أشبه بإعلان إمبراطوري يغتصب للولايات المتحدة سلطة امتلاك العالم، أرضًا وبشرًا وبحرًا وسماءً وفضاءً.

وفي البحث الثالث تناول الأستاذ حسن حردان «سر العلاقة التي تربط أمريكا بإسرائيل: قراءة في السياسة الأمريكية»، وخلص في النهاية إلى أن السياسة الأمريكية في ظل إدارة الرئيس بوش الابن تجسد المفاهيم والأفكار التي نشأت وترعرعت عليها الولايات المتحدة، في ظل تزايد مطّرد لقوة التيارات الأمريكية المتطرفة، ونفوذ اللوبي الصهيوني في السلطتين التشريعية والتنفيذية.

وجاء ملف العدد عن «الأبعاد الاجتماعية والثقافية للأمن القومي العربي»، وأفردت الدورية صفحات للصراع العربي الصهيوني.

العنوان: ص.ب: الجامعة - مركز الدراسات والبحوث الإستراتيجية - دمشق.
هاتف: ٢١٢٩٨١٨ - ناسوخ: ٢٢٣٢١٥٠

عالم الفكر (مج ٣١، ع٣، يناير - مارس ٢٠٠٣م)

مجلة دورية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

طغت محاور بحوث الاقتصاد والعلوم السياسية على موضوعات هذا العدد من الدورية: فجاء المحور الأول بعنوان «دراسات في السياسة والاقتصاد»، وتناول دراسات متنوعة بدأت بدراسة د.سيد أبو ضيف أحمد عن



«الهيمنة الأمريكية: نموذج القطب الواحد وسيناريوهات النظام العالمي الجديد»، ركز الباحث فيها في واقع النظام العالمي الجديد ومستقبله، وقدم د.محمد أحمد صالح حسين دراسة حول «الأطماع الصهيونية على مصادر المياه العربية»، وتناول البحث الثالث «التحديات السياسية والاجتماعية لدى طلبة جامعة الكويت»، لمعرفة مدى ثقافة هؤلاء الشباب حول «القضايا والتحديات الأساسية التي تواجه مجتمعهم والعالم العربي». ثم تأتي بحوث المجال الاقتصادي، وفيها طرح الأستاذ عبداللطيف يوسف الحمد أهمية «الصناديق العربية ودورها الإنمائي»، وناقش د.أحمد منير نجار الواقع والتحديات المستقبلية لـ «آثار اتفاقيات منظمة التجارة العالمية WTO على القطاع الصناعي في دولة الكويت»، وختمت البحوث الاقتصادية بمراجعة لكتاب «الاقتصاد السياسي للبطالة» تأليف: د.رمزي زكي، قدمها د.عباس المجرن، وتعرض فيها لمحنة البطالة، وتفسيرها في الفكر الاقتصادي، وكيفية الخروج من مأزقها في البلدان النامية.

وجاء المحور الثاني بعنوان «آفاق نقدية»، وفيها تعرض د.عادل عوض لـ «أخطار الملوثات البيئية على الصحة العامة»، وكتب الأستاذ عبدالكريم درويش عن عالم الاجتماع الفرنسي «بيير بورديو بين المادية الماركسية والروحانية الفيبرية»، كما كتب الأستاذ عبدالله آيت الأعشير عن «حسن الأخذ والتناص بين القديم والحديث»، وناقشت د.نجمة إدريس «أسفار الترحّل والهجرة ومرجعياتها في شعر سليمان الفليح وإبراهيم الخالدي»، وختم العدد د.سمير شريف إستيتية بموضوع عنوانه «تحليل مضامين البناء وبناء المضامين».

العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ - الصفاة -
الرمز البريدي ١٣١٠٠ دولة الكويت.
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

تحليل موضوعي لمفاهيم الشرق والغرب

حمد عبدالرحمن الراشد
الرياض - السعودية

إن مجال الأنثروبولوجي في الدراسات الاجتماعية قد وضع تساؤلات مهمة على طريق معرفة الإنسان اجتماعيًا، وإن لم يتم التوصل من خلاله إلى حقائق موضوعية، ولكن عمق هذه التساؤلات يعدّ أداة لتشريح بعض الظواهر الإيديولوجية التي يتم طرحها اليوم لأهداف غير ثقافية أيًا كان نوعها، ومن أهم ما يطرح حاليًا مفهوما الشرق والغرب، أو ما يضاف إليهما من إسناد وصفي مثل «حضارة شرقية وغربية» أو «عالم شرقي وغربي» إلى آخره.

وعندما بدأت هذا المقال بالرجوع إلى الأنثروبولوجيا لم أكن أقصد بذلك أن هذا المجال الوحيد الذي يقدم التحليل الواعي لمثل هذه الظواهر ومعرفة حقائقها، وإنما كان بغرض تدرج موضوعي لأدوات التحليل من خلال مجالات المعرفة الإنسانية، هذه المجالات التي تبين في تطورها المفاهيم الثابتة والمتغيرة لمثل هذه الظواهر.

في مجال التاريخ - مثلاً - تم تدوين الأحداث والعصور المختلفة بصورة مختلطة فيها شيءٌ من التعقيد حتى كادت تختفي الحدود الفاصلة بين العصور التاريخية، وفي أحيان نادرة تم توثيق التطور الإنساني خلال المراحل التاريخية بوعي أكثر وبدقة عند بعض المؤرخين والعلماء والمفكرين من أمثال الفيلسوف توينبي في كتابه «تاريخ البشرية».

والمصادر التاريخية تكون أكثر ثباتًا إذا ارتبطت بأنساق معرفية «إبستمولوجية» ومنهجية مثل اعتمادها على المعالم الأثرية والحضارية، بالإضافة إلى مراعاتها للعوامل المميزة كاختلاف اللغات والآداب.

وبالرجوع إلى المعالم الأثرية والحضارية العربية - قديمًا وحديثًا - نستنتج الزيف الإيديولوجي لربط تلك المعالم بما يسمى العالم الشرقي إعلاميًا واصطلاحًا، حتى ما يسمى الاصطلاحي إذا تم تشريحه وتحليله بوعي وموضوعية نجده لا يتصف بالتماسك والثبات؛ لأن الاختلاف اللغوي والاجتماعي والحضاري لهذا العالم المسمى اصطلاحًا بالشرقي يثبت - بما لا يدع مجالاً للشك - أسطورة المصطلح الإيديولوجي، والتحليل نفسه ينطبق على مصطلح العالم الغربي.

ومن الممكن أيضًا استقراء فلسفي لمعطيات مجالات متعددة مثل الجغرافيا والبيئة والعلوم كافة والفنون والآداب وعلم النفس والاقتصاد؛ وذلك للتوصل إلى النتيجة نفسها حيال زيف أسطورة الاتجاهات الشرقية الغربية وما تحمله من أوصاف.

ففي المعطيات الجغرافية والفلكية، يتم التساؤل المهم: أين هو الحد الفاصل بين الشرق والغرب؟ وإذا تم - كتصور افتراضي - تعيين هذا الحد، وهذا بعيد المنال وجبت الإجابة عن سؤال: على أي أساس أو منطق تم تعيينه؟

وإذا انتقلنا إلى مجالات أخرى في الإبداع الإنساني، لا نجد أي براهين أو حجج على صحة مفهوم الثنائية «الشرقية الغربية»، ففي العلوم البحتة والتطبيقية نجد التداخل المعرفي والاكتشافات لما أنتجته الحضارات القومية المختلفة على مر العصور، ووضوح التأثير المتبادل، والتراكم للخبرات البشرية - نظريًا وعمليًا - حتى وصول الإنسان إلى مرحلة العصر الحاضر التي نعيشها، وما زالت العلوم في تطور مستمر بالمعطيات نفسها وبأهداف مستقبلية تتجدد.

والتميز القومي للحضارات الإنسانية المختلفة كمنطق


الإنسان وتساؤلات محيرة!

تاريخي، ومن خلال قراءة صحيحة للتاريخ الحضاري والعلمي والاجتماعي نجد أنه بقدر ما يحمل من تبادل وحوار معرفي بين الحضارات يثبت زيف هذه الثنائية المصطنعة، وأنها لا تحمل أي عوامل إثبات، ومثال على التأثير المتبادل، وتراكم الخبرات ما تم من ترجمات وأعمال مشتركة، واقتباسات في العصر العربي العباسي وبخاصة زمن المأمون، ومع ذلك ظل التميز للحضارة العربية معلماً ثابتاً، وإن اختلفت العوامل الإيديولجية في مختلف العصور.

والتميز اللغوي للآداب الإنسانية المختلفة، تتم قراءته وتحليل معطياته بما تم استعراضه في مجال العلوم والاكتشافات، ويمكن التوصل إلى الاستنتاجات ذاتها، فعلى الرغم من أن عامل اللغة في الآداب يعدّ عاملاً مشتركاً عند دراسة الآداب المختلفة عبر العصور، إلا أن المضمونات الأدبية والتأثير المتبادل تظل موجودة بين مختلف هذه الآداب كعنصر إنساني يلغي الثنائية المصطنعة للاتجاهات كتصور محدد ومقبول؛ ولأن تعدد اللغات، ومن ثم كثرة الأنساق الأدبية أيًا كان نوعها يثبت التميز، لكنه في الوقت نفسه ينفي هذه الثنائية.

وعند دراسة ما توصل إليه علم النفس في تحليل الشخصية الإنسانية، والبنية الاجتماعية، ولا سيما ما نجده واضحاً في مجالات بحوث الذكاء، والإحصاء النفسي، وعلم النفس الاجتماعي، نستطيع أن نستنتج اختلاف العوامل النفسية للمجتمعات المختلفة في شتى أنحاء العالم، قديماً وحديثًا ، بالإضافة إلى تعدد القدرات النفسية الفردية.

وعلى الرغم من غموض هذا الإثبات في مجالات علم النفس بسبب تعقيد القدرات النفسية للإنسان وديناميكيتها، إلا أن المؤشرات تعطي النفي الجازم لهذه القطبية الثنائية، ويتم التوصل إلى النتيجة نفسها في مجالات علم النفس التي تم طرحها.

وفي المجال الاقتصادي نجد أن هذا المصطلح الإيديولوجي «الشرق والغرب» أو ما يضاف إليه من إسناد وصفي، مثل: «حضارة شرقية وغربية» إلى غير ذلك من الإسنادات الإعلامية، نجده قد تم ترسيخه استغلالاً بصورة واضحة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وهو القرن الذي في بدايته حدثت الظواهر الاستعمارية مما يدلّ على علاقة هذا المفهوم بتلك الظواهر بهدف إلغاء الميزات الحضارية، وإيجاد مفاهيم أممية ضد المنطق التاريخي والحضاري.

وعند النظر إلى مواد الطبيعة والمصادر التجارية وتداولها خلال التاريخ، نجد أنه قد تم تفسير هذا التداول على أنه عنصر وحيد في العوالم المختلفة مع بداية القرن التاسع عشر بغرض تقسيم هذه العوالم إلى شرقية وغربية أو حسب القوالب الجاهزة بهدف خدمة النظر إلى ما تحمله الموارد الاقتصادية من مضمونات بيئية وحضارية، وما تشكله كأصل ثابت للتميز بين الدول المختلفة.

ومع أن هذا الموضوع الذي تم طرحه يحتاج إلى تفصيل أكثر، ويتحمل الكثير من التساؤلات والإثباتات، ويمكن تطويره بشكل أوسع، وبخاصة في كل مجال تم استعراضه، إلا أن الهدف المختصر الذي تمت محاولة الوصول إليه عن طريق فكر وتحليل فلسفيين متواضعين لشتى المجالات، وما تحمله من مفاهيم يعدّ ـ مؤشراً يتضمن الكثير من التطور الإيجابي من خلال الأسلوب المنهجي لأهداف متعددة.